

جَهَنَّمُ صَرَاطٌ مُّرْسَلٌ إِلَيْهِ



تألِيفُ

الْسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلَوِيِّ بْنِ عَبَّاسِ الْمَالِكِ الْمَكِيِّ الْجَهَنَّمِيِّ
خَادِمِ الْعِلَامِ الشَّرِيفِ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ



خُصُّاصُ الْمُرْتَلِيَّةِ

تأليف

السيد محمد بن علوى بن عباس المالكى المالكى الحسنى
خادم العِلم الشريف بالبلدان الحرام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى خص هذه الأمة بخصائص وشرفها بمزايا ،
منها ما انفرد به عن الأمم السابقة ، فلم يشاركها فيه مُشارك ولم يُنافسها
مُنافس ، ومنها ما شاركها فيه غيرها ، ولكنها متميزةٌ عنهم بالكمال
والتمام . وعلى هاتين القاعدتين تبني كُل المزايا والفضائل ، وقد جمعنا
هذا الموضوع في هذا السُّفر المُبارك الذي نرجو به القُربَ من الله سبحانه
وتعالى والزُّلْفَى لديه والمشاركة في الدعوة إلى الخير وتقريره إلى العاملين
وَحَثُّهم عليه .

وأول مزاية بل هي أُمُّ المزايا والفضائل : رَصِيدُ هذه الأُمَّةِ من
الإيمان ، وكمال يقينها بالله .

* * *

(تنبيه مهم)

اعلم أنه قد جاء في هذا الكتاب جملة كثيرة من الأحاديث الشريفة ، منها الصحيح والحسن ، ومنها غير ذلك من الضعيف وأنواعه . وقد ذكرناها جرياً على قاعدة العلماء في العمل بالحديث الضعيف بشروطه التي ذكرها العلماء في كتب الأصول . وقد بيَّناه مفصلاً في كتاب «المنهل اللطيف» وهو أنَّ الحديث الضعيف لا يُعمل به في العقائد والأحكام ، ويجوز العمل به في الفضائل والترغيب والترهيب ، وَذُكر المناقب ، وهذا هو المعتمد عند الأئمة ، وإنَّ في المسألة خلافاً ، مع أنَّ الذين أجازوا العمل به جعلوا بذلك شروطاً ذكرها الحافظ ابن حجر وهي :

- 1- أن يكون في الفضائل العملية ، كما تقدم .
- 2- أن لا يشتد ضعفه ، فلا يُعمل بما انفرد به الكذاب ، والمتهم بالكذب ، ومن فحش غلطه .
- 3- أن يندرج تحت أصل معمول به .
- 4- أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته ، بل يعتقد الاحتياط .

هذا ، وقد نص على قبول الضعيف في الفضائل الإمام النووي في «الالتقريب» ، والعرّاقي في شرحه على «الفيفي» ، وابن حجر العسقلاني في «شرح التلخية» ، والشيخ زكريا الأنصاري في «شرح الفيفي العراقي» ، والحافظ السيوطي في «التدريب» ، وابن حجر المكي في «شرح على الأربعين» . وللعلامة اللكنوي رسالة تسمى «الأجوبة الفاضلة» ، له فيها بحثٌ مُستفيض في ذلك ، ولسيِّدي الإمام الوالد السيد علوي بن عباس المالكي الحسني رحمة الله رسالة خاصة في أحكام الحديث الضعيف .

رَصِيدُ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ مِنِ الْإِيمَانِ

أَمَا رَصِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنِ الْإِيمَانِ فَعَظِيمٌ ، وَنَصِيبُهَا مِنْ كَبِيرٍ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تُؤْمِنُ بِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ ، وَبِكُلِّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ ، وَبِكُلِّ مَلَكٍ خَلَقَهُ اللَّهُ بِلَا تَفْرِيقٍ بَيْنَ أَحَدٍ . وَهَذَا مَصْدَاقٌ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا أَنْزَلَنَا رَسُولٌ مِّمَّا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَكِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رَسُولِهِ وَقَاتِلِهِ وَأَسْعَنَا وَلَطَعَنَا عَفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْنَا أَمْصِيدُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وَقَدْ أَمْرَنَا بِالْإِقْرَارِ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْإِيمَانِيَّةِ الْأَعْتَقَادِيَّةِ ، قَوْلًا وَاعْتِقَادًا فِي قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ : ﴿ فَوَلَوْا مَا مَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا إِلَّا هُمْ وَلَا سَمِيعٌ لَّا يُسْخَنُ وَلَا يَقْهُبُ وَلَا أَسْبَاطٌ وَمَا أُوْقِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوْقِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَلَخَنْ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٦] .

فَرَصِيدُنَا مِنِ الْإِيمَانِ أَكْبَرُ مِنْ غَيْرِنَا مِنِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضٍ وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ، وَلَهُذَا الْمَعْنَى كَانَتْ قِيمَةُ الْمُسْلِمِ فِي الْمَوَازِنَةِ أَعْلَى مِنْ قِيمَةِ غَيْرِهِ ، لِأَنَّ التَّفَاضُلَ إِنَّمَا هُوَ بِالْإِيمَانِ . وَمِنْ هَنَا جَازَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِالْكَتَابِيَّةِ ، وَلَمْ يَجُزْ لِلْمُسْلِمَةِ أَنْ تَتَزَوَّجَ بِغَيْرِ الْمُسْلِمِ ؛ لِأَنَّهَا أَفْضَلُ مِنْهُ بِإِيمَانِهَا ، أَمَّا إِيمَانُهُ فَأَنْقَصَ مِنْهَا .

وَهُنَّاكَ مَعْنَى آخَرُ فِي هَذَا الْبَابِ : وَهُوَ أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا تَزَوَّجَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ أَوْ بِالْيَهُودِيَّةِ وَذَكَرَتْ نَبِيَّهَا ، فَإِنَّهُ يُصْلَى وَيُسْلَمُ عَلَيْهِ مَعَ الاحْتِرَامِ وَالْتَّعْظِيمِ وَالْتَّكْرِيمِ ، بِخَلْفِ مَا إِذَا تَزَوَّجَتِ الْمُسْلِمَةُ بِيَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ ، فَإِنَّهَا إِذَا ذَكَرَتْ نَبِيَّهَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَا يَبْعُدُ أَنْ يَسْبُهَ أَوْ يَشْتَمَهُ زَوْجُهَا ، أَوْ عَلَى الْأَقْلَى أَنْ لَا يَرْضَى بِذَلِكَ ، وَلَا يَقْعُدْ مِنْهُ مَوْقِعُ الرَّضَا وَالْقَبُولِ .

كمالُ يقين هذه الأمة

ومن شرف هذه الأمة : أنَّ الله تعالى وفرَّ حظها من اليقين بشهادة المعصوم عليه السلام إذ قال : « ما أُعطيت أمةٌ من اليقين ، أفضَّلَ مَا أُعطيت أُمتي » ^(١) .

أي ما ملأ الله قلوب أمة نوراً شرح به صدورها لمعرفته تعالى ومُجاهدة أنفسهم على سبيل الاستقامة عليها بحيث تصير الآخرة لهم كالمعاينة ، أفضَّلَ مَا أُعطيت أُمتي ولا مُساوياً له ، فإنَّ الأولين لم ينالوا ذلك إلا الواحد بعد الواحد . وقد حبَّا الله سبحانه هذه الأمة بمزيد التأدب وقربِ منازلِهم غاية التقرُّب ، وسماهم في التوراة : صفوَة الرحمن ، وفي الإنجيل : حُلماءُ علماءُ أُبراراً أتقياء ، كأنهم من الفقه أنياء . فالفضل الذي أُعطيته هذه الأمة النور الذي به انكشف الغطاء عن قلوبهم حتى صارت الأمور لهم معاينة : « قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهُ أَنْ يُؤْفَقَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ » آل عمران : ٧٣ قالوا : واليقين يتفاوت على ثلاثة مراتب : عِلْمُ اليقين ، وَعِينُ اليقين ، وَحُقُّ اليقين . فعلمُ اليقين : ما كان من طريق النظر والاستدلال . وعِينُ اليقين : أن يُشاهد الغُيوب كما يشاهد المَرئيات مشاهدة عِيَان ، وَحُقُّ اليقين : هو المشاهدة مع شِدَّة الالتصاق والامتزاج .

(١) رواه الحكيم الترمذى عن سعيد بن مسعود الكندى « كنز العمال ١٢ : ٦٦٢ (٣٤٤٨٣) » .

قال السَّرِئِيُّ السَّقْطِيُّ : واليَقِين سُكُونك عند جَوَانِي الموارد في
صَدْرِك ، لِتَيَقْنُوك أَنَّ حُزْنَك مِنْهَا لَا يَنْفَعُك ، وَلَا يَرْدُعُك مَقْضِيًّا .

وَسَنَذْكُرُ فِي أُولَى الْكِتَابِ الْخَصَائِصِ الْعَامَةِ الَّتِي مَنَّ اللَّهُ بِهَا عَلَى
هَذِهِ الْأُمَّةِ ، ثُمَّ نَذْكُرُ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَصَائِصِ التَّفَصِيلِيَّةَ لِلأَعْمَالِ التَّعْبُدِيَّةِ
وَغَيْرِهَا .

* * *

خَصَائِصُ عَامَّةِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

أولاً - رفع الإصر

وذلك بنص القرآن قال تعالى : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الَّذِي أُنْذِنَ لَهُ الَّذِي يَعِدُونَهُمْ مَكْنُونًا عِنْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَحِلُّ لَهُمُ الظَّبَابَتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَثَ وَيَنْهَاهُمْ إِعْصَارَهُمْ وَالْأَغْلَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ » [الأعراف : ١٥٧] .

والإصر : أصله **النَّقْلُ** الذي يأصرُ صاحبه ، فلا يقدر على التحرُّك . ومعنى ذلك : أنَّ الله تعالى لم يُوجِّب على هذه الأمة - أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شيئاً فوق طاقتهم ، ولم يجعله من شرعيهم كما كان ذلك على مَنْ قبلهم مِنَ الأُمُّ .

وذلك كبني إسرائيل مثلاً الذين كُلُّفوا بِجُملةِ من الأعمال الصعبة والتکاليف الشاقة ، هي أشبه ما يكون بأطواق الحديد التي تحيط بالأعناق (وهي الأغلال) .

تلك الأغلال والأنفال كثيرة ، فمنها :

١- قطع موضع النجاسة :

إذا أصابت النجاسة ثوب أحدهم ، فإنه عليه أن يقطعه ليطهره ، ولا يكفي غسله كما أخرجه البخاري في « صحيحه »^(١) . وقد زعم بعضهم

(١) صحيح البخاري كتاب الوضوء « باب البول عند سباته قوم » .

أنه كان يجب قطع ما أصابته النجاسة ، ولو كان من الجسم اعتماداً على ظاهر رواية أبي داود وفيها :

« كانوا إذا أصابَ البَرْزُ جَسَدَ أَحدهم ، قَطَعُوا مَا أصابَهُ الْبَرْزُ منْهُمْ »^(١) .

ورواية مسلم وفيها : جلد أحدِهم ، وأولَ القُرطبي هذا : بأنَّ المُرَادَ بالجلد ، واحدَ الجلود التي كانوا يلبسونها .

قال الحافظ : ورواية البخاري صَرِيحةٌ في الثياب ، فلعل بعضَهم رواه بالمعنى انتهى^(٢) .

أما هذه الأمة ؛ فإنه يكفي في شرعاها في مثل ذلك إراقة الماء وغسل المحلُّ فقط ، سواءً كان ذلك مسجداً أو ثوباً أو بدنًا . كما فصلته كتب السُّنَّة .

٢- عدم مُؤاكلة الحائض :

وذلك لأنَّ اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم ، لم يُؤاكلوها ولم يُخالطوها ، ولم يساكنوها في بيتٍ واحدٍ ، بل يترکوها في البيت مُنفردةً . كما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وأحمد^(٣) ! أما هذه الأمة فقد أبیع لها في دینها مُعاشرة الحائض في المأكل والمشرب والمُضاجعة ، ونهى عن النكاح والاستمتاع بما بين السُّرَّةِ والرُّكبةِ احتیاطاً . « اصْنُعوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ »^(٤) .

(١) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، « باب الاستبراء من البول ».

(٢) فتح الباري (١/ ٣٣٠).

(٣) تفسير ابن كثیر (١/ ٢٦٨).

(٤) رواه مسلم في صحيحه . « باب الاسترطاج مع الحائض في لحاف واحد ».

وهكذا رأى الإسلام بهذا الحكم ميولَ الإنسان وبشريته ، بجانب نورانِيه وروحانِيه ، فيربط بين نزوة الجسد العارضة وغاية الروح . وهذا المنهج الرافي في معاملة الإنسان ، هو الذي يتلاءم مع الفطرة كلُّها ، لأنَّه مِنْ صُنْعِ خَالقِ هذه الفطرة .

٣- تَعْبِينُ الْقِصَاصِ فِي الْعَمَدِ وَالْخَطَأِ :

فقد كان متحتماً على بني إسرائيل القصاص حتى في الخطأ ، ولم تكن فيهم الديبة في نفسٍ أو جُرح . كما جاء في الصحيح^(١) .

وهو معنى قوله تعالى : « وَكَيْبَنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ »

[المائدة : ٤٥] .

فخفَّفَ عن هذه الأمة بمشروعية الديبة بدلاً عن القتل ، لمن عفا من الأولياء بقوله تعالى لهذه الأمة : « كُلُّبَّكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْفَتْلِ الْمُرْثِ بِالْمُرْثِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَإِنَّمَا يُعَلَّمُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَمَ إِلَيْهِ يَا حَسَنَ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ » [البقرة : ١٧٨] .

٤- قَتْلُ النَّفْسِ بِالْتَّوْبَةِ :

وذلك أنهم لما عبدوا العجل ؛ بين لهم موسى عليه السلام طريق التوبة بعد العزم عليها ، وهو أن يقتل البريء منهم المُجرم : « فَتُؤْمِنُوا إِلَى بَارِيْكُمْ فَاقْتُلُو أَنفُسَكُمْ » [البقرة : ٥٤] .

وذلك أيضاً هو طريق التوبة في جملة من المعاصي ، يكون بقطع

(١) صحيح البخاري، كتاب الديات، «باب من قتل له قتيل فهو بخير الناظرين» . (٢٠٥/١٢)

الأعضاء الخاطئة كاللسان في الكذب ، والذَّكَر في الزنا ، وَفَقْءُ العَيْنِ في
النظر للأجنبية^(١) .

أما الأمة المحمدية ؛ فإنَّ الله سبحانه سَهَّل لها طريق التوبة ، وأخبر
أنه يقبلها وَيَعْفُ عن السيئات ، وأنه يُفْرِح بها أشدَّ من فَرَح الأمَّ بولدها
الرضيع الغائب عنها : « وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ يَجِدْ
اللَّهَ عَفْوًا رَّحِيمًا » [النساء : ١١٠] .

٥- افتضاح أصحابِ المعاشي منهم :

فقد كان بنو إسرائيل إذا أذنب أحدهم ذنبًا ، أو فعل معصية ، فإنه إذا
أصبح يجد مكتوبًا على باب داره : فلان فعل كذا وكذا . وكفارتها كذا
وكذا ، ويرى ذلك الخاصّ والعام^(٢) .

أما الأمة المحمدية ؛ فإنَّ الله تفضل عليها بالستر ، كما ثبت عن
رسول الله ﷺ أنه قال : « كُلُّ أَمْتَي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ ، وإنْ مِنَ
الجَهَارِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَرَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فَيَقُولُ :
يَا فَلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبِّهُ وَيُصْبِحُ يُكَشِّفُ
سِرْتَ اللَّهِ عَنْهُ » . متفق عليه .

٦- المؤاخذة بحديثِ النفس مما لم تَعْمَلْهُ الجوارح :

وذلك أنَّ الله تعالى ما بعث من نبيٍّ ولا أرسل من رسولٍ أُنْزَلَ عليه
الكتاب ، إِلَّا أخْبَرَهُ أَنَّه سَيُحَاسِّبُ عباده على ما فعلوه وما أخْفَوه في
صُدُورِهِمْ فَكَانَتِ الأُمَّةُ تَأْتِي عَلَى أَنْبِيَائِهَا وَرَسُلِهَا وَيَقُولُونَ : تُؤَاخَذُ بِمَا

(١) المواهب اللدنية (٥/٣٨١).

(٢) الخصائص النبوية للسيوطى (٣/٢٠٤).

تحدث به أنفسنا ولم تَعمله جوارحنا ، فيكفرون ويقولون : سمعنا وعصينا .

ولما قال المؤمنون من هذه الأمة : سمعنا وأطعنا وأسلمنا وأمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله ، طمأنهم الله تعالى بأنه تجاوز عنهم حديث النفس ، إلأاً ما عَمِلْتُ الْجَوَارِحُ : **﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ - مِنْ خَيْرٍ - وَعَلَيْهَا مَا أَكْتَسَبَتْ - مِنْ شَرٍ﴾** [البقرة: ١٣٤] .

٧- المُؤاخذة على الخطأ والتسيّان :

وذلك بتعجيل عقوبته من تحريم شيء من مطعم أو مشرب ، عقوبة على حسب ذلك الذنب من كبر وصغر .

أمّا الأمةُ المحمدية ؛ فإنَّ اللهَ وضعَ عنَّا الخطأ والتسيّانَ وما استُكْرِهُوا عليه ، كما ثبت في الحديث الذي رواه أَحْمَدُ وابن حِبَّانَ والحاكم وابن ماجه والطبراني والدارقطني بأسانيدٍ جيدةً ، وَحَسَنَهُ النووي^(١) .

٨- تحريمُ اشتغالِهِمْ يَوْمَ عِيدِهِمْ :

وهو يوم السبت ، إذ أخذ عليهم العهُدُ والميثاق بتعظيم يوم السبت ، والقيام بأمره وعدم اشتغالهم وعملهم فيه ، ولذلك لما خالفوا وتحيلوا على اصطياد الحيتان فيه ؛ قال الله لهم عقاباً : **﴿كُنُوا قِرَدَةً خَرَّيْشَيْنَ﴾** [البقرة: ٦٥] **﴿كَذَلِكَ تَبْلُوُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾** [الأعراف: ١٦٣] .

(١) المواهب اللدنية (٢/٧١٧). الخصائص (٣/٢٠٢).

أَمَّا الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ : فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَ عَنْهُمْ هَذَا الْإِعْرَارَ ، فَهُمْ يَتَعَالَمُونَ حَتَّىٰ فِي يَوْمِ عِيدِهِمْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، قَبْلَ الصَّلَاةِ وَبَعْدَهَا : « يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ مَاءْمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَأَسْعَوْا إِلَيْنَا ذِكْرَ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ١٦١ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَأَنْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ١٦٢ 】 [الجمعة : ٩-١٠].

٩- الطَّاعُونَ عَذَابٌ عَلَى الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ :

وَقَدْ أَخْبَرَنَا ١٦٣ أَنَّهُ كَانَ رِجْسًا وَعَذَابًا أُرْسَلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ . أَمَّا هَذِهِ الْأُمَّةُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً بَهِمْ وَشَهَادَةً لَهُمْ . كَذَا فِي الصَّحِيحِ ١٦٤ .

١٠- تَحْرِيمُ بَعْضِ الطَّيَّبَاتِ مِنَ الْأَطْعَمَةِ :

وَهَذَا كَانَ مِنَ الْعَقُوبَاتِ الَّتِي عَاقَبَ بِهَا اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِسَبِّبِ بَغْيِهِمْ وَظُلْمِهِمْ وَتَلَاقِعِهِمْ بِشَرَائِعِ اللَّهِ ، وَأَشَرَّتِهِمُ الْجِلْعَتِهِمْ بِيَأْخُذُونَ عَرْضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ : سَيَغْفِرُ لَنَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « فَيُظَلَّمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَ مِنْ عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أَحْلَتْ لَهُمْ وَيُصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ١٦٥ 】 [النَّسَاءَ : ١٦٠].

وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْوَاعَ مَا حَرَمَهُ عَلَيْهِمْ ، وَهُوَ :

١- كُلُّ ذِي ظُفْرٍ - أَيْ : مَا لَيْسَ بِمُنْفَرِجِ الْأَصَابِعِ - مِنَ الْبَهَائِمِ وَالْطَّيْرِ ، كَالْإِبَلِ وَالنَّعَامِ وَالْإِلَوزِ وَالْبَطْ ، فَهِيَ عَلَيْهِمْ حَرَامٌ .

٢- الشَّحْمُ : - أَيْ : الْمَادَةُ الْدَّهْنِيَّةُ الَّتِي تَكُونُ فِي الْحَيْوَانِ - فَهُوَ عَلَيْهِمْ حَرَامٌ فِي الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ ، وَأَبَاحَ لَهُمْ مِنْهَا الشَّحْمُوْمُ الْمُخْتَلَطُ بِالْعَظْمِ ،

(١) المواهب اللدنية (٢/٧٢١)، الخصائص (٣/٢٢١).

وكذا ما يحويه البطن ، وكذا ما علق بالظهر من الشحوم كما في آية
الأنعام^(١) .

أَمَّا الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَبَاحَ لَهَا كُلَّ طَيِّبٍ : « أَلَيْتُمْ أُجِلَّ
لَكُمُ الظَّبَابَتِ » [البادرة : ٥] ، « وَيُمْلِلُ لَهُمُ الظَّبَابَتِ » [الأعراف : ١٥٧] وحرم
عليها كل خبيث « وَيُحِرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَابَتِ » [الأعراف : ١٥٧] .

١١- تَحْرِيمُ الْغَنَائِمِ عَلَيْهِمْ :

فكانوا إذا اغتنموا شيئاً من أعدائهم ، لم يحل لهم أن يأخذوه
ويتصرّفوا فيه ، بل يجمعونه وتنزل نار من السماء فتحرقه ، فيكون ذلك
علامةً قبول غزواتهم^(٢) ، كما قال الله تعالى : « حَقِّيْ يَأْتِيْنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ
النَّارُ » [آل عمران : ١٨٣] .

أَمَّا الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَشَرَفَ نَبِيِّهَا عِنْدَهُ ، أَحَلَّ لَهُمُ الْغَنَائِمَ كَمَا
ثَبَّتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيفِ الْمُتَفَقِّ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَهَا حَلَالًا مَبَارِكًا : « فَكُلُّوا
مِمَّا أَغْنَيْتُمُ حَلَالًا طَيِّبًا » [الأنفال : ٦٩] .

١٢- تَحْرِيمُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ إِلَّا فِي مَوَاضِعِ مَخْصُوصَةٍ :

وَذَلِكَ أَنَّ مِنْ مَضِيِّ الْأَمْمِ ، كَانُوا لَا يُصْلِّوْنَ إِلَّا فِي أَماَكِنَ
مَخْصُوصَةٍ ، كَالْبَيْعِ وَالصَّوَامِعِ وَالكُنَائِسِ ، فَمَنْ غَابَ مِنْهُمْ عَنْ مَوْضِعِ
صَلَاتِهِ ، لَمْ يَجِزْ لَهُ أَنْ يُصْلِّيَ فِي غَيْرِهِ مِنْ بِقَاعِ الْأَرْضِ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ
يَقْضِي كُلَّ مَا فَاتَهُ^(٣) .

(١) تفسير ابن كثير (٢٠٠/٢).

(٢) المواهب اللدنية (٧١٠/٢).

(٣) فتح الباري (٤٣٦/١).

وعند البزار من حديث ابن عباس رضي الله عنهم : ولم يكن أحدٌ من الأنبياء يُصلّى حتى يبلغَ محاربه^(١) .

أما الأمةُ المحمدية ؛ فإنَّ الله جعل لها الأرض مسجداً ، أي موضع صلاة لا تختص الصلاة منها بموضع دون غيره كما ثبت في الصحيح^(٢) .

١٣- تَخْصِيصُ الطَّهَارَةِ بِالْمَاءِ :

وذلك أنَّ من ماضى من الأمم ، كان في شرائعهم وجوب الاقتصار على الماء في الطهارة ، وعدم جواز الاكتفاء بغيره ، فإذا عدم أحدُهم الماء ، لم يُصلَّى حتى يَجِدُهُ ثُمَّ يَقْضِي ما فاتَهِ .

أما الأمةُ المحمدية ؛ فإنَّ الله تعالى جعل لها الأرض طهوراً ، فائماً رجل أتى الصلاة ولم يجد ماءً ، وجد الأرض طهوراً كما ثبت في الصحيح^(٣) .

* * *

(١) فتح الباري (٤٣٨/١).

(٢) صحيح البخاري - كتاب التيم.

(٣) فتح الباري (٤٣٨/١)، والمواهب اللدنية (٧١١/٢).

ثانياً - الإكرامُ بالرَّحْمَةِ الْخَاصَّةِ

ومن خصائص هذه الأمة : إكرامهم في الآخرة بالرحمة الخاصة ، وذلك بنص القرآن الكريم .

فقد وصف القرآن الكريم هذه الأمة المحمدية بأنه جعل السابق منهم سابقاً ، والمُقتضى لاحقاً ، والظالم لنفسه مغفوراً له . قال الله تعالى : **﴿ إِنَّمَا أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرِ إِذَا نَهَى اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ أَفْضَلُ الْكَيْرِ ٢٧ ﴾** جَنَّتْ عَدِنٌ يَدْخُلُونَهَا يَمْحَلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَهُ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسِهِمْ فِيهَا حَرَيرٌ ٢٨ **﴿ وَقَالُوا لَهُمْ حَمْدٌ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّكَ رَبُّنَا الْغَفُورُ شَكُورٌ ٢٩ ﴾** الَّذِي أَحَنَّا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمْسَنَا فِيهَا نَصْبٌ وَلَا يَمْسَنَا فِيهَا لُغُوبٌ ٣٠ ﴾

[فاطر : ٣٢-٣٥] .

ومعنى هذا : أنَّ الحق سبحانه وتعالى قَسَّمَ هذه الأمة إلى ثلاثة أنواع :

الأول : أشار إليه بقوله : **﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ٢٧ ﴾** وهو المُفْرِطُ في فعل بعض الواجبات ، المُرتكبُ لبعض المنهيات ، وهو الذي خَلَطَ عملاً صالحًا وآخر سيئاً .

الثاني : أشار إليه بقوله : **﴿ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ٢٨ ﴾** وهو المؤدي للواجبات التَّارِكُ للمُحرَّمات ، وقد يَتَرَكُ بعض الْمُسْتَحْسَنَاتِ ، ويفعل بعض المكروهات .

الثالث : أشار إليه بقوله : « وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ » وهو الفاعل للواجبات ، التارك للمحرمات والمكروهات ، وبعض المباحات .

قال ابن عباس رضي الله عنهم : « السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَالْمُقْتَصِدُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللهِ ، وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ يَذْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ » ، وكذا رُوِيَ عن غير واحد من السلف ، وجاء ما يُؤيِّدُه في السُّنَّةِ بِطُرُقٍ جَيِّدةً ثابتةً .

فمن ذلك : ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : « مَنْ أَوْرَثَنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ » [فاطر : ٣٢] فأمّا الذين سبقوا ؛ فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب ، وأمّا الذين اقتضدوا ؛ فأولئك الذين يُحاسبون حساباً يسيراً ، وأمّا الذين ظلموا أنفسهم ؛ فأولئك الذين يُحبسون في طول المحشر ، ثم هم الذين تلافقهم الله برحمته ، فهم الذين يقولون بعد ذلك : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَعَفُورٌ شَكُورٌ » [فاطر : ٣٤] . صدق الله العظيم .

ثُلُثٌ : هو المناسبُ لسياق الآية الشريفة ولحال الظالم لنفسه ، فإنه إذا حُبسَ في المحشر ل欺مان حاله عن السابق والمقتضى ، أصابه حيتنة الهمُّ والحزنُ والغمُّ ، فإذا تداركه الله برحمته ودخل الجنة ، تذكر ما كان عليه فقال : الحمد لله الذي أذهب عننا الحزن ، لأنَّ الله تعالى بعد أن ذكر الأصناف الثلاثة وذكر أنهم يدخلون الجنة ، ذكر بعد ذلك أنهم يقولون : الحمد لله الذي أذهب عننا الحزن . ولا يتصور أن يُصيِّبُ السابق أو المقتضى حَزَنٌ ، لأنهم لا يحزنون الفزعُ الأكبر . فبقي الصنفُ الثالث ، وهو الظالم لنفسه ، ولهذا كانت هذه الأمة أمةً مرحومةً ، كما قال محمد ابن الحنفية رضي الله عنه : إنها أمةً مرحومةً ، الظالمُ مغفرٌ له ،

والْمُقْتَصِدُ فِي الْجَنَّاتِ ، وَالسَّابِقُ فِي الْدَرَجَاتِ . رَوَاهُ الشُّورِيُّ وَغَيْرُهُ .

وهذا كله من محض فضل الله سبحانه وتعالى الذي شمل الأنواع الثلاثة ، إذ كلهم انتهى إلى الجنة وإلى النعيم ، على تفاوت في الدرجات ، وهو يشهد بكرامة هذه الأمة على الله . وهذه الكرامة ليست رخصة أو سهلة ، لأنَّ الله سبحانه أخبر قبل ذلك أنه اصطفى هذه الأمة لوراثة الكتاب والقيام به فقال : « ثُمَّ أَرَزَّنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَنَا » [فاطر : ٢٢] فجعل في مقابلة هذه الكرامة الأخروية العظمى ، التَّبِعةُ الْكَبِيرَى والمسؤولية الناشئة عن هذا الاصطفاء وعن تلك الوراثة ، وهي تَبِعةٌ ضَخْمَةٌ ذَاتُ تَكَالِيفٍ وَإِلَزَامَاتٍ .

فهو إذن : إِكْرَامٌ بِالْفَضْلِ فِي الْجَزَاءِ ، حَتَّى لَمْنَ أَسَاءَ ، وَتَقْلِيدٌ بِأَمَانَةِ الْوَرَاثَةِ لِلْكِتَابِ وَالْأَصْطَفَاءِ .

* * *

ثالثاً - جعلهم أمة وسطاً

ومن خصائص هذه الأمة : أنهم هم الأمة الوسط ، وأنهم هم الشهداء على الناس بنص القرآن : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شَهَادَةً عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وقد جاء ذكر هذه المنقبة والخصوصية في أثناء الكلام عن القبلة ، كما قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الشَّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَدُهُمْ عَنْ قِبْلِهِمْ أَلَّيْ كَافُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ [البقرة : ١٤٢] ، ثم قال بعدها : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطَا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وحاصِلُ الأمر أنه قد كان بِكَلَّةٍ يستقبل في المدينة المنورة بيت المقدس ، وكان يُكثر الدعاء والابتهاج أن يُوجه إلى الكعبة التي هي قيلة إبراهيم عليه السلام فأُجيب إلى ذلك وأُمِرَ بالتوجه إلى البيت العتيق . ولما وقع هذا التحويل ، حصل لبعض الناس من أهل النفاق والريب ، والكفرة من اليهود ، ارتياحت وزيغ عن الهدى وتخبط وشك ، وقالوا : ﴿ مَا وَلَدُهُمْ عَنْ قِبْلِهِمْ أَلَّيْ كَافُوا عَلَيْهَا ﴾ [البقرة : ١٤٢] ، فأنزل الله جوابهم في قوله : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ [البقرة : ١٤٢] .

ثمَّ بَيْنَ لَهُمْ أَنَّهُ كَمَا أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالْهَدَايَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، كَذَلِكَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِأَنْ جَعَلْتَهُمْ أَمَّةً وَسَطَا ، وَالْوَسْطُ أَيْضًا : هُوَ الْخَطُّ الْمُسْتَقِيمُ وَالطَّرِيقُ الْمُسْتَوِيُّ ، وَهَذَا مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ مِنْ كُونِهِ سَبِّحَانَهُ هَدَاهُمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَجَعَلْتَهُمْ أَمَّةً (وَسَطَا) ، أَيْ عَلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ،

أي : عُدولاًً خياراً ، لأنَّ الوسط حقيقةٌ في البُعدِ عن الطرفين ، ولا شك أنَّ طرفِ الإفراط والتفرط رديتان ، فالمتوسِطُ في الأخلاقِ يكون بعيداً عن الطرفين ، فكان مُعتدلاً فاصلاً .

وهكذا يُحدِّثنا القرآن عن حقيقة هذه الأمة في الكون ، وعن وظيفتها في هذه الأرض ، وعن مكانها العظيم في هذه البشرية ، وعن دورها الأساسي في حياة الناس ، مما يقتضي أن تكون لها قِيلُتها الخاصة ، وشَخصيَّتها الخاصة ، وذاتيَّتها المستقلة ، إنها الأمة الوسط التي تَشَهُدُ على الناس جميعاً في الدنيا والآخرة .

فاما في الدنيا : فإنها سمعت أخبارَ كُلِّ الأمم السابقة في كتابها الأكبر الذي هو القرآن ، أو عن نبيِّها المصطفى ﷺ فيما جاء عنه ، فتسمع أخبارَ العُصَّاة والمطعين ، والمصدِّقين والمكذِّبين ، وَجزاءَ كُلِّ ، وتسمع أخبارَ الأنبياء والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، وأعمالهم وجهادهم ، وتضحيتهم وما لاقوا من عنتٍ وتعبٍ ومشقة ، ثم تُبَدِّي رأيها فيهم وتزن قيمَّهم ، وتصوراتِهم ، وتقاليدِهم وشعاراتِهم ، فتفصل في أمرها وتقول : هذا حَقٌّ منها ، وهذا باطل .

واما في الآخرة : فإنه إذا كان يوم القيمة ، ووقف الناس للسؤال يقال لكلِّ أمَّةٍ : هل بَلَغْتُمْ رَسُولَكُمْ؟ فيقولون : لا ، فيقال للرسول الذي أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ : هل بَلَغْتَ قَوْمَكَ؟ فيقول : نعم ، فيقال : مَنْ يَشَهُدُ لَكَ؟ فيقول : محمدٌ وَآمَّتُهُ ، فتُدْعى محمدٌ وأمته فيقال لهم : هل بَلَغَ هذا قومَه؟ فيقولون : نعم ، فيقال لهم : وما أَدْرَاكُمْ؟ فيقولون : جَاءَنَا نَبِيُّنا فأخبرنا أنَّ الرَّسُولَ قد بَلَغُوا ، فذلك قوله : «لَتَكُونُوا شَهَادَةَ عَلَى النَّاسِ» .

[البقرة : ١٤٣] .

* * *

رابعاً - يُسْرُ الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

ومن خصائص هذه الأمة : أنَّ شريعتها أيسَرُ الشَّرَائِعِ ، وذلك بنصِّ القرآن ، فما من فريضةٍ من الفَرَائِضِ إلَّا ويسْرَها اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، بفتح باب الرخصة والعذر فيها . فَخُذْ مثلاً الصَّلَاةَ ، وهي أَهْمَ وأَعْظَمُ الفَرَائِضِ ، بل هي عماد الدين وأساسه المُتَّينِ . فإنَّها مع ذلك ؟ جعل الله تعالى لها أحكاماً خاصَّةً تختلفُ عن الحُكْمِ الأصْلِيِّ لها ، مُرَاعَاةً لظُرُوفٍ خاصَّةٍ في أحوالٍ خاصَّةٍ ، كالْمَرْضُ وَالسَّفَرُ وَالْحَرْبُ ، وفي حَالَةِ عدمِ وجودِ اللِّبَاسِ السَّاتِرِ ، أو عدمِ معرفةِ الْقِبْلَةِ ، أو نسيانِها ، أو النَّوْمِ عنها .

وهذا التَّيسِيرُ هو الصَّفَةُ الْعَامَةُ لِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ ، قالَ تَعَالَى : « يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ لَكُمُ الْعُسْرَ » [البَرَّ : ١٨٥] .

وقالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ رَضِيَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْيُسْرَ ، وَكَرِهَ لَهَا الْعُسْرَ » رواه الطبراني بِرِجَالِ الصَّحِيفَةِ .

وروى أَحْمَدُ فِي « مُسْنَدِهِ » عَنْ حَذِيفَةَ قَالَ : سَجَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى ظَنَّا أَنَّ نَفْسَهُ قُبِضَتْ ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ : « رَبِّي أَشْتَشَّأْنِي » (الْحَدِيثُ) ، وَفِيهِ : « وَأَحَلَّ لَنَا كَثِيرًا مِمَّا شَدَّدَ عَلَى مَنْ قَبَلَنَا وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْنَا فِي الدُّنْيَا مِنْ حَرَجٍ فَلَمْ أَجِدْ شُكْرًا إِلَّا هَذِهِ السَّجْدَةُ » ^(١) .

(١) المواهب اللدنية (٣٨٢).

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفتخر بهذه النعمة تَحْدِثًا بنعمة الله ويقول : « إِنِّي بَعَثْتُ
بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةَ » ^(١) .

ويوصي بذلك بعوته ورُسله فيقول لهم : « بَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا وَيَسِّرُوا
وَلَا تُعَسِّرُوا » ^(٢) .

وهذه هي القاعدة الْكُبْرَى في تكاليف هذه العقيدة كلها ، فهي ميسرةٌ
ولَا عُسْرٌ فيها ، وهي توحى للقلب الذي يتذوقها بالسهولة واليسر في أخذ
الحياة كلها ، وَتَطْبِعُ نفس المسلم بطَابِعٍ خَاصٍ من السَّمَاحَةِ التي لا تَكُلُّ
فيها ولا تعقِّدُ ممَا كان على من قبلهم من الأمم .

* * *

(١) رواه أحمد بسنده حسن . (كتشf الخفاء ٢١٧) .

(٢) رواه أحمد والشیخان .

خامساً - كمالُ الشريعةِ المُحمدية

ومن خصائص هذه الأُمّةِ : أنَّ شريعتها أكملُ الشرائع ، وذلك بنص القرآن .

قال تعالى : « أَلَيْوَمْ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَمْمَتُ عَلَيْكُمْ يَعْمَلَيْتُ وَرَضِيَتُ لَكُمْ إِلَيْسَنَمْ دِيْنَأْ » [المائدة : ٣] .

وهذا إعلانٌ صريحٌ من الحق سبحانه وتعالى بإكمال العقيدة وإكمال الشريعة ، فلا نقص يستدعي الكمال ، ولا قصور يستدعي الإضافة ، ولا محلية أو زمانية تستدعي التطوير أو التحوير ، وهذا الكمال هو من حتميات العُموميَّة المكانية والزَّمانية في هذه الرسالة ، وذلك لأنَّ كُلَّ رَسُولٍ قبل خاتم النَّبِيِّنَ ، إنما أُرسِلَ لِقَوْمٍ في عَصْرٍ ، فهِيَ رِسَالَةٌ خاصَّةٌ لمَجْمُوعَةٍ خاصَّةٍ في بَيْتَهَا خاصَّةٍ في زَمِنٍ مُحدَّدٍ ، فكانت أحكامها وشرائطها متكيفَةً ومحكومةً بتلك المقتضيات والظروف ، لِتَنَاسِبَ حَالَةَ الجماعة وحالةَ الْبَيْتَةِ وحالةَ الزَّمَانِ .

لَكِنَّ لَمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ سِيدُنَا مُحَمَّدُ أُرسِلَ لِكَافَّةِ النَّاسِ ، فَهِيَ رِسَالَةُ الْإِنْسَانِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ ، الَّتِي تُخَاطِبُ فِطْرَتَهُ الَّتِي لَا تَتَبَدَّلُ وَلَا تَتَحَوَّرُ ، وَلَا يَنَالُهَا التَّغْيِيرُ ، فِطْرَةُ اللهِ تَعَالَى الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا .

فَصَلَّى في هذه الرسالة شريعةً تتناول حِيَاةَ الْإِنْسَانِ مِنْ جَمِيعِ أَطْرَافِهَا ، وَفِي كُلِّ جُوانِبِ نَشَاطِهَا ، وَتَضُعُ لَهَا الْمَبَادِئُ الْكُلُّيَّةُ وَالْقَوَاعِدُ الْأَسَاسِيَّةُ ، فِيمَا يَتَطَوَّرُ فِيهَا وَيَتَحَوَّرُ بِتَغْيِيرِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، وَجَعَلَهَا

محتويةً على كلٍّ ما تحتاج إليه حياة الإنسان من ضوابط وتوجيهاتٍ وتشريعاتٍ وتنظيماتٍ لكي تستمر وتنمو وتطور؛ وتتجدد حول هذا المحور وداخل هذا الإطار.

سادساً - (نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ)

ومن خصائص هذه الأمة: أنَّ نورهم يسعى بين أيديهم يوم القيمة بنص القرآن.

قال الله تعالى: «يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ الَّتِي وَالَّذِينَ أَمْنَوْا مَعَهُمْ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَمِّنَ لَنَا نُورًا» [التحريم: ٨] أي: إلى الجنة.

وقد وضَّحتِ السنة المشرفة هذه الخصوصية، كما ثبت في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنِّي لَا أَعْرِفُ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ بَيْنِ الْأَمْمِ، أَغْرِفُهُمْ بُؤْتَوْنَ كُبُّهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَغْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ، وَأَغْرِفُهُمْ بِنُورِهِمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ»^(١).

* * *

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح.

سابعاً - كونهم خير أمة

ومن خصائص هذه الأمة : الخيرية بنص القرآن .

قال تعالى : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ » [آل عمران : ١١٠] وبنص السنة كما قال ﷺ : « أَنْتُمْ تُوَفِّوْنَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » (١) .

وقال ﷺ أيضاً : « أُعْطِيْتُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَقَلَّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هُوَ؟ قَالَ : نُصِّرْتُ بِالرُّغْبِ ، وَأُعْطِيْتُ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ ، وَسُمِّيْتُ أَخْمَدَ ، وَجُعِلَ التُّرَابُ لِي طَهُورًا ، وَجُعِلَتِي خَيْرَ الْأُمَّمِ » (٢) .

ثم ذكر الحق سبحانه وتعالى من أوصافهم المحمودة : إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الخاص والعام فقال : « تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ » [آل عمران : ١١٠] وهذا أيضاً بمثابة الشرط الذي يؤهل للالتفاف بتلك الخيرية ، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبة له في الحج وقدقرأ هذه الآية : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ » ، قال : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَلَيُؤْدِي شَرْطَ اللَّهِ فِيهَا .

وهذه المنقبة الجليلة أشار إليها ﷺ في الحديث المشهور : « لَا تزال

(١) رواه أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه .

(٢) رواه أحمد وإسناده حسن .

طائفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفُهُمْ ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ » ، فَهُوَ بِيَانِ إِبْقَاءِ هَذِهِ الشَّعِيرَةِ فِي الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَلَوْ عَلَى صُورَةِ ضَيْقَةٍ .

وَهَذَا بِخَلَافِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَإِنَّهُمْ أَهْمَلُوا هَذِهِ الشَّعِيرَةَ وَتَنَاسُوهَا مُجَامِلَةً وَرِيَاءً ، أَوْ نَفَاقًا وَاسْتِبْدَالًا لِلَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالذِّي هُوَ خَيْرٌ ، وَلَذِكْ دَمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فَقَالَ : « لِعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَيْنِ إِشْرَاعِ يَلْعَلَ لِسَانَ دَاؤِهِ وَعِيسَى أَبْنَ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَمُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ » [الْمَائِدَةَ : ٧٨] .

فَظَهَرَ أَنَّهُمْ بِتَرْكِهِمْ لِهَذِهِ الشَّعِيرَةِ ؛ اسْتَحْقَوُ اللَّعْنَةَ مِنَ النَّبِيِّ دَادُدْ وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَسَمَّى فِيْغَلَهُمْ مُعْصِيَةً وَعَدُوَانًا ، وَهُوَ بِنَسَقِ الْفَعْلِ وَالْعِيَادَ بِاللَّهِ .

وَتَتَضَعَّ صُورَةُ هَذِهِ الْخَيْرِيَّةِ الْإِلَاهِيَّةِ فِي الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فِي جَلَالَةِ أَكْثَرِ وَعَظِيمَةِ أَكْبَرِ ، عِنْدَ ذِكْرِ مَا يُقَابِلُهَا بِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَالْيَهُودِيَّةِ مَثَلًاً . فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا امْتَدَّحَ الْأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ بِأَنَّهَا خَيْرُ أُمَّةٍ أَخْرَجَتْ لِلنَّاسِ ، وَوَصَفَهَا بِأَوْصَافٍ كَرِيمَةٍ هِيَأُتُّهُمْ لِهَذِهِ الْخَيْرِيَّةِ ، ذَمَّ الْيَهُودَ بِأَقْبَعِ الصَّفَاتِ وَتَوَعَّدُهُمْ سُوءَ الْمَصِيرِ ، وَضَرَبَ الذُّلَّةَ عَلَيْهِمْ وَالْمَسْكَنَةَ لِكُفْرِهِمْ بِآيَاتِهِ سَبْحَانَهُ ، وَقَتْلَهُمْ لِأَنْبِيَائِهِ ، وَتَعْذِيْهُمْ حَدَّوَدَهُ فَقَالَ : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرَجْتُ لِلنَّاسِ » .

وَبِجَانِبِ هَذِهِ الْخَصُوصِيَّةِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا هَذِهِ الْآيَاتُ الْمُبَارَكَاتُ ، فَإِنَّهَا تَحْمِلُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِشَارَةً صَادِقَةً - صَدَقَ الْقُرْآنَ - بِأَنَّ هَذِهِ الْكُثُرَةِ مِنْ أَعْدَانِهِمْ لَنْ يَضُرُّهُمْ ضَرَرًا بِلِيْغًا : « لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَّى إِلَّا أَذَّى » [آل عمرَانَ : ١١١] أَيْ : لَا يَضُرُّوكُمْ إِلَّا ضَرَرًا يَسِيرًا ، كَانُ يُؤْذِيُوكُمْ بِالسُّتُّونِ وَيَلْقَوْنَا الشَّيْبَةَ بِيَنْكُمْ لِيَصْدُوَا مَنْ ضَعُفَ إِيمَانُهُ عَنِ الْحَقِّ ، وَهُوَ الْمَرَادُ بِالْأَذَى فِي

قوله : « لَن يَضْرُوكُمْ إِلَّا أَذَى ۝ » وهذا الضَّرُّ في الواقع لا يؤدي إلى هَدْم كيان الأُمَّة ولا يؤدي إلى اضمحلال قوتها ، فهو ضَمَانٌ حَقٌّ ووَعْدٌ صدقٌ من الحق سبحانه وتعالى أَكَّدَهُ بعده بِوَعْدٍ ثَانٍ ، وهو أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ لَوْ قَاتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ سَيَكُونُ لَهُمُ النَّصْرُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : « وَإِنْ يَقْتِلُوكُمْ يُولُوكُمُ الْأَذْبَارُ ۝ » [آل عمران : ۱۱۱] .

ثُمَّ خَتَمَ هَذَا بِوَعْدٍ ثَالِثٍ ، وَهُوَ أَنَّهُمْ بَعْدَ نَصْرِهِمْ عَلَيْهِمْ ، لَنْ تَكُونَ لِأَهْلِ الْكِتَابِ - وَعَلَى رَأْسِهِمْ الْيَهُودُ - قُوَّةً أَوْ شَوْكَةً لِلْأَخْذِ بِثَارِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ : « ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ۝ » . إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْضَّمَانَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي هِي بِشَارَاتٍ كَرِيمَةٍ ، مَشْرُوطَةٌ بِمَحَافَظَةِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ أَشَارَتْ إِلَيْهِمَا الْآيَةُ .

الْأُولَى : الإِيمَانُ بِاللهِ : « وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۝ » ، الثَّانِي : الدُّعَوَةُ إِلَى الْخَيْرِ : « تَأْمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۝ » فَإِذَا أَرَادَتِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ أَنْ لَا تُصَابَ مِنْ جَهَةِ الْيَهُودِ بِمَا يَأْتِي عَلَىٰ كِيَانِهِمْ فَعَلَيْهِمْ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِرَبِّهِمْ وَالْعَمَلِ بِسَنَةِ نَبِيِّهِمْ ، وَالْتَّقِيَّةُ بِالْحُكَمِ كِتَابَهَا وَإِعْدَادُ الْعُدَّةِ الْكَامِلَةِ لِقَتَالِ عَدُوِّهِمْ وَعَدُوِّهَا ، فَإِذَا لَمْ تَلْتَزِمْ بِذَلِكَ ؛ أَصَابَهَا الْضَّرُّ مِنْ جَهَةِ أَعْدَائِهِمْ وَأَثَّرَ فِي كِيَانِهِمْ وَمَكَّنَ عَدُوِّهِمْ مِنْهُمْ .

إِنَّ وَعْدَ اللهِ تَعَالَى مَا تَخَلَّفَ وَلَنْ يَخْلُفَ ، وَقَدْ حَقَّهُ سَبَّاحَهُ لِأَسْلَافِنَا الصَّالِحِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ حَقًا وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاوْهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ هُمُ الَّذِينَ تَغَيَّرُتْ أَحْوَالُهُمْ ، فَقَدْ فَرَّطُوا فِي دِينِهِمْ وَأَضَاعُوا الصَّلَاةَ ، وَأَكَلُوا الرِّبَا وَانْغَمَسُوا فِي الشَّهْوَاتِ ، وَاتَّبَعُوا خَطُوطَ الشَّيْطَانِ وَتَفَرَّقُوا شِيَعًا وَأَحْزَابًا ، وَتَرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيَّ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَمْ يَكُونُوا أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءَ بَيْنِهِمْ وَلَمْ يُعَذِّبُوا مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قُوَّةٍ لِقَتَالِ عَدُوِّهِمْ كَمَا كَانَ أَسْلَافُهُمْ مِنْ قَبْلِ ، وَلَمْ

يُحسّنوا الشعور بالمسؤولية كما تُريدها تعاليم الإسلام .

أكثر حُكّامهم يَحْكُمُون بغير ما أنزل الله وسُنّة رسول الله ﷺ ، وأكثر علمائهم غَلَب عليهم الحِرْص على الدنيا فنافقوا وجاملوا ، أو سكتوا فتسلّط عليهم الحُكّام ، فلا كَلْمَة حَقّ تُقال ولا حُدُود تُقَام ، ولا ضَرب على أيدي الْفُسَادِ وَالْمُخَرَّبِين ، ولا غَيْرَة على الْحُرْمَات أو المَقَدَّسَات .

فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِك ؛ تَبَدَّلَ حَالَهُم مِّن الْخَيْرِ إِلَى الشَّرِ ، وَسَلْطَةُ اللهِ عَلَيْهِم مِّنْ لَا يَخَافُهُمْ وَلَا يَرْحَمُهُمْ ، لَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ، وَلَئِنْ عَادُوا إِلَى الْمَنْهَجِ الْحَقِّ ، يَعُودُ إِلَيْهِمْ كُلُّ مَا فَقَدُوهُ ، وَلَئِنْ صَدَقُوا اللهَ يَصْدِقُهُمْ ، وَلَئِنْ نَصَرُوهُ يَنْصُرُهُمْ ، وَلَئِنْ وَفَوُا بِعَهْدِ أَمَانَةِ مَا وَرَثُوهُمْ يُحَقِّقُ لَهُمْ مَا وَعَدُهُمْ ، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلَاءً ؟ .

وَإِنَّ الْعَرَبَ فِي حَرْبِهِمْ مَعَ أَعْدَاءِ أُبَيَّاهُ وَمَلَائِكَتِهِ وَكَتَبِهِ لَمَّا تَذَكَّرَ مَعْظُمُهُمْ رَبِّهِمْ فَرَجَعُوا إِلَيْهِ ذَاكِرِينَ دَاعِينَ مُصَلِّينَ حَائِقِينَ رَاجِينَ مُغْتَرِفِينَ بِأَنَّ النَّصْرَ مِنْهُ ، تَبَتَّهُمُ اللهُ بِقَدْرِ رَجَعِهِمْ تِلْكَ مَعَ مَا هُمْ عَلَيْهِ فِي مَجَامِعَهُمْ مِّنْ مُخَالَفَةِ اللهِ وَمُحَارَبَةِ لِأَحْكَامِهِ ، وَمُجَاهِرَةِ بِمَعَاصِيهِ .

أَقُولُ : إِنَّ الْعَرَبَ - مَعَ مَا هُمْ عَلَيْهِ - لَمَّا تَذَكَّرُوا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَمْ يَجِدْ تَذَكُّرَهُمْ ، فَقَدْ تَحَقَّقَ لَهُمْ خَيْرٌ كَبِيرٌ وَنَصْرٌ كَثِيرٌ ، وَانْدَفَعَ عَنْهُمْ عَازٌّ خَطِيرٌ وَوَقَتَتْ مَعَهُمُ الدُّنْيَا مُحَارَبَةً وَمُنَاصِرَةً وَمُؤْيِدَةً ، إِمَّا بِالْفَعْلِ أَوْ بِالْقَوْلِ .

وَإِنَّ الْأَمْلَ يَمْلأُ الْقُلُوبَ فِي أَنْ يَتَمَّ الْبَعْثُ الإِيمَانِيُّ الْإِسْلَامِيُّ ، فَيُرْبِطُ الْحَاضِرَ بِالْمَاضِي ، وَيُرْوِي حَدِيثَ الْمَجْدِ الْعَزِيزِ الْمَشْهُودُ مُتَصَلِّاً مُسَنِّداً مَرْفُوعَأً .

* * *

ثامناً - كون المسيح عيسى من أفراد هذه الأمة

إنَّ من أفراد هذه الأمة نبياً عظيماً من أولي العزم ، وهو المسيح عيسى عليه السلام ، فإنه حين ينزل يكون من هذه الأمة اتفاقاً ، مع بقائه على نبوته ، بل ذهب جمُّعُ من العلماء إلى أنه صاحبٌ لاجتماعه بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو حَيٌّ مؤمناً به ومصدقاً .

وإذا نزل فإنما يَحْكُم بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهو تَابِعٌ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولذلك فإنه يُصْلِي مَأْمُوماً مع جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ كما جاء في الحديث في «الصَّحِيفَتَيْنِ» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَّلَ أَبْنُ مَرْيَمَ فِينَكُمْ وَإِمَامَكُمْ مِنْكُمْ» .

وفي «صحيح مسلم» : «فَيَنْزَلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ : تَعَالَى صَلَّى لَنَا ، فَيَقُولُ : لَا ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرَاءٌ تَكْرِمَةُ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ» .

وفي «مسند أحمد» : «فَإِذَا بِعِيسَى فَيُقَالُ : تَقَدَّمْ ، فَيَقُولُ : لَيَتَقَدَّمْ إِمَامَكُمْ فَلَيُصَلِّ بِكُمْ» .

وفي «سنن ابن ماجه» : «إِنَّ عِيسَى يَقُولُ لِلإِمَامِ صَلَّى ، فَإِنَّهَا أُقْتِمَتْ لَكَ» .

والحاصلُ : أنَّ الْأَخْبَارَ تَوَاتَرَتْ بِأَنَّ عِيسَى يُصْلِي مَأْمُوماً يَوْمَ يَنْزَلُ خَلِيفَةً فِي الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا مِنْ أَفْرَادِهَا وَمِنْ أَتَابِعِ نَبِيِّهَا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَّا أَنَّهُ رَسُولٌ وَنَبِيٌّ كَرِيمٌ ، لَا كَمَا يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ

يأتي واحداً من هذه الأمة بدون نبوة ورسالة ، ويجهل أنهم لا تزولان بالموت ، فكيف بمن هو حيٌ وقد جاء في «الصحيحين» : «لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيْكُمْ أَبْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُفْسِطًا ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيْبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ ، وَيَأْصُمُ الْجِزِيرَةَ» ، ويزيدُ هذا المعنى وضوحاً ، حديث عبد الله بن مغفل : «يَنْزَلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ عَلَى مِلَّتِهِ»^(١) .

وليس في الرسل من يتبعه رسولٌ عاماً بشرعيته تاركاً للشرع الذي أوحى به ، إلَّا نبيّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنّه نبيُّ الأنبياء .

* * *

(١) رواه الطبراني ونقله الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية ٥/٣٤٩.

تاسعاً - ثبوت البشارة بالجنة لآخر هذه الأمة كما ثبت لأولها

جاء في الحديث عن أبي أمامة الباهلي أنه رض قال : « طوبى لمن رأني وأمن بي ، وطوبى - سبعة مرات - لمن لم يرني وأمن بي ». أخرجه أحمد والبخاري في «التاريخ» وابن حبان والحاكم بلفظ : « طوبى لمن رأني وأمن بي (مرة) ، وطوبى لمن لم يرني وأمن بي - سبعة مرات - » وصححه الحاكم وتعقب ، لكن له شاهد من حديث أنس عند أحمد .

وروى الطيالسي وعبد بن حميد عن ابن عمر قال : سُئل رسول الله صل فقيل : أرأيت من آمن بك ولم يرك وصدقك ولم يرك ، قال : « أولئك إخوانني أولئك معي ، طوبى لمن رأني وأمن بي ، طوبى لمن آمن بي ولم يرني - ثلاث مرات - » .

وروى الطبراني برجال ثقات والحاكم عن عبد الله بن سر مرفوعاً : « طوبى لمن رأني وأمن بي ، وطوبى لمن رأى من رأني ، وطوبى لمن رأى من رأني ، طوبى لهم وحسن مأب ». .

وجاء في حديث أخرجه أحمد وابن حبان زيادة ، وهي : أنه سُئل صل : وما طوبى؟ فقال : « شجرة في الجنة ». .

وبهذا ثبت فضل الإيمان به صل أولاً وأخراً لهذه الأمة .

* * *

عاشرًا - ثبوت الفضل لآخر هذه الأمة كما ثبت لأولها

تثبت بالاتفاق أفضلية عصره ﷺ ويدل على ذلك ما جاء في «الصحابيين» وغيرهما : «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنَيِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» .

قال العلماء : المقصود بذلك عصر الصحابة ومدتهم من البعثة مائة وعشرون سنة ، أو دونها بقليل أو فوقها بقليل على الخلاف في وفاة آخر الصحابة موتاً أبي الطفيلي .

وقوله : «**ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» أي : القرن الذين بعدهم ، وهم التابعون ، ومدتهم نحو سبعين أو ثمانين سنة إن اعتبر من سنة مائة . وقوله : «**ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» وهم أتباع التابعين نحواً من خمسين إلى حدود عشرين ومائتين ، وهذا يدل على أنَّ أول هذه الأمة أفضل من كُلَّ من يأتي بعده ، وذهب أبو عمر بن عبد البر أنه قد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة أفضلُ ممَّن كان في جملة الصحابة .

جاء عن عمر بن الخطاب قال : كنتُ جالساً عند رسول الله ﷺ فقال : «**أَتَدْرُونَ أَيُّ الْخَلْقِ أَفْضَلُ إِيمَانًا؟**» قلنا : الملائكة ، قال : **وَحْقٌ لَهُمْ** ، بل غيرهم ، قلنا : الأنبياء ، قال : **وَحْقٌ لَهُمْ** ، بل غيرهم . قال ﷺ : **أَفْضَلُ الْخَلْقِ إِيمَانًا ، قَوْمٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرْفَنِي ، فَهُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ إِيمَانًا**»^(١) .

(١) رواه الطبراني بأسناد حسن ، وأبو داود الطيالسي ، وحسنه ابن عبد البر .

وجاء أيضاً عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال :
يا رسول الله : « هَلْ أَحَدٌ خَيْرٌ مِّنَ اسْلَمَنَا مَعَكَ وَجَاهَنَا مَعَكَ ، قَالَ :
قَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي »^(١) .

ونحن لا نُحِبُّ أن نتعرَّضُ إلى الخلاف الجاري بين العلماء في قضية التسوية بين أول هذه الأمة وآخرها في فضل الأعمال ، غير أنَّ ذلك لا يمنعنا من القول بأنَّ مُشاهدة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورُؤيته ، لا يغدوها شيء .

* * *

(١) رواه أحمد والطبراني وصححه الحاكم .

الحادي عشر - وجود قبر نبئنا عليه بالتعيين

ومن فضل الله الذي شرف به هذه الأمة فامتازت به على من سواها من الأمم ، أنَّ قبر نبئنا وسيدنا محمد ﷺ معلوم عندنا بيقين وتواتر ، لا شكَّ في ذلك ولا ريب . فتردُّ الناس في كُلٍّ وقتٍ وحين ، وتتكبَّد مشاق السفر وعنة إلَى قبره الشريف ، مع امتلاء قلوبهم بالعلم التام واليقين الكامل على أنه عليه في هذا المكان المشهود ، وهذه حُجُّاته المعروفة ومساكن زوجاته ، وهذه روضته المطهَّرة .

هذا الشرفُ والفضلُ لم يثبت لنبيٍّ غيره ﷺ ، ولا لأُمَّةٍ غير الأمة المُحمدية :

وفي هذا يقول ابن حجر :

ولم تُعلَم مقابرُهُم بأرضٍ يقيناً غير ما سكنَ الرَّسُولُ
وقال الإمام مالك رضي الله عنه للمهدي : يا أمير المؤمنين ، إنك تَدخل الآن المدينة فتمُرُّ بقوم عن يمينك ويسارك ، وهم أولاد المهاجرين ، فَسَلِّمْ عليهم ، فإنه ما على وجه الأرض قومٌ خَيْرٌ من أهل المدينة ، ولا خَيْرٌ من المدينة .

فقال له : ومن أين قُلتَ ذلك يا أبا عبد الله؟ قال : لأنَّه لا يُعرَفُ قبرُ نبئيَّ اليوم على وجه الأرض ، غيرُ قبرِ محمد ﷺ ، ومن قبرِ محمدٍ عِنْدَهُم ، فَيُنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ فضلُهم على غيرِهم⁽¹⁾ .

(1) كذا في «ترتيب المدارك».

فالقبر الشريف موضع تنزيل الرحمة الإلهية كما جاء في الحديث عن
كعب رضي الله عنه : « مَا مِنْ فَجْرٍ يَطْلُعُ إِلَّا وَيَنْزَلُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ
الْمَلَائِكَةَ حَتَّى يَحْفُوا بِالْقَبْرِ يَضْرِبُوْنَ بِأَجْنِحَتِهِمْ وَيُصَلُّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ حَتَّى إِذَا
أَمْسَوْا عَرَجُوا وَهَبَطَ سَبْعُونَ أَلْفًا حَتَّى يَحْفُوا بِالْقَبْرِ يَضْرِبُوْنَ بِأَجْنِحَتِهِمْ
فَيُصَلُّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ سَبْعُونَ أَلْفًا بِاللَّيْلِ وَسَبْعُونَ أَلْفًا بِالنَّهَارِ »^(١) .

* * *

(١) رواه الحافظ إسماعيل القاضي في « فضل الصلاة على النبي ﷺ » .

الثاني عشر - ذِكْرُ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ

قال الله تعالى : «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةٌ بِنَفْسِهِمْ رَبُّهُمْ رَبُّكُمْ سُجَّدَ لَهُمْ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضِيَّ عَنْهُمْ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَنْفُرِ الْمُسْجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي الْتَّورَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٌ أَخْرَجَ شَطَعَهُ» [الفتح : ٢٩] .

وأخرج الدارمي في «مسنده» وابن عساكر عن كعب قال : في السطر الأول : محمد رسول الله عبدي المختار ، لا فَظٌ ولا غَليظٌ ولا سَخَابٌ في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يَغْفُرُ ويَصْفُحُ ويَغْفِرُ ، مولده بمكة وهجرته بطيبة ، وملكه بالشام . وفي السطر الثاني : محمد رسول الله ، أمه الحمادون يحمدون الله في السراء والضياء ، يحمدون الله في كل منزل ويكتُبُونه على كُلِّ شَرْفٍ ، رُعَاةُ الشَّمْسِ يَصْلُونَ الصلاة إذا جاء وقتها ، ولو كانوا على رأس كُنَاسَةٍ^(١) ، ويَأْتِرُونَ^(٢) على أوساطهم ، ويُوضَّئُونَ أطرافهم ، وأصواتهم بالليل في جو السماء كأصوات النَّحل .

وفي رواية أخرى عند الدارمي وابن سعد وابن عساكر زيادة وهي : «يَصْفُونَ فِي صَلَاتِهِمْ كَمَا يَصْفُونَ فِي قَتَالِهِمْ ، دَوِيُّهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ كَدِوِيِّ النَّخْلِ ، يُسْمَعُ مَنَادِيهِمْ فِي جَوِ السَّمَاءِ» .

(١) مزيلة .

(٢) يَشْدُونَ الْأَذْرَ .

وفي رواية عند الزبير بن بكار وأبي نعيم زيادة : « أناجيلهم في صدورهم ، قربانهم الذي يتقررون به إلى دماؤه ، رهبان بالليل ليوث بالنهار » .

وفي رواية عن أبي هريرة عند أبي نعيم : جاء في أوصاف هذه الأمة في التوراة : أنهم الآخرون السابقون ، المستجيبون المستجاب لهم ، أناجيلهم في صدورهم يقرؤونه ظاهراً ، يأكلون الفيء ، يجعلون الصدقة في بطونهم يؤجرون عليها ، إذا هم أحدهم بحسنة فلم ي عملها كتب لها حسنة واحدة ، وإن عملها كتب لها عشر حسناً ، وإذا هم أحدهم بسيئة فلم ي عملها ، لم تكتب ، وإن عملها كتب سيئة واحدة ، يؤتون العلم الأول والآخر ، فيقتلون قرون الضلاله وال المسيح الدجال .

وفي رواية عن كعب الأحبار عند أبي نعيم أيضاً : جاء في وصف هذه الأمة أنها خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والآخر ، إذا أرادوا أمراً قالوا : نفعله إن شاء الله ، الصعيد لهم ظهور والأرض لهم مسجد ، غرّ محجلون من آثار الوضوء ، أمة مرحومةٌ ضعفاء ، يؤتون الكتاب ، اصطفيتهم ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق للخيرات ، لا يدخل النار منهم إلا من برأه من الحسنات مثل ما برأه الحجر من ورق الشجر .

وفي رواية عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن كعب أخرجها أبو نعيم أيضاً : إذا غزوا في سبيل الله ، كانت الملائكة بين أيديهم ومن خلفهم برماح شداد ، وإن حضروا الصفة في سبيل الله ، كان الله عليهم مظللاً .

وفي رواية عن أنس مرفوعاً أخرجها أبو نعيم في « الحلية » أيضاً : إن الجنة محَرَّمةٌ على جميع الخلق حتى يدخلها (أي : محمد ﷺ) وأمته

صائمون بالنهار ، رهبانٌ بالليل ، أقبلُ منهم اليسير ، وأدخلهم الجنة
بشهادة أن لا إله إلا الله .

وفي رواية عن وهب بن مُنبهٍ أخرجها ابن أبي حاتم وأبو ثعيم : جاء
في وصف الأمة المحمدية ما يأتى : أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالَهُ قَالَ : أَلْهَمَهُم
الْتَّسْبِيحَ وَالْتَّحْمِيدَ وَالْتَّكْبِيرَ وَالْتَّوْحِيدَ ، فِي مَسَاجِدِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ
وَمَضَاجِعِهِمْ وَمَتَقْلِبِهِمْ وَمَثَوَّهِمْ ، هُمْ أُولَيَّاً وَأَنْصَارِيَّ ، أَنْتَقَمُ بِهِمْ مِنْ
أَعْدَائِي عَبْدَةِ الْأَوْثَانِ ، يَصْلَوُنَ لِي قِيَاماً وَقَعْدَا وَرُكُعاً وَسَجُودَاً ،
وَيَخْرُجُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ أَبْتَغَاءَ مَرْضَاتِي الْوَفَا ، وَيَقْاتَلُونَ فِي
سَبِيلِي صَفْوَا وَرُحْوَا . ثُمَّ قَالَ : أَجْعَلْهُمْ أَفْضَلَ الْأَمْمَ ، وَأَجْعَلْهُمْ أَمَّةً
وَسَطَا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، إِذَا غَضِبُوا هَلَّوْنِي ، وَإِذَا قَبْضُوا كَبَرَوْنِي ،
وَإِذَا تَنَازَعُوا سَبَحُونِي ، يُطَهِّرُونَ الْوُجُوهَ وَالْأَطْرَافَ ، وَيُشَدُّونَ الثِّيَابَ إِلَى
الْأَنْصَافَ ، وَيَهْلِلُونَ عَلَى النَّلَالِ وَالْأَشْرَافِ .

وروى البيهقي عن وهب بن مُنبهٍ وفيه : أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ :
أَمَّةٌ - يَعْنِي مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَرْحُومَةٌ أُعْطِيَتُهُمْ مِنَ النَّوَافِلِ مِثْلَ مَا أُعْطِيَتِ
الْأَنْبِيَاءَ ، وَأَفْتَرَضَتْ عَلَيْهِمُ الْفَرَائِضُ الَّتِي أَفْتَرَضَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُلِ ،
حَتَّى يَأْتُونِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنُورُهُمْ مِثْلُ نُورِ الْأَنْبِيَاءِ .

* * *

الثالث عشر - أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالٍ

اختص الله هذه الأمة بأن لا تجتمع على ضلاله ، ونشأ من ذلك أنَّ إجماعهم حجَّةٌ ، وبأن اختلافهم رحمةٌ ، فكان اختلاف من قبلهم عذاباً .

أخرج أحمد والطبراني عن أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « سأَلْتُ اللَّهَ أَنْ لَا يَجْمِعَ أُمَّتِي عَلَى الضَّلَالِ ، فَأَعْطَانِيهَا . وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُظْهِرَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا ، فَأَعْطَانِيهَا ». الحديث .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهمَا عن النبي ﷺ قال : « لَا يَجْمِعَ اللَّهُ أُمَّتِي عَلَى الضَّلَالِ أَبْدًا ». .

وأخرج الشيخ نصر المقدسي في « كتاب الحجَّة » قال

رسول الله ﷺ : « اختلافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ ». .

وهذا الحديث رواه أيضاً الديلمي في « مسند الفردوس » عن ابن عباس مرفوعاً .

وروى الترمذى عن ابن عمر رضي الله عنهمَا أَنَّ رسول الله ﷺ قال :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمِعُ أُمَّتِي ، أَوْ قَالَ : أُمَّةً مُّحَمَّدٌ عَلَى ضَلَالٍ ، وَيَدُ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ ، وَمَنْ شَدَّ شَدَّةً فِي النَّارِ ». .

وروى أبو داود عن أبي مالك الأشعري عن رسول الله ﷺ قال : « قَدْ أَجَارَكُمُ اللَّهُ مِنْ ثَلَاثَةِ خَلَالٍ ، ذَكَرَ مِنْهَا : وَأَنَّ لَا تَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلَالٍ ». .

* * *

الرابع عشر - أَنَّ اللَّهَ لَا يُهْلِكُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِجُوعٍ وَلَا غَرْقٍ

اختص الله هذه الأمة بأن لا يهلكها بجوع ولا بغرق ولا يعذبوا بعذاب عذب به من قبلهم ، ولا يسلط عليهم عدواً غيرهم فيستريح بيضتهم .

أخرج مسلم عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ زَوِيَ لِيَ الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيِّلْنُغُ مَا زُوِيَ لِيَ مِنْهَا ، وَأُعْطِيَتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَخْمَرَ وَالْأَبْيَضَ ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَلَا يُسْلِطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًا مِنْ سِوَى أَنفُسِهِمْ فَيَسْتَرِيغُهُمْ بِيَضْتَهُمْ ، فَأَعْطَانِي » .

وأخرج ابن أبي شيبة عن سعد أن النبي ﷺ قال : « سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ ، فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرْقِ ، فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بِأَسْهُمْ بَيْتَهُمْ ، فَرُدِّتْ عَلَيَّ » .

وأخرج الدارمي وابن عساكر عن عمرو بن قيس أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ أَدْرَكَ بِي الْأَجَلَ الْمَرْحُومَ وَاخْتَارَنِي أَخْتِيَارًا ، فَتَخَنَّنُ الْأَخْرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنِّي قَاتِلٌ قَوْلًا غَيْرَ فَخْرٍ : إِنْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ ، وَمُوسَى صَفَّيُ اللَّهِ ، وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ ، وَمَعِي لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي فِي أُمَّتِي وَأَجَارَهُمْ مِنْ ثَلَاثٍ : لَا يَعْمَلُهُمْ بِسَنَةٍ ، وَلَا يَسْتَأْصِلُهُمْ عَدُوٌّ ، وَلَا يَجْمِعُهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ » .

وعند أبي داود من حديث أبي مالك الأشعري : « قَدْ أَجَارَكُمُ اللَّهُ مِنْ ثَلَاثٍ خَلَالٍ : أَنَّ لَا يَذْعُو عَلَيْكُمْ نَيْتُكُمْ فَتَهْلِكُوا جَمِيعًا ، وَأَنَّ لَا يَظْهَرَ أَهْلُ الْبَاطِلِ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ ، وَأَنَّ لَا تَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلَالَةٍ » .

شرف الوضوء وفضله

ومن الشرف الذي أدخله الله تعالى لهذه الأمة : ما أعده الله من الثواب الجزيل والفضل الجميل على الوضوء .

فمن ذلك : أن الوضوء يطهّر الإنسان من الخطايا وينظّف جوارحه واحدة واحدة ، فكُلّما غسل جارحته ، خرجت منها الخطايا التي أقترفتها .

قال ﷺ : « مَنْ تَوَضَّأَ وَأَخْسَنَ الْوُضُوءَ ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسِدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَهْتِ أَظْفَارِهِ »^(١) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوِ الْمُؤْمِنُ فَغَسَّلَ وَجْهَهُ ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بَعْتَنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرٍ قَطْرِ الْمَاءِ . فَإِذَا غَسَّلَ يَدَيْهِ ، خَرَجَ مِنْ يَدِيهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرٍ قَطْرِ الْمَاءِ . فَإِذَا غَسَّلَ رِجْلَيْهِ ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَسْتَنَدَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرٍ قَطْرِ الْمَاءِ ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ »^(٢) .

وفي رواية عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

« ما منكم رجُلٌ يقرُبُ وَضُوءَه فَيَمْضِي مُضْ . إِلَّا خَرَّتْ
 خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخَيَاشِينِهِ . ثُمَّ إِذَا عَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمْرَهُ اللَّهُ ، إِلَّا خَرَّتْ
 خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحَيَّتِهِ مَعَ الْمَاءِ . ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِزْفَنِ ، إِلَّا
 خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ . ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ ، إِلَّا خَرَّتْ
 خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ . ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، إِلَّا
 خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى فَحَمِدَ اللَّهَ
 وَأَتَّقَى عَلَيْهِ وَمَجَدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَفْلَى ، وَفَرَغَ قَلْبُهُ لِلَّهِ ، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ
 خَطِيئَتِهِ كَهِيَّتِهِ كَيْرُمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ »^(١) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ الْوُضُوءَ عَلَى الْمَكَارِهِ يَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ .

عَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أَلَا أَذْكُرُ
 عَلَى مَا يَنْمُحُ اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيُرَفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
 قَالَ : إِنْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخَطْطَاءِ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَأَنْتِظَارُ
 الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذِلِكُمُ الرِّبَاطُ فَذِلِكُمُ الرِّبَاطُ »^(٢) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ الشَّهَادَةَ بَعْدَ الْوُضُوءِ سَبِبُ دُخُولِ الْجَنَّةِ .

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ
 تَوَضَّأَ فَأَخْسَنَ وَضُوءَهُ ثُمَّ قَالَ : أَشَهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
 وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ أَجْعَلْنِي مِنَ التَّوَابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ
 الْمُتَطَهِّرِينَ ، فَتُبَيَّنَ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الْثَّمَانِيَّةِ يَذْخُلُهَا مِنْ أَيِّهَا شَاءَ »^(٣) .

* * *

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم والترمذى بمعناه ولم يذكر مسلم : اللَّهُمَّ أَجْعَلْنِي مِنَ التَّوَابِينَ وَاجْعَلْنِي
 مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ .

فَضْلُ الْأَذَانِ وَشَرْفُ الْمُؤَذَّنِينَ

وَمِنْ شَرْفِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ : أَنَّ اللَّهَ أَخْتَصَهَا بِالْأَذَانِ . وَقَدْ جَاءَ فِي
فَضْلِهِ وَفَضْلِ الْمُؤَذَّنِينَ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ تُبَيِّنُ شَرْفَهُمْ وَمَا أَخْتَصَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
بِهِ مِنْ مَنَافِعٍ وَمَزَایَا .

فَمِنْهَا : أَنَّ الْمُؤَذِّنَ يَشَهُدُ لِهِ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ صَوْتَهُ بِالْأَذَانِ ، كَمَا جَاءَ فِي
الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « لَا يَسْمَعُ مَدْرِي
صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسَانٌ وَلَا شَيْءٌ ، إِلَّا يَشَهُدُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(١) .
وَفِي رَوَايَةِ : « أَنَّهُ يَشَهُدُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَبَابِسٍ »^(٢) .

وَمِنْهَا : أَنَّ لِلْأَذَانِ فَضْلًا خَفِيًّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ
مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفَّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا لَا سَتَهِمُوا
عَلَيْهِ »^(٣) .

وَالْمُرَادُ بِالنَّدَاءِ الْأَذَانِ . وَقَوْلُهُ : « أَسْتَهِمُوا » أَيْ أَقْتَرِعُوا . وَمَعْنَاهُ :
أَنَّهُمْ لَوْ عَلِمُوا فَضْلَةً الْأَذَانِ وَقَدْرَهَا وَعَظِيمٌ جَزَاهُ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا طَرِيقًا

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه البخاري .

يحصلونه لضيق الوقت عن أذان بعد أذان ، أو لكونه لا يؤذن للمسجد إلا واحد ، لاقترعوا في تحصيله .

ومنها : أن رفع الصوت بالأذان لتحصيل ثواب الله وشهادة كل شيء بالتوحيد للمؤذن ، أمر محبوب يستحق أن يتقاتل عليه الناس بالسيوف .

فعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لو يعلم الناس ما في التأذين ، لتضاربوا عليه بالسيوف »^(١) ، أي لحصل نزاع شريف وتقاتل بسيط على النصر والفوز في المنافسة الخيرية ، وهذا من باب الترغيب ، وإنما المقاتلة لا تجوز ، بل الخلاف على ذلك لا يجوز .

ومنها : أن المؤذن معه رحمة الله وعونه ، ومساعدته وإحسانه ، وفي أي مكان سار ووصل تحيط به رحمة الله تعالى . روي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يد الرئخمن فوق رأس المؤذن ، وإن ليغفر له مدى صوته أين بلغ »^(٢) .

ومنها : أن المؤذن أمين وهو محل ثقة الناس ، يعتمدون عليه في معرفة وقت إفطارهم ووقت صلاتهم . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الإمام ضامن والمؤذن موثمن » . اللهم أزد الأئمة وأغfir للمؤذنين »^(٣) .

وهذا دعاء عظيم من الرسول الكريم ﷺ للمؤذنين ، فهنيئا لهم بهذه الدعوة النبوية المجابة .

ومنها : أن المؤذن يطرد بأذانه الشيطان . فعن جابر رضي الله عنه قال :

(١) رواه أحمد وفي إسناده ابن لهيعة .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط .

(٣) رواه أبو داود والترمذى وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما إلا أنهما قالا : فارشد الله الأئمة وغفر للمؤذنين . ولا ابن خزيمة رواية كرواية أبي داود .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النُّدَاءَ بِالصَّلَاةِ ، ذَهَبَ حَتَّى يَكُونَ مَكَانَ الرَّوْحَاءِ ». قال الراوي : والرَّوْحَاءُ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى سَتَّةِ وَثَلَاثَيْنِ مِيلًا^(١) . وهي التي تعرف اليوم ببئر الراحة بعد المُسِيْجِيدِ .

قال النووي : وقيل : إنما يُذَبِّرُ الشَّيْطَانُ لِعَظَمِ أَمْرِ الْأَذَانِ ، لِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ قَوَاعِدِ التَّوْحِيدِ وَإِظْهَارِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ وَإِعْلَانِهِ . وَقِيلَ : لِيَأْسِهِ مِنْ وَسْوَسَةِ الْإِنْسَانِ عِنْدِ الْإِعْلَانِ بِالْتَّوْحِيدِ . اهـ .

وَالْمُؤْذِنُونَ هُمْ مِنْ أَحَبِّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

رُوِيَّ عَنْ أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَنْ أَقْسِنَ مُبَرَّزٌ ، إِنَّ أَحَبَّ عِبَادَ اللَّهِ إِلَيْهِ ، لِرُعَاةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ - يَعْنِي الْمُؤْذِنِينَ - ، وَإِنَّهُمْ لَيُغَرِّفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِطُولِ أَغْنَاقِهِمْ »^(٢) .

وَمِنْ مَزاِيَا الْمُؤْذِنِينَ : أَنَّ إِتَّمَامَ غُفْرَانِ اللَّهِ لِلْمُؤْذِنِ وَدَرْكِ رَحْمَتِهِ تَعَالَى لَهُ ، بِقَدْرِ الْفَرَاغِ الَّذِي يَمْلُؤُهُ صَوْتُهُ . فَعَنْ أَبْنَى عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يُغَفَّرُ لِلْمُؤْذِنِ مُتَّهِيَّ أَذَانِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَبَأْسٍ سَمِعَهُ »^(٣) .

وَمِنْهَا : أَنَّ الْمُؤْذِنَ سَبْعَ سَنِينَ احْتَسَابًا لَهُ تَعَالَى ، تُكْتَبُ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط . وقوله رعاة الشمس والقمر أي الذين يتربّون حركات الكواكب لترشدهم إلى أوقات عبادة الله عز وجل من صبح وظهر وعصر وغرب وعشاء . كما أن الراعي يراقب حركات الماشية .

(٣) رواه أحمد بأسناد صحيح .

النبي ﷺ قال : « مَنْ أَذْنَ سَبْعَ سِنِينَ مُخْتَسِبًا ، كُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ »^(١) .

ومنها : أَنَّ الْمُؤْذِنَ مَحْفُوظٌ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ فِي مَكَانٍ بَارِزٍ مُتَمَيِّزٍ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْمَوْقِفِ ، كَمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « الْمُؤْذِنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَغْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٢) .

ومنها : أَنَّ مَنْ أَذْنَ أَثْنَيْ عَشَرَةَ سَنَةً ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَذْنَ أَثْنَيْ عَشَرَةَ سَنَةً ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَكُتِبَ لَهُ بِتَأْذِينِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ سُتُّونَ حَسَنَةً ، وَلِكُلِّ إِقَامَةٍ ثَلَاثَوْنَ حَسَنَةً »^(٣) .

وَالْمُؤْذِنُونَ هُمْ مِنْ خِيَارِ عبادِ اللَّهِ ، جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ خِيَارَ عبادِ اللَّهِ ، الَّذِينَ يُرَاوِعُونَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ لِذِكْرِ اللَّهِ »^(٤) .

وَالْمُؤْذِنُونَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى حَالِهِمُ الَّذِي مَاتُوا عَلَيْهِ ، فَالنَّاسُ فِي هَلْعٍ وَخَوْفٍ وَجُزُعٍ ، وَهُمْ مُشْتَغَلُونَ بِالْأَذَانِ . رُوِيَ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الْمُؤْذِنَينَ وَالْمُلْبَّيِّنَ يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَؤَدِّنُ الْمُؤْذَنَ وَيُلَبِّيَ الْمُلْبَّيَ »^(٥) .

(١) أَخْرَجَهُ التَّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

(٣) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي سَنْتِهِ .

(٤) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ . وَالبِزَّارُ وَالحاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ . ثُمَّ رَوَاهُ مُوقِفًا وَقَالَ : هَذَا لَا يَفْسَدُ الْأُولَى لَأَنَّ ابْنَ عَيْنَةَ حَفَظَ وَكَذَّلَكَ ابْنَ الْمِبَارَكَ أَهْدَى . وَرَوَاهُ أَبْوَ حَفْصٍ ابْنَ شَاهِينَ وَقَالَ : تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ عَيْنَةَ عَنْ مِسْعَرٍ وَحَدَّثَ بِهِ غَيْرُهُ وَهُوَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ .

(٥) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ .

والمؤذنون يوم القيمة على كثيابٍ من مسلكٍ يراثُم الناس ، فيتمنى كُلُّ واحدٍ مقامهم ، لا يهولهم الفزعُ الأكبر ، ولا يفزعُون يوم يفزعُ الناس .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ثلاثةٌ على كثيابِ المُسْنِدِ ، وأرَاهُ قال : يوم القيمة ». زاد في رواية : « يغطُّهم الأوَّلُونَ والآخِرُونَ : عبدٌ أدى حقَّ الله وحقَّ مَوَالِيهِ ، ورَجُلٌ أَمَّ قوماً وهم بِهِ راضُونَ ، ورَجُلٌ يُنَادِي بالصلواتِ الْخَمْسِ في كُلِّ يومٍ وليلةٍ »^(١) .

وفي رواية عند الطبراني في « الأوسط » و« الصغير » بِإسنادٍ لا بأس به : « لا يَهُولُهُمْ الفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَلَا يَنَالُهُمْ حِسَابُ ، هُمْ عَلَى كُتُبٍ مِنْ مِسْنِكِ حتى يُفَرَّغَ من حسابِ الخلاقي » .

وفي رواية أخرى عند الطبراني في « الكبير » ، عن ابن عمر رضي الله عنهم قال : لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلَّا مَرَّةً ومرةً حتى عَدَ سبع مرات ، لَمَا حَدَّثَتْ به : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ثلاثةٌ على كثيابِ المُسْنِدِ يوم القيمة لا يَهُولُهُمْ الفَزَعُ وَلَا يَفْزَعُونَ حِينَ يَفْزَعُ النَّاسُ » .

والمؤذنُ المُحْتَسِبُ كالشهيد ، جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤذنُ المُحْتَسِبُ كالشهيد المُتَشَحَّطُ في دِمَهِ ، يَتَمَّنِي عَلَى اللهِ مَا يَشَهِي بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ »^(٢) .

والمؤذنُ المُحْتَسِبُ إذا مات فإن جسمه محفوظٌ لا يأكله الدُّود ، فعن

(١) رواه أحمد والترمذى من رواية سفيان عن أبي اليقظان عن زادان عنه وقال حديث حسن غريب .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط .

والمحتسِبُ : الذي يطلب أجره من الله تعالى أكثر ثواباً من المؤجر ، ومعنى المتشحط : أي المتخبط فيه يعني المضطرب المترنح .

عبد الله بن عمر رضي الله عنهمما قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤذن المُخْتَسِبُ كَالشَّهِيدِ الْمُتَشَحِّطِ فِي دِمِهِ ، إِذَا ماتَ لَمْ يُدَوَّذْ فِي قَبْرِهِ »^(١) .

وهذه مُكافأةٌ من الله تعالى للمؤذن الذي يحافظ على إيقاظ الناس ، أن يحيا في قبره ويشعر بنعيم ربه ، وَيُنْقَى وَيُطَهَّرُ جسمه ، ولا يتن ولا يقدر ، وَيَسْلَمُ من الدُّودِ الذي يَتَشَائِمُ مِنْ عُفُونَةِ الْجَسْمِ ، لكن الشرط أن يكون محتسباً . أما إذا كان مؤذنًا فاسقاً وطماعاً ومختالاً ، فَيُطْلَقُ الله عليه الحشرات في قبره تهشّه نَهْشَا وَيُبَلِّي جَسْمَهُ وَيُعَذَّبُ عَذَاباً أَلِيمَا .

ومن فضائل الأذان أنه أمان لأهله .

رُوِيَّ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أذنَ في قرية ، أمنَّا الله عَزَّ وَجَلَّ من عذابه ذلك اليوم^(٢) .

وفي رواية : قال رسول الله ﷺ : « أَيُّمَا قَوْمٌ نُودِيَ فِيهِمْ بِالْأَذَانِ صُبَاحاً ، إِلَّا كَانُوا فِي أَمَانٍ اللَّهُ حَتَّى يُمْسِوُا ، وَأَيُّمَا قَوْمٌ نُودِيَ فِيهِمْ بِالْأَذَانِ مَسَاءً ، إِلَّا كَانُوا فِي أَمَانٍ اللَّهُ حَتَّى يُضْبِحُوْا »^(٣) .

ومن فضائل الأذان : ما جاء في الحديث عن هلال بن يساف رضي الله عنه أنه سمع معاوية يُحَدِّثُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ سَمِعَ الْمُؤْذِنَ فَقَالَ مِثْلَ مَا يَقُولُ ، فَلَهُ مِثْلُ أَخْرِهِ »^(٤) .

ومن فضائل الأذان : أَنَّ مِنْ أَجَابَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ أَلْفُ الْفِ درجة ،

(١) رواه الطبراني في الكبير وقال الهيثمي : وفيه محمد بن الفضل القطاني ولم أجده من ذكره .

(٢) رواه الطبراني في معاجمه الثالث .

(٣) رواه الطبراني في الكبير من حديث مَعْقِلَ بن يسَار .

(٤) رواه الطبراني في الكبير من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيِّين لكن منته حسن وشهاده كثيرة .

وهذا رُوِيَ في الحديث عن السيدة ميمونة رضي الله عنها مرفوعاً ، وهو وإن كان ضعيفاً ، إلَّا أنه تبُثُ بمثله الفَضَائِلِ^(١) .

ومن خصائص الأذان : أن من خرج من المسجد بعد سماعه الأذان من غير عذر أو إرادة الرجوع إليه مرة أخرى ، فهو منافق .

رُوِيَ عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَذْرَكَهُ الْأَذَانُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ خَرَجَ لِمَا يَخْرُجُ لِحَاجَةٍ وَهُوَ لَا يُرِيدُ الرَّجْعَةَ ، فَهُوَ مُنَافِقٌ »^(٢) .

* * *

(١) وقد رواه الطبراني في الكبير .

(٢) رواه ابن ماجه .

فَضْلٌ إِجَابَةِ الْمُؤْذِنِ

وَمِنْ شَرْفِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ : مَا جَاءَ فِي فَضْلِ إِجَابَةِ الْمُؤْذِنِ مِنَ الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ وَالْأَجْرِ الْكَرِيمِ .

فَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا قَالَ الْمُؤْذِنُ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ
أَكْبَرُ ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ،
قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ : حَيٌّ عَلَى الصَّلَاةِ ، قَالَ :
لَا حُولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ : حَيٌّ عَلَى الْفَلَاحِ ، قَالَ : لَا حُولَ وَلَا
قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، ثُمَّ
قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مِنْ قَلْبِهِ ، دَخَلَ الْجَنَّةَ »^(١) .

وَفِي رَوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَقَامَ بِلَالَ يَنْادِي ، فَلَمَّا سَكَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ
هَذَا يَقِينًا ، دَخَلَ الْجَنَّةَ »^(٢) .

وَفِي رَوَايَةِ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا سَمِعَ بِلَالًا يُؤَذِّنُ قَالَ : « مَنْ قَالَ مِثْلَ
مَقَالَتِهِ وَشَهَدَ مِثْلَ شَهَادَتِهِ ، فَلَهُ الْجَنَّةُ »^(٣) .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أبو عبد الرحمن السعدي في «مسنده» .

(٣) رواها أبو يعلى في «مسنده» .

ومن ذلك : أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَّرَ مَنْ أَجَابَ الْمُؤْذِنَ بِالْمَغْفِرَةِ إِذَا قَالَ : وَأَنَا أَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، رَضِيَّتْ بِاللَّهِ رِبِّاً وَبِالْإِسْلَامِ دِينَا ، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولَهُ^(١) .

ومن ذلك : أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَّرَهُ بِالشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَنْبَأُهُذْهُ الشَّفَاعَةِ إِذَا أَجَابَ الْمُؤْذِنَ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَسْأَلُهُ لِهِ الْوَسِيلَةِ . وَبِهَذَا تَعْلَمُ أَنَّ الْفَوْزَ بِشَفَاعَتِهِ الْخَاصَّةِ مُشْرُوطٌ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَطَلْبِ الْوَسِيلَةِ لِهِ .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِذَا سِمِعْتُمُ الْمُؤْذِنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُّوا اللَّهُ لَيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مُنْزَلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لَيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ »^(٢) .

وَيَنْبَأُهُذْهُ الشَّفَاعَةِ أَيْضًا إِذَا قَالَ : اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّائِمَةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ ، أَتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ ، وَأَبْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَنَّهُ .

فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ » - الْحَدِيثُ - ثُمَّ قَالَ : « حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٣) .

وَعَنْ أَبِي الدَّرَداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ إِذَا سَمِعَ الْمُؤْذِنَ : « اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّائِمَةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ ، صَلُّ عَلَى

(١) رواه مسلم والترمذى واللقطة له .

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائي .

(٣) رواه البخارى ورواه البيهقي وزاد في آخره : إنك لا تخلف الميعاد .

مُحَمَّدٌ وَأَعْطِهِ سُؤْلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَكَانَ يُسْمِعُهَا مَنْ حَوْلَهُ وَيُجَبِّثُ أَنْ يَقُولُوا مِثْلَ ذَلِكَ إِذَا سَمِعُوا الْمُؤْذِنَ قَالَ : وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ إِذَا سَمِعَ الْمُؤْذِنَ ، وَجَبَتْ لَهُ شُفَاعَةُ مُحَمَّدٍ بِاللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(١) .

وَفِي رَوَايَةٍ : أَنَّ النَّبِيَّ بِاللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ قَالَ : « اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدُّعَوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ، وَاجْعَلْنَا فِي شُفَاعَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَيَقُولُ : مَنْ قَالَ هَذَا عِنْدَ النِّدَاءِ ، جَعَلَهُ اللَّهُ فِي شُفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٢) .

وَفِي رَوَايَةٍ : « مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَبَلْغُهُ دَرْجَةَ الْوَسِيلَةِ عَنْدَكَ وَاجْعَلْنَا فِي شُفَاعَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَجَبَتْ لَهُ الشُّفَاعَةُ » ^(٣) .

وَقَدْ يَشَرِّبُ نَبِيُّنَا بِاللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ أَجَابَ الْمُؤْذِنَ ، بَأَنَّ دَعْوَتَهُ مُسْتَجَابَةً .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِاللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُنَادِي الْمَنَادِي : اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدُّعَوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ النَّافِعَةِ ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْكِنِي عَنِّي رَضَا لَا سَخْطَ بَعْدَهُ ، أَسْتَجِبْ لَهُ لَهُ دَعْوَتَهُ » ^(٤) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،

(١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط .

(٢) رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفي إسنادهما صَدَقَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّمِينِ .

(٣) رواه الطبراني في الكبير .

(٤) رواه أحمد والطبراني في الأوسط وفيه ابن لهبعة .

إِنَّ الْمُؤْذِنَينَ يَفْضُلُونَا «أَيْ يَزِيدُونَ عَلَيْنَا فِي الشَّوَّابِ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «فُلْ كَمَا يَقُولُونَ ، فَإِذَا أَنْتَهَيْتَ فَسَلْ تُعْطِهِ»^(١) .

وَمِنْ فَضَائِلِ الْأَذَانِ : أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِقَامَةِ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً .

فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «سَاعَتَانَ لَا تُرْدُ عَلَى دَاعِ دَعْوَتُهِ» : حِينَ تُقَامُ الصَّلَاةُ ، وَفِي الصَّفَّ فِي سَبِيلِ اللهِ^(٢) .

وَفِي رَوَايَةِ أَبْيِ أُمَّامَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «إِذَا نَادَى الْمُنَادِي فَتُنْهَى أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاسْتُجْنِبَ الدُّعَاءُ ، فَمَنْ نَزَّلَ بِهِ كَبْرٌ أَوْ شِدَّةٌ فَلَيُتَحِينَ الْمُنَادِيَ» ، فَإِذَا كَبَرَ كَبَرَ ، وَإِذَا تَشَهَّدَ تَشَهَّدَ ، وَإِذَا قَالَ : حَيٌّ عَلَى الصَّلَاةِ ، قَالَ : حَيٌّ عَلَى الصَّلَاةِ ، وَإِذَا قَالَ : حَيٌّ عَلَى الْفَلَاحِ قَالَ : حَيٌّ عَلَى الْفَلَاحِ . ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ النَّاتِمَةِ الصَّادِقَةِ الْمُسْتَجَابَةِ ، الْمُسْتَجَابُ لَهَا دَعْوَةُ الْحَقِّ ، وَكَلْمَةُ التَّقْوَى ، أَخِينَا عَلَيْهَا وَأَمْتَنَا عَلَيْهَا ، وَأَبْعَثْنَا عَلَيْهَا ، وَاجْعَلْنَا مِنْ خَيَارِ أَهْلِهَا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا . ثُمَّ يَسْأَلُ اللهَ حَاجَتَهُ»^(٣) .

* * *

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه .

(٣) رواه الحاكم من رواية عفير بن معدان وهو واه وقال : صحيح الإسناد . وقوله : «فليتحين المنادي» أي ينتظر بدعوته حين يؤذن المؤذن فيجيئه ، ثم يسأل الله حاجته .

فضل بناء المساجد والمشي إليها والجلوس فيها

ومن شرف الأمة المحمدية : اختصاصها بالمساجد ، وقد جاء في فضل بناها وفضل السعي إليها عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة . فمنها : ما يدل على فضل بناء المسجد ، وأنه مضمون له بيت مثله في الجنة .

فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ بَنَ مَسْجِدًا يَتَبَغِيْ بِهِ وِجْهَ اللَّهِ ، بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ »^(١) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ بَنَ مَسْجِدًا يُذَكَّرُ فِيهِ أَسْمُ اللَّهِ ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ »^(٢) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « وَمَنْ بَنَ لِلَّهِ مَسْجِدًا كَمَفْحَصٍ قَطَاةً أَوْ أَضْغَرَ ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ »^(٣) . قوله : « كَمَفْحَصٍ قَطَاةً » : القطاةُ : طائِرٌ مَعْرُوفٌ ، أي مقدار عُشْها وَمَا وَهَا .

(١) أخرجه البخاري و مسلم .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) رواه ابن ماجه أيضاً .

وفي رواية : « بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً أَوْسَعَ مِنْهُ »^(١) . وفي رواية : « أَفْضَلَ مِنْهُ »^(٢) . وفي رواية : « مَنْ بَنَى بَيْتاً يُعْبَدُ اللَّهُ فِيهِ مِنْ مَالٍ حَلَالٍ ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ مِنْ دُرًّ وَيَاقُوتٍ »^(٣) .

وفي رواية : « مَنْ بَنَى مَسْجِداً لَا يُرِيدُ بِهِ رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ »^(٤) .

وَثَوَابُ بَنَاءِ الْمَسْجِدِ يَاقِ وَأَجْرُهُ جَارٍ لِصَاحِبِهِ حَتَّى بَعْدِ وَفَاتِهِ ، فَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، عِلْمًا عَلَمَهُ وَنَشَرَهُ ، أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ ، أَوْ مُضْحِفًا وَرَثَهُ ، أَوْ مَسْجِداً بَنَاهُ ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ ، أَوْ نَهَرًا أَجْرَاهُ ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاةِ تَلَحُّهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ »^(٥) .

وَمِنْهَا : مَا يَدْلُلُ عَلَى فَضْلِ مَنْ كَنَسَ الْمَسْجِدَ وَنَظَفَهُ .

عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي حَتَّى الْقَدَّاً يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي فَلَمْ أَرَ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةً أُوْتَيْهَا الرَّجُلُ ثُمَّ تُسَيِّهَا » . وَالْقَدَّا مَفْرَدٌ قَذْدَى ، وَهِيَ مَا يَقْعُدُ فِي الْعَيْنِ وَالْمَاءِ وَالشَّرَابِ مِنْ تُرَابٍ أَوْ تَبَنِّ أَوْ وَسَخٍ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَالْمَعْنَى : يُخْرِجُ الرَّجُلَ كُلَّ قَذْدَى إِنْ قَلَّ .

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه أحمد والطبراني .

(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » والبزار دون قوله : « مَنْ دَرَّ وَيَاقُوتٍ » .

(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » .

(٥) رواه ابن ماجه واللفظ له . وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي ، وإسناد ابن ماجه حسن .

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَخْرَجَ أَذَى مِنَ الْمَسْجِدِ ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » (١) .

ومنها : ما يدلّ على فضل المشي إلى المساجد ، وفضل الجلوس فيها .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صَلَةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرْجَةً ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَخْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ ، لَمْ يَخْطُطْ خَطْرَوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بَهَا دَرْجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بَهَا خَطْرِيَّتُهُ ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَّلِ الْمُلَاطِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ ، تَقُولُ : اللَّهُمَّ صَلُّ عَلَيْهِ ، اللَّهُمَّ أَرْحَمْهُ ، وَلَا يَرَالُ فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتََرَ الصَّلَاةَ » (٢) .

ومن أبي بن كعب رضي الله عنه ، قال : كانَ رجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ لَا أَعْلَمُ رَجُلًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ ، وَكَانَ لَا تُخْطِنُهُ صَلَاةً ، قال : فَقِيلَ لَهُ ، أَفَ قُلْتُ لَهُ : لَوْ أَشْتَرَنَا حِمَارًا تَرَكَهُ فِي الظُّلْمَاءِ وَفِي الرَّمَضَاءِ ، قال : مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُنَكِّبَ لِي مَنْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرُجُوْعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي . فَقَالَ رسولُ الله ﷺ : « قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلُّهُ » (٣) .

ومن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كانت ديارنا نائيةً من المسجد فَأَرْذَنَا أَنْ نَبْيَعَ بِيَوْنَا فَنَقْرُبَ مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَنَهَا رَسُولُ الله ﷺ .

(١) رواه ابن ماجه وفي إسناده أحتمال للتحسین .

(٢) رواه البخاري و مسلم بن حموده .

(٣) رواه مسلم .

فقال : « إِنَّ لِكُمْ بِكُلِّ خَطْوَةٍ دَرْجَةً »^(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتِ مِنْ بَيْوَتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيقَةً مِنْ فِرَائِصِ اللَّهِ، كَانَتْ خَطْوَاتَاهُ إِخْدَاهُمَا تَحْكُمُ خَطِيئَةً وَالْأُخْرَى تَزَفَّعُ دَرَجَةً »^(٢) .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ عَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا عَدَا أَوْ رَاحَ »^(٣) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِ الْمُخْرِمِ »، ومن خَرَجَ إِلَى تَشْبِيعِ الصُّحْنِ لَا يَنْصِبُهُ إِلَّا إِيَاهُ، فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُغْتَمِرِ، وصَلَاةٌ عَلَى إِثْرِ صَلَاةٍ لَا لَغْوَيْنَهُمَا، كِتَابٌ فِي عِلْيَيْنَ »^(٤) .

وعن بُرِيْدَةَ بْنِ الْحَصِّيبِ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « بَشِّرُ الْمَشَائِنَ فِي الظُّلْمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الْمَشَاؤُونَ إِلَى الْمَسَاجِدِ فِي الظُّلْمِ ، أُولَئِكَ الْخَوَاضُونَ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى » .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَيَبْشِّرُ الْمَشَاؤُونَ فِي الظُّلْمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٦) .

* * *

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) رواه أبو داود .

(٥) رواه أبو داود والترمذى . وقال حديث غريب . وعن أنس بن مالك مثله رواه ابن ماجه .

(٦) رواهما ابن ماجه .

فضائل الصلاة

ومن شرف الأمةِ المحمدية : ما جعله الله تعالى لها من الفضائل على أداء الصلوات والمُحافظة عليها .

فمن ذلك : أنَّ الصلاة تُكفرُ الخطايا . قال الله تعالى : « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَ النَّهَارِ وَزِلْفَنَا مِنْ أَبَيَلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِنُنَّ الْسَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلَّذِكَرِينَ » [مود : ١١٤] .

روى الشیخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَارًا بَيْنَ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَاتٍ ، هَلْ يَتَقَى مِنْ دَرَنَهُ شَيْءًا؟ » قالوا : لَا يَتَقَى مِنْ دَرَنَهُ - أَيْ وَسِخَه - شَيْءًا ، فَقَالَ ﷺ : فَكَذِّلِكَ مَثَلُ الصَّلَواتِ الْخَمْسِ ، يَمْغُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا - أَيِ الصَّغَائِرَ - » .

أما الكبائر فلا بد لها من توبية كما دل على ذلك حديث مسلم والترمذى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « الصَّلَواتُ الْخَمْسُ ، وَالجَمْعَةُ إِلَى الْجَمْعَةِ - وَفِي رِوَايَةِ : وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ - ، كَفَارَةً لِمَا بَيْنَهُنَّ ، مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ » . وَفِي رِوَايَةِ : « إِذَا أَجْتَنَبْتَ الْكَبَائِرُ » .

وَعَنْ أَنْسِ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ مَلَكًا يُنَادِي عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ : يَا بَنِي آدَمَ ، قُومُوا إِلَى نِيرَانِكُمُ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا

فَأَطْفَلُوهَا^(١) . والمراد بالثيَرَانْ هنا : الذنوب .

وَعَنْ أَبِي مُسْلِمَ التَّغْلِبِيِّ قَالَ : دَخَلَتْ عَلَى أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَلَّتْ : يَا أَبَا أَمَامَةَ ، إِنْ رَجُلًا حَدَثَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ فَغَسَّلَ يَدِيهِ وَوَجْهَهُ وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ وَأَذْنَيْهِ ثُمَّ قَامَ إِلَى صَلَاةِ مَفْرُوضَةٍ عَفَّرَ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا مَسَّتْ إِلَيْهِ رِجْلَاهُ ، وَقَبَضَتْ عَلَيْهِ يَدَاهُ ، وَسَمِعَتْ إِلَيْهِ أَذْنَاهُ ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ عَيْنَاهُ ، وَحَدَّثَتْ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ سُوءٍ . فَقَالَ أَبُو أَمَامَةَ : وَاللَّهِ قَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَارًا^(٢) . »

وَعَنْ أَبِي أَيُوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « إِنَّ كُلَّ صَلَاةٍ تَحْكُمُ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ خَطِيئَةٍ^(٣) . »

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ الصَّلَاةَ تَرْفَعُ الْدَّرَجَاتِ . رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ مَعْدَانَ بْنَ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَقِيَتُ ثُوَبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَلَّتْ : أَخْبَرْتُنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلْتُهُ يُذْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ - أَوْ قَالَ : أَخْبَرْتُنِي بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى - فَسَكَتَ . ثُمَّ سَأَلَهُ فَسَكَتَ ، ثُمَّ سَأَلَهُ ثَالِثَةً فَقَالَ ثُوَبَانُ : سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « عَلَيْكَ بِكُثْرَةِ السُّجُودِ ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرْجَةً وَحَطَّ بِهَا عَنْكَ خَطِيئَةً^(٤) . »

وَعَنْ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً ، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا

(١) رواه الطبراني وقال المتندرى : رجاله كثيرون محتاج بهم في الصحيح .

(٢) رواه أحمد وله شواهد .

(٣) قال الهيثمي رواه أحمد وسنده حسن .

سيئة ، ورفع له بها درجة ، فاستكثروا من السجود «^(١) .

ومن ذلك : أنَّ الصلاة خَيْرٌ موضع شرعيه الله تعالى ، روى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : الصلاة خَيْرٌ مَوْضِعٌ ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَكْثِرَ ، فَلْيَسْتَكْثِرْ .

ومن ذلك : أنَّ الصلاة خَيْرٌ للأعمال ، عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استقيموا ولن تُخْصُوا - وفي رواية : استقيموا تُفْلِحُوا - ، وأَعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصلاة ، ولا يَحْفَظُ عَلَى الْوَرْضَوَةِ إِلَّا مُؤْمِنٌ »^(٢) .

ومن ذلك : أنَّ الصلاة شفاء للأرواح والأشباح ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : « إِنَّ فِي الصَّلَاةِ شِفَاءً »^(٣) .

ومن ذلك : أنَّ الصلاة فيها اتِّخَادُ عَهْدٍ عند الله تعالى بدخول الجنة ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ وَلَمْ يُضَعِّفْ مِنْهُنَّ شَيْئاً اسْتِخْفَافاً بِحَقِّهِنَّ ، كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلِيَسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ »^(٤) .

وعن كعب بن عُجْرَةَ رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن سبعة نفر ، فقال ﷺ : « مَا أَجْلَسْتُكُمْ »؟ قلنا : جلسنا ننتظِرُ

(١) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح .

(٢) رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه . ومعنى لن تحصوا : أي لن تحصوا ثناء عليه سبحانه . أو لن تحصوا مراتب الاستقامة .

(٣) رواه أحمد .

(٤) رواه مالك وأبو داود والنسائي .

الصلاه . قال : « فَأَرَمَ - أَيْ سَكَتْ - قَلِيلًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : هَلْ تَذَرُونَ مَا يَقُولُ رَبُّكُمْ ؟ قَالَا : لَا ، قَالَ : فَإِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ : مَنْ صَلَّى الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا وَحَفَظَ عَلَيْهَا وَلَمْ يُضِيغْهَا اسْتَخْفَافًا بِحَقِّهَا ، فَلَهُ عَلَيَّ عَهْدٌ أَنْ أُذْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يَصْلِحْهَا لِوَقْتِهَا وَلَمْ يَحْفَظْهَا عَلَيْهَا وَضَيَّعْهَا اسْتَخْفَافًا بِحَقِّهَا ، فَلَا عَهْدَ لَهُ عَلَيَّ ، إِنْ شِئْتُ عَذَّبْتُهُ ، وَإِنْ شِئْتُ عَفَّتْ لَهُ » ^(١) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ الصَّلَاةَ تَمْنَحُ الْمَصْلَى عَفْوَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ وَرَضْوَانِهِ . فَعَنْ أَبْنَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْوَقْتُ الْأَوَّلُ مِنَ الصَّلَاةِ رَضْوَانُ اللَّهِ ، وَالْآخِرُ عَفْوُ اللَّهِ » ^(٢) .

وَجَاءَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَوَّلُ الْوَقْتِ رَضْوَانُ اللَّهِ ، وَوَسْطُ الْوَقْتِ رَحْمَةُ اللَّهِ ، وَآخِرُ الْوَقْتِ عَفْوُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » ^(٣) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ الصَّلَاةَ فِيهَا مُبَاهَاهَةُ رَبِّ الْعَزَّةِ مَلَائِكَتَهُ بِالْمَصْلَى ، فَعَنْ أَبْيِ هَرِيرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يَتَعَاقَّبُونَ فِيْكُمْ - وَفِي رَوَايَةِ أَحْمَدَ : إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَعَاقَّبُونَ فِيْكُمْ : أَيْ يَتَنَاوِبُونَ - مَلَائِكَةُ الْلَّيلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُونَ الَّذِينَ يَأْتُونَ فِيْكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ - فَيَقُولُ : كَيْفَ تَرَكْتُمْ عَبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلِّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلِّونَ » ^(٤) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ الصَّلَاةَ فِيهَا صِلَةُ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ ، تَرَفُّ الْحُجُبِ بَيْنَ الْمَصْلَى وَبَيْنَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، عَنْ أَبْيِ أَمَامَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ فَتُتَحَشَّثُ لَهُ الْجِنَانُ ، وَكُشِّفَتْ لَهُ الْحُجُبُ »

(١) قَالَ الْمَنْذُريُّ : رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حُوَيْهِ .

(٢) رَوَاهُ التَّرْمِذِيُّ .

(٣) رَوَاهُ الدَّارِقَنْتِيُّ .

(٤) رَوَاهُ الشِّيْخَانَ .

بيته وبين ربه ، وأستقبلته الحور العين ما لم يمت خطف أو ينتفع «^(١)» .

ومن ذلك : أن الصلاة فيها الاقتراب من حضرة رب الأرباب . قال تعالى : «**وَأَسْجُدْ وَأَقْرَب** ﴿١٩﴾ [العلق : ١٩] ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**» ^(٢) وإنما كان في السجود قرب خاص ، لما فيه من محض ذل العبودية لمقام عزة الربوبية .

ومن ذلك : أن الصلاة فيها مُناجاة رب العزة . عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ ، فَلَا يَبْرُقُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِيهِ**» ^(٣) .

وهذا حيث كانت الصلاة على التراب ، وإلا فياخذه بيده اليسرى كما نص عليه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا يَتَصْرُّفُ أَمَامَهُ ، فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللَّهَ مَا دَامَ فِي مُصْلَاهُ ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ فَإِنَّمَا عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا ، وَلَيَتَصْرُّفَ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِيهِ فَيَذْفَنُهَا**» ^(٤) .

ومن ذلك : أن الصلاة فيها التوجة والإقبال على الله تعالى ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «**إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَتَصْرُّفُ قَبْلَ وَجْهِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى**» ^(٥) .

(١) رواه الطبراني في الكبير .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخاري وغيره .

(٤) رواه البخاري .

(٥) رواه البخاري .

ومن ذلك : أنَّ الصلاةَ فيها ذِكْرُ العَبْدِ رَبِّهِ تَعَالَى ، وَذِكْرُهُ تَعَالَى لِعَبْدِهِ ،
قال تَعَالَى : **﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾** [طه : ١٤] أي لِذِكْرِكَ لِي وَذِكْرِي لَكَ ،
فَإِنْ كُلَّ نوعٍ مِنَ الذِكْرِ يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعَبْدُ لِرَبِّهِ ، مُقَابِلٌ بِذِكْرٍ مِنْهُ سُبْحَانَهُ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : قال
تعالى : **﴿فَسَمِّنَتِ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَنْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَنْدِي مَا سَأَلَّ** ، فإذا
قال العَبْدُ : **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** قال الله تَعَالَى : **﴿حَمِدَنِي**
عَنْدِي﴾ ، وإذا قال : **﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾** قال الله تَعَالَى : **﴿أَثْنَيْ عَلَيَّ**
عَنْدِي﴾ ، وإذا قال : **﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾** قال تَعَالَى : **﴿مَجْدَنِي عَبْدِي﴾**
وقال مَرَّةً : **﴿فَوَضَّأَ إِلَيَّ عَنْدِي﴾** فإذا قال : **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ**
نَسْتَعِينُ﴾ قال : **﴿هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَنْدِي وَلِعَنْدِي مَا سَأَلَّ﴾** ، فإذا
قال : **﴿أَهَدَنَا الصِّرَاطَ الْسَّقِيمَ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْهَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ**
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال تَعَالَى : **﴿هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي**
ما سَأَلَّ﴾^(١) .

وَجَاءَ فِي رَوَايَةِ أُخْرَى زِيَادَةً فِي أُولَئِكَهُ : «إِنَّمَا قَالَ الْعَبْدُ :

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : **﴿ذَكَرْنِي عَنْدِي﴾** »^(٢) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ الصلاةَ فيها تَأْمِينُ الْمَلَائِكَةَ ، أي : تَقُولُ لِقَرَاءَةِ
الْفَاتِحَةِ : أَمِنْ ، فَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِينَهُمْ ، عُفِرَ لَهُ مَا تَقْدِمُ مِنْ ذَنْبِهِ ، كَمَا
جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
«إِذَا أَمَنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا ، فَإِنَّمَا مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةَ ، عُفِرَ لَهُ
مَا تَقْدِمُ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٣) .

(١) رواه مسلم .

(٢) قال التوسي في المجمع و لكن إسنادها ضعيف . وهي عند الدارقطني والبيهقي .

(٣) في الصحيحين .

وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ : أَمِينٌ ، وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ، غَيْرُهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنِبِهِ » ^(١) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى صَاحِبَهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « أَتَلْعَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَبِ وَأَقِيمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ »

[العنكبوت : ٤٥] .

فَقَدْ أَمْرَ سَبْحَانَهُ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَبَيْنَ أُثْرِ الصَّلَاةِ فِيمَنْ أَقَامَهَا أَنَّهَا تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ - أَيِّ الْمُحَرَّمَاتِ الْفُعْلِيَّةِ - وَالْمُنْكَرِ الْقَوْلِيِّ ، وَالْفَوَاحِشِ الْفُعْلِيَّةِ وَالْمُنْكَرَاتِ الْقَوْلِيَّةِ ، هُمَا مَجْمِعُ الْآثَامِ وَالذُّنُوبِ .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ الصَّلَاةَ تُهَذِّبُ الْعَبْدَ مِنِ الْصَّفَاتِ الْذَمِيمَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِنَّ الْإِنْسَانَ حُلْقَ هَلْوَعًا ^(١) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَرُوعًا ^(٢) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنْعِعًا ^(٣) إِلَّا الْمُصْلِيُّنَ ^(٤) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ » [الْمَعَارِجُ : ١٩-٢٣] . يَعْنِي أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ اشْتَدَ جَزْعُهُ وَضَجْرُهُ ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى شَخَّ وَمَنَعَ حَقًّا اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ .

عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ ، شُرُّ هَالِئِعِ وَجُبْنُ خَالِعِ » ^(٢) .

وَلَمْ يَبْرُأْ مِنْ تَلِكَ الصَّفَاتِ الْذَمِيمَةِ إِلَّا الْمُصْلِيُّونَ الدَّائِمُونَ عَلَى صَلَاتِهِمْ فِي أَوْقَاتِهَا ، الْمَلَازِمُونَ لَهَا ، فَإِنَّهَا حَوَّلَتْهُمْ مِنَ الْطَّبَاعِ السَّيِّئَةِ إِلَى الْطَّبَاعِ الْحَسَنَةِ ، وَطَوَّرْتُهُمْ فِي أَطْرِفِ الْكَمَالَاتِ وَالْفَضَّائلِ .

(١) رواه البخاري و مسلم .

(٢) رواه أحمد في المسند .

ومن ذلك : أنَّ الْبِرَّ الْإِلَهِي يَتَنَاهُ فِيهَا عَلَى الْمُصْلِي ، رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ نَصْر ، عَنِ الْحَسْنِ الْبَصْرِيِّ مُرْسَلًا : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لِلْمُصْلِي ثَلَاثٌ خَصَالٌ : يَتَنَاهُ الْبِرُّ مِنْ عَنَانِ السَّمَاءِ إِلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، وَتَحْفَثُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ لَدُنْ قَدَمَيْهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ ، وَيُبَنِّدِيهِ مُنَادٍ : لَوْ يَعْلَمُ الْمُصْلِي مَمَّا يُنَاجِي مَا انْفَتَلَ » .

ومن ذلك : أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصْلِي عَلَى الْمُصْلِي مَا دَامَ فِي مُصْلَاهٍ ، عَنِ أَبِي هَرِيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ أَحَدَكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَخِيْسُهُ ، وَالْمَلَائِكَةُ تَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ازْحَمْهُ مَا لَمْ يَقُمْ مِنْ مُصْلَاهٍ أَوْ يُخَدِّثْ »^(١) .

ومن ذلك : أَنَّ الصَّلَاةَ نُورٌ لِلْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، عَنْ أَبِي مَالِكِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلَّاً - أَوْ تَمَلُّاً - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ » . الْحَدِيثُ^(٢) ، فَهِيَ نُورٌ لِلْمُصْلِي فِي قَلْبِهِ وَبِصَيْرَتِهِ وَعَقْلِهِ وَوَجْهِهِ .

قَالَ تَعَالَى : « سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ » [الْفَتْحُ : ٢٩] .

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا : « إِذَا حَفَظَ الْعَبْدُ عَلَى صَلَاتِهِ فَأَقَامَ وَضَوَّعَهَا وَرُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَالْقِرَاءَةُ فِيهَا ، قَالَتِ الْحِفْظَةُ اللَّهُ كَمَا حَفِظْتَنِي ، وَصُعِدَّ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ وَلَهَا نُورٌ » الْحَدِيثُ^(٣) . وَهِيَ نُورٌ لِلْمُؤْمِنِ فِي حَشْرِهِ وَعَلَى الصَّرَاطِ وَجَمِيعِ بَرَازِخِ الْآخِرَةِ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ الصَّلَاةَ فَقَالَ : « مَنْ حَفَظَ

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخاري .

عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيمة » الحديث^(١) .

ومن خصائص الصلاة في عالم القبر : أنها تَحْوِطُ المصلي وتحفظه كما حفظها ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « إِنَّ الْمَيْتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَإِنَّهُ يَسْمَعُ حَقْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَكَانَ الصَّيَامُ عِنْ يَمِينِهِ وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عِنْ شِمَالِهِ وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَاتِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلِيهِ ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَتَقُولُ الصَّلَاةُ : مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ فَيَقُولُ الصَّيَامُ : مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ فَتَقُولُ الزَّكَاةُ : مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلِيهِ فَيَقُولُ فَعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ : مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ ، فَيَقُولُ لَهُ : اجْلِسْ ، فَيَجْلِسُ قَدْ مُثْلَثٌ لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ دَنَثَ لِلْغَرَوْبِ فَيَقُولُ لَهُ : أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَانَ قِبَلَكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ وَمَا تَشَهَّدُ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ : دَعَوْنِي حَتَّى أَصْلِي ، فَيَقُولُونَ : إِنَّكَ سَتَفْعَلُ . أَخْبَرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ : أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ قِبَلَكُمْ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ وَمَاذَا تَشَهَّدُ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ أَشَهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فَيَقُولُ لَهُ : عَلَى ذَلِكَ حَيْثُ وَعَلَى ذَلِكَ مُتَّ وَعَلَى ذَلِكَ تُبَعَّثُ إِنْ شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ لَهُ : هَذَا مَقْعِدُكَ مِنْهَا وَمَا أَعْدَ اللهُ لَكَ فِيهَا ، فَيَزِدُ دَادُ غَبْنَةً وَسُرُورًا » الحديث^(٢) .

ومن خصائص الصلاة : أَنَّ مَنْ حَفِظَ عَلَى صَلَوَاتِهِ فِي الدُّنْيَا مَتَعْشِقًا بِهَا ، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يُصْلِي فِي قَبْرِهِ مُتَنَعِّمًا بِصَلَاتِهِ ، وَهَذَا مَقَامٌ أَعْطَاهُ اللهُ

(١) رواه أحمد في المستند وهو في صحيح ابن حبان .

(٢) قال المنذري : رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له .

تعالى لجميع أنبيائه صلوات الله تعالى عليهم أجمعين ، وقد يُكرم به من شاء من عباده الصالحين .

والدَّلِيلُ على أنَّ الأنبياء كُلُّهم يُصلَّون في قُبورهم : ما رواه أبو يعلى والبيهقي في جزء « حياة الأنبياء » عن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : « الأنبياء أحياءٌ في قبورهم يُصلَّون » .

ومن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : « أتَيْتُ ليلةً أُسْرِيَّ بي عَلَى مُوسَى يُصَلِّي في قبرِه عندِ الْكَثِيرِ الْأَحْمَرِ » ^(١) .

وأما الدَّلِيلُ على صلاة الصالحين في قبورهم : فقد جاء في الحديث : أنَّ المؤمنَ يقولُ للملائكة : « دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّي ، فيقولون : إِنَّكَ سَتَفْعَلُ » ، الحديث وقد تقدم .

وأنسند أبو نعيم في « الحلية » عن يسار بن جيش ، عن أبيه قال : أنا والذى لا إله إلاَّ هو أدخلت ثابتة البناني في لحده ومعي حميد ورجلٌ غيره ، فلما سَوَّينا عليه اللَّيْنَ ، سقطت لَيْنَةٌ فإذا به يُصَلِّي في قبره ، فقلت للذى معى : ألا تراه؟ قال : أُسْكَت ، فلما سَوَّينا عليه وفرغنا ، أتينا ابنة ثابت فقلنا لها : ما كان عمل ثابت؟ قالت : وما رأيتم؟ فأخبرناها ، فقالت : كان يَقُومُ الليلَ خمسين سنة ، فإذا كان السَّحر قال في دعائه : اللهم إنْ كُنْتَ أَعْطَيْتَ أَحَدًا الصَّلَاةَ فِي قَبْرِهِ ، فَاعْطِنِيهَا . فما كان الله لي رد ذلك الدعاء . اهـ .

وَنَظِيرُ ذلك : أنَّ الله تعالى قد أَكْرَمَ بعض عباده بتلاوة القرآن في قبره ، كما روى الترمذى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : ضَرَبَ بعض أصحاب النبي ﷺ خبأةً على قَبْرٍ وَهُوَ لَا يَحْسُبُ أَنَّهُ قَبْرٌ ، فَإِذَا

(١) أخرجه مسلم والنسائي .

فيه إنسانٌ يقرأ سورة ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بَيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك : ١] حتى ختمها ، فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال النبي ﷺ : « هيَ الْمَانِعَةُ هِيَ الْمُنْجِيَةُ ، تُنْجِيَهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ». .

وروى ابن منده بإسناده عن طلحة بن عبيد الله قال : أَرَدْتُ مَالِي بِالْغَایَةِ فَأَذْرَكَنِي اللَّیلُ ، فَأَوَیَتُ إِلَیَّ قَبْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَزَامٍ ، فَسَمِعْتُ قِرَاءَةً مِنَ الْقَبْرِ مَا سَمِعْتُ أَخْسَنَ مِنْهَا ، فَجَئْتُ إِلَیَّ النَّبِيِّ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ : « ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَزْوَاحَهُمْ فَجَعَلَهُمْ فِي قَنَادِيلَ مِنْ زَيْرَجَدِ وَيَا قَوْتِ وَعَلَقَهَا وَسَطَ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا كَانَ اللَّیلُ رُدِّتْ إِلَيْهِمْ أَزْوَاحُهُمْ إِلَى مَكَانِهَا الَّتِي كَانُوا فِي ». كما ذكره ابن رجب الحنبلي .

ومن ذلك : أَنَّ الصَّلَاةَ تَحْفَظُ عَلَى الْمُصْلِي أَعْضَاءَ السُّجُودِ مِنَ النَّارِ ، جاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « وَيُضَرِّبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهَرَانِي جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرَّسُولِ بِأَمْتَهِ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرَّسُولُ ، وَكَلَامُ الرَّسُولِ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيَّبُ مِثْلُ شَوَّكِ السَّعْدَانِ ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوَّكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوَّكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ - أَيْ يَهْلِكُ - بِعِمَلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرَّدَلُ ، ثُمَّ يَنْجُو ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، أَمْرَّ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ ، فَيُعْرِفُونَهُمْ بِأَثَارِ السُّجُودِ وَحَرَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مَوْضِعَ السُّجُودِ ، فَيُخْرِجُونَ وَقَدْ امْتَحَنُوهُ - أَيْ احْتَرَقُوا - فَيَصْبِطُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ ، فَيَبْتُسُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ». الحَدِيثُ^(١) .

(١) رواه الشیخان .

ومن ذلك : أنَّ الصلاة تُهْيَّء المصلِّي وَتُعَدُّ للسجود يوم تُدعى
الخالائق للسجود لربِّ العالمين ، قال الله تعالى : «**يَوْمَ يُكَشَّفُ عَنْ سَاقِ**
وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِعُونَ» ^(١) خَشِعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهُقُهُمْ ذَلِكَ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ
وَهُمْ سَلِيمُونَ» [القلم : ٤٢-٤٣] .

فقد أخبر سبحانه وتعالى بهذه الآية الكريمة عن موقف امتحان
المُكَلَّفين بالسجود يوم القيمة ، وذلك أنه سبحانه يكشف عن نُورِ عظيم
يتجلَّ به على أهل الموقف ، ويدعوهم إلى السجود له تعالى ، كما جاء
عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «يُكَشِّفُ رَبُّنَا
عَنْ سَاقٍ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ، وَيَقِنَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً
وَسُنْمَةً ، فَيَذَهَّبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهَرَهُ طَبْقًا وَاحِدًا» ^(١) .

وفي رواية قال ﷺ : فَيُكَشَّفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَقِنَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ
تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذْنَ اللَّهُ لَهُ بِالسَّجْدَةِ ، وَلَا يَقِنَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً -
أَيْ خَوْفًا مِنَ النَّاسِ وَنَفَاقًا - إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهَرَهُ طَبْقَةً وَاحِدَةً ، كُلَّمَا أَرَادَ
أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهِ» ^(٢) .

والكَشْفُ عن الساق الوارد في الآية والحديث ، يفسِّرُهُ ما جاء عن أبي
موسى ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى : «**يَوْمَ يُكَشَّفُ عَنْ سَاقِ**» قال : عن
نُورِ عظيم فِي خَرْقَوْنِ لَهُ سُجْدًا ^(٣) .

وجاء من طريق إبراهيم النخعي في قوله تعالى : «**يَوْمَ يُكَشَّفُ عَنْ سَاقِ**»
قال ابن عباس رضي الله عنهما : أي يُكَشَّفُ عن أَمْرٍ عَظِيمٍ ، ثم قال :

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وغيرهم .

يُقال : قامت الحرب على ساق ، يعني إذا أشتدت وعظمت . اهـ^(١) .
ومن فضائل الصلاة في الآخرة : أن لها باباً خاصاً من أبواب الجنة
يدخل منه المصلي .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، نُوَدِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ » : يا عَبْدَ اللَّهِ ، هَذَا خَيْرٌ ،
فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ
دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّئَيْانِ ،
وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضيَ اللَّهُ
عَنْهُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأَمِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ
ضَرُورَةٍ ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلُّهَا ؟ فَقَالَ ﷺ : نَعَمْ ،
وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ »^(٢) .

* * *

(١) رواه سعيد بن منصور وأبي منده والبيهقي في « كتاب الأسماء والصفات » .

(٢) رواه البخاري .

مُرَافَقَةُ النَّبِيِّ فِي الْجَنَّةِ

وَمِنْ خَصَائِصِ الصَّلَاةِ أَيْضًا أَنَّهَا : تُهْيَّءُ الْمُصْلِيَ وَتَعْدُهُ لِمُرَافَقَةِ النَّبِيِّ فِي الْجَنَّةِ .

عَنْ رَبِيعَةِ بْنِ كَعْبِ الْأَسْلَمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « كُنْتُ أَخْدُمُ النَّبِيِّ نَهَارِي ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ أَوَيْتُ إِلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ فِي بَيْتِهِ ، فَلَا أَزَالُ أَسْمَعُهُ يَقُولُ : سَبَحَانَ اللَّهِ ، سَبَحَانَ اللَّهِ ، سَبَحَانَ رَبِّي ، حَتَّى أَمَلَّ أَوْ تَغْلِبَنِي عَنِّي فَنَامُ ، فَقَالَ يَوْمًا : يَا رَبِيعَةُ ، سَلِّنِي فَأَغْطِيلَكَ ، فَقَلَّتْ : أَنْظِرْنِي حَتَّى أَنْظُرَ ، وَتَذَكَّرْتُ أَنَّ الدُّنْيَا فَانِيَّةٌ مُنْقَطِعَةٌ . فَقَلَّتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَدْعُ اللَّهَ أَنْ يُنْجِيَنِي مِنَ التَّارِ وَيُذْخِلَنِي الْجَنَّةَ ، فَسَكَّتْ رَسُولُ اللَّهِ . ثُمَّ قَالَ : مَنْ أَمْرَكَ بِهَذَا؟ قَلَّتْ : مَا أَمْرَنِي بِهِ أَحَدٌ ، وَلَكِنِي عَلِمْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ فَانِيَّةٌ وَأَنَّ مِنَ اللَّهِ بِالْمَكَانِ الَّذِي أَنَا مِنْهُ ، فَأَخَبَّيْتُ أَنْ تَدْعُ اللَّهَ لِي . فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنِّي فَاعِلٌ ، فَأَعِنْيُ عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ »^(١) .

عَنْ رَبِيعَةِ بْنِ كَعْبِ الْأَسْلَمِ قَالَ : كُنْتُ أَبِيَتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فَأَتَيْتَهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ ، فَقَالَ لِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « سَلِّنِي ، فَقَلَّتْ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ . قَالَ : أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قَلَّتْ : هُوَ ذَلِكَ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : فَأَعِنْيُ عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ »^(٢) .

وَجَاءَ عَنْ أَبِي فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ : قَالَ لِي نَبِيُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنَّ أَرَدْتَ أَنْ تَلْقَانِي ، فَأَكْثِرْ السُّجُودَ »^(٣) .

(١) روأه الطبراني في «الكبير» .

(٢) روأه مسلم .

(٣) روأه الإمام أحمد .

رُؤْيَةُ رَبِّ الْعِزَّةِ

وَمِنْ فَضَائِلِ الصَّلَاةِ فِي الْمُصْلِيِّ : أَنَّهَا تُقْوِيُّ اسْتِعْدَادَهُ لِرُؤْيَةِ رَبِّ الْعِزَّةِ
جَلْ وَعَلَا .

جاءَ عَنْ جَرِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لِيَلَةَ
- وَفِي رَوَايَةِ : لِيَلَةَ الْبَدْرِ - فَقَالَ : « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا
الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ ، فَإِنِّي أَسْتَعْفُتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةِ قَبْلِ
طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا - زَادَ مُسْلِمٌ : يَعْنِي الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ - فَأَفْعَلُوا ،
ثُمَّ قَرَأَ : « وَسَبَّعَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ »^(١) .
وَقَوْلُهُ : « لَا تُضَامُونَ » يُرَوَى مُخْفِقًا مِنَ الْضَّيْنِ ، أَيْ : لَا يَنْالُ أَحَدُكُمْ
ضَيْنٌ وَلَا جَرْمَانٌ ، بَلْ كُلُّكُمْ تَرَوْنَ رَبِّكُمْ ، وَيُرَوَى مُشَدَّدًا ، فَهُوَ يُنْفِي
الْازْدَحَامَ .

قَالَ الْعَالَمُ الْخَطَابِيُّ : هَذَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّ الرُّؤْيَا قدْ يُرْجَى نَيْلُهَا
بِالْمَحَافَظَةِ عَلَى هَاتِينِ الصَّلَاتَيْنِ ، أَيِّ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَالْفَجْرِ اهـ .

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ : وَقَدْ يُسْتَشَهِدُ لِذَلِكَ بِمَا أَخْرَجَهُ التَّرْمِذِيُّ مِنْ
حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ أَذْنَى أَهْلِ
الْجَنَّةِ مَنْزَلَةً ، لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى جَنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُورِهِ مَسِيرَةً
أَلْفِ سَنَةٍ ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ تَعَالَى عُذْوَةً
وَعَسْيَةً » ، ثُمَّ قَرَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرٌ بَلْ إِنَّ رِهَابَهَا نَاكِرٌ » [الْقِيَامَةُ : ٢٢-٢٣] .

أَقُولُ : هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَيْضًا الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ أَبِي الدِّنَيَا

(١) رواه الشيخان .

مختصرًا ، إلأّا أنه قال في روايته : قال ﷺ : « إنَّ أَفْضَلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتِينَ » .

* * *

تحية رب العالمين

والصلوة فيها تحية رب العالمين ، وتحية إمام الأنبياء والمرسلين ، وتحية جميع عباد الله الصالحين ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا إذا كُنَّا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده ، السلام على قُلَّان وفَلَان ، وفي رواية : السلام على جبريل وميكائيل .

فقال النبي ﷺ : « لا تقولوا السلام على الله ، فإن الله هو السلام ، ولكن قولوا : التَّحْيَاتُ لِللهِ وَالصَّلَواتُ وَالطَّيَّاتُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عَبْدِ اللهِ الصَّالِحِينَ » ، فإنكم إذا قُلْتُم ذلك ، أصابت كُلَّ عَبْدٍ في السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ - وفي رواية - فإنكم إذا قلتموها أصابت كُلَّ عبد الله صالح في السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أنَّ مُحَمَّداً عبدُه وَرَسُولُه « (١) » .

* * *

اشتمال الصلاة على الصلاة على النبي ﷺ

والصلوة لله تعالى فيها الصلاة على النبي ﷺ ، وهي من أعظم التبريات التي شرعها الله تعالى .

(١) رواه البخاري .

قال الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى الَّذِي يَتَأَبَّلُهُ الَّذِينَ إِذَا مَأْتُمُوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا » [الأحزاب : ٥٦].

عن أبي مسعود البدرى رضى الله عنه قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة ، فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله عز وجل أن نصلّى عليك يا رسول الله ، فكيف نصلّى عليك؟ فسكت رسول الله ﷺ حتى تَمَيَّنَّا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله ﷺ : « قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ » ، أي : في التشهد^(١) .

ومن خصائص الصلاة : أنَّ من تركها لقي الله تعالى وهو عليه غَضِبٌ .

عن ابن عباس رضي الله عنهم قال : لما قام بصرى - أي ذهب بصرة - قيل : نُذَاوِيك وتدع - أي ترك - الصلاة أياماً ، قال : لا ، - أي لا أترك الصلاة أبداً - إن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضِبٌ »^(٢) .

ومن خصائص الصلاة : أنَّ من تركها فقد بَرِئَتْ منه ذِمَّةُ الله تعالى .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : أوصاني خليلي ﷺ : « أَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَإِنْ قُطِعَتْ وَإِنْ حُرُقتْ ، وَلَا تُنْتَرِكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا ، فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ ، وَلَا تَشَرِبِ الْخَمْرَ ، فَإِنَّهُ مُفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ »^(٣) .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البزار والطبراني وإسناده حسن كما في « الترغيب » .

(٣) رواه ابن ماجه والبيهقي .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : « أتى رسول الله ﷺ رجلٌ فقال : يا رسول الله ؛ علِّمْنِي عملاً إذا أنا عملْتُه دخلتُ الجنةَ ، قال : لا تشرك بالله شيئاً وإن عذبتَ وحرقتَ ، أطع والديك وإن أخرجاك من مالِك وَمَنْ كُلَّ شَيْءٍ هُوَ لَكَ ، لا تَنْتَرِك الصلاةَ مُتَعَمِّدًا ، فَإِنَّ مَنْ ترَك الصلاةَ مُتَعَمِّدًا ، فقد بَرَأَتْ مِنْهُ ذَمَّةُ اللهِ تَعَالَى »^(١) .

وأنَّ من تركها ذهب نُورُه وانقطع بُرْهَانُه وفقد التَّجَاهَ في الآخرة ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال : « مَنْ حَفِظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنِجَاهًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُحَفِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نِجَاهٌ ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفَرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنَ خَلَفٍ »^(٢) .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفَّارِ ، تَرَكُ الصلاةُ »^(٣) .

* * *

(١) قال المنذري : رواه الطبراني ولا بأس بإسناده في المتابعات اهـ . وقد ورد مثل هذا الحديث في « المسند » وغيره .

(٢) قال المنذري : رواه أحمد بإسناد جيد والطبراني في « الكبير » و« الأوسط » وابن حبان في « صحيحه » .

(٣) قال المنذري : رواه أحمد ومسلم وقال : « بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ وَالْكُفَّارِ تَرَكُ الصلاةُ » ورواه أبو داود والنسائي ولفظه : « لِيُسَبِّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفَّارِ إِلَّا تَرَكَ الصلاةُ » . ورواه الترمذى ولفظه : « بَيْنَ الْكُفَّارِ وَالْإِيمَانِ تَرَكُ الصلاةُ » ورواه ابن ماجه ولفظه : « بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفَّارِ تَرَكُ الصلاةُ » .

شرف صلاة الجماعة

ومن شرف الأمة المحمدية : ما جعله الله تعالى لها من الخصائص
والفضائل لصلاة الجماعة .

فمنها : أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الرجل منفرداً بخمس
وعشرين ضيغفاً ، كما صخ ذلك في الحديث عن النبي ﷺ فيما رواه أبو
هريرة رضي الله عنه ، وفي رواية عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :
أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبعين
وعشرين درجة » ، وفي رواية : « بخمس وعشرين درجة » (١) .

وقد أجاب النwoي عن هذا الخلاف بين الروايتين : بأن ذلك يختلف
باختلاف أحوال المصليين والصلاة ، فيكون لبعضهم خمس وعشرون ،
ولبعض سبع وعشرون بحسب كمال الصلاة ، ومحافظته على هياتها
وخشوعها وكثرة جماعتها ، وفضلها وشرف البقعة .

ومنها : مغفرة الذنوب ، عن عثمان رضي الله عنه أنه قال : سمعت
رسول الله ﷺ يقول : « من توضأ فأسبغ الوضوء ثم مشى إلى صلاة
مكتوبة فصلأها مع الإمام ، غُفر له ذنبه » (٢) .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه ابن خزيمة في « صحيحه » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهمما قال : قال رسول الله ﷺ : « أتاني الليلة آتٍ من ربتي فقال لي : يا محمد ، قلت : لبيك رب وسعدتك ، قال : هل تَذَرِّي فِيمَا يَخْتَصِّ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قلت : لا أعلم ، فوضَعَ يَدَه بين كَتَفَيَّه حتى وَجَدْتُ بَرَدَهَا بَيْنَ ثَذَنَيَّهِ ، أو قال : في نَحْرِي ، فعِلِّمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، أو قال : مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . قال : يا محمد ، أتَذَرِّي فِيمَا يَخْتَصِّ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قلت : نَعَمْ ، في الْدَّرَجَاتِ ، وَالْكُفَّارَاتِ ، وَتَقْلِيلِ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ »^(١) .

الحديث .

ومنها : أَنَّ مَنْ حَفِظَ عَلَى الْجَمَاعَةِ ، نَالَ جَائزَتَيْنِ :
أَوْلًا : الْعُقْدَةُ مِنَ النَّارِ وَالنَّجَاهَةُ مِنْهَا .

ثَانِيًّا : السَّلَامَةُ مِنَ النَّفَاقِ ، وَالتَّذَبْذِبُ فِي آدَابِ الدِّينِ ، وَطَهَارَةُ الْقَلْبِ لِلَّهِ ، وَالْإِقْبَالُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِإِخْلَاصٍ ، وَنُورُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ الْقُرْبَى فِي الصَّدَرِ يَسْتَضِيءُ بِهِ الْمُؤْمِنُ فَيَتَخَلَّى عَنِ الرِّذَائِلِ وَيَتَرَكُ صَغَائِرَ الذَّنَوبِ وَكَبَائِرَهَا .

فقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صَلَّى اللَّهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةِ يُذْرِكُ التَّكْبِيرَ الْأُولَى ، كُتِّبَ لَهُ بِرَاءَةَ تَانِ : بِرَاءَةُ مِنَ النَّارِ ، وَبِرَاءَةُ مِنَ النَّفَاقِ »^(٢) .

وجاء أيضًا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « مَنْ صَلَّى فِي مسجِدِ جَمَاعَةِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً لَا تَفُوتُهُ الرَّكْعَةُ الْأُولَى مِنْ صَلَاتِ الْعِشَاءِ ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عِنْقَةً مِنَ النَّارِ »^(٣) .

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

(٢) رواه الترمذى وقال : لا أعلم أحداً رفعه إلا ما روى مسلم بن قتيبة عن طعمة بن عمرو .

(٣) رواه ابن ماجه والترمذى .

ومن فضائل الجماعة : أنَّ ثوابها يحصل لمن عزم على حضورها ولو لم يدركها بنيته تفضلاً من الله سبحانه وتعالى ، فالله تعالى يُسوِّي ثوابه بثوابهم ، وحسناه بحسناهم تكْرِماً منه ، وخزائنه لا تنفذ ورحمته تترى .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَخْسَنَ وُضُوئَهُ ثُمَّ رَاحَ فَوَجَدَ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا ، أَعْطَاهُ اللَّهُ مِثْلَ أَجْنِرِ مَنْ صَلَّاهَا وَحَضَرَهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْئاً »^(١) .

وفي رواية سعيد بن المسيب عن رجل من الأنصار قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : فذكر الحديث ، وفيه : « إِنَّ أَتَنِي الْمَسْجَدَ فَصَلَّى فِي جَمَاعَةٍ غَيْرَ لِهِ ، إِنَّ أَتَنِي الْمَسْجِدَ وَقَدْ صَلَّوْا بَعْضًا وَبَقَيَ بَعْضٌ ، صَلَّى مَا أَذْرَكَ وَأَتَمَّ مَا بَقَيَ كَانَ كَذِلِكَ ، إِنَّ أَتَنِي الْمَسْجِدَ وَقَدْ صَلَّوْا ، فَأَتَمَ الصَّلَاةَ كَانَ كَذِلِكَ » .

ومن فضائل الجماعة : أنها محبوبة إلى الله تعالى ، وكلما كانت كثيرة كانت أحب إليه ، فصلاةُ الثلاثة أفضل من الاثنين ، والأربعة أفضل من الثلاثة ، وهكذا كلما كثُرَ الناسُ كان أدعى إلى القبول وأقرب إلى الله سبحانه وتعالى .

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : صَلَّى بَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا الصُّبْحَ فَقَالَ : « أَشَاهِدُ^(٢) فَلَان؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ أَنْقَلَ^(٣) الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِيْنَ ، وَلَوْ تَعْلَمُوْنَ مَا فِيهِمَا لَا تَنْتَمُوْهُمَا وَلَوْ

(١) رواه أبو داود والنسائي والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٢) قوله : « أَشَاهِدُ » أي أحاضر .

(٣) قوله « أَنْقَلَ الصَّلَوَاتَ » أي إن إدراكهن صعب على من نقص إيمانه واشتهر بين =

حَبْوَا^(١) عَلَى الرُّكْبَيْنِ وَإِنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ عَلَى مُثْلِ صَفَّ الْمَلَائِكَةِ وَلَوْ عَلِمْتُمْ
مَا فَضْيَلَتُهُ لَا بَتَدَرْتُمُوهُ ، وَإِنَّ صَلَاتَ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَرْكَى^(٢) مِنْ صَلَاتِهِ
وَحْدَهُ ، وَصَلَاتُهُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَرْكَى مِنْ صَلَاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ ، وَكُلُّ مَا كَثُرَ
أَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٣) .

وَعَنْ قُبَّاثَ بْنِ أَشِيمِ الْلَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} :
« صَلَاتُ الرَّجُلَيْنِ يَوْمٌ أَحَدُهُمَا صَاحِبُهُ ، أَرْكَى عِنْدَ اللَّهِ مِنْ صَلَاتِ أَرْبَعَةِ
تَتْرَى ، وَصَلَاتُ أَرْبَعَةِ أَرْكَى عِنْدَ اللَّهِ مِنْ صَلَاتِ ثَمَانِيَّةِ تَتْرَى ، وَصَلَاتُ ثَمَانِيَّةِ
يَوْمٌ أَحَدُهُمْ أَرْكَى عِنْدَ اللَّهِ مِنْ صَلَاتِ مَائَةِ تَتْرَى »^(٤) .

وَمِنْ فَضَائِلِ الْجَمَاعَةِ : أَنَّ الْمُصْلِيَ يَنَالُ بَرَكَةَ التَّأْمِينِ وَالتَّسْمِيعِ
وَالْتَّحْمِيدِ ، فَقَدْ رَوَى أَبُو هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} قَالَ :
« إِذَا قَالَ الْإِمَامُ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، فَقُولُوا : اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ ،
إِنَّا مَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

وَفِي رَوَايَةِ : « إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِينَ
الْمَلَائِكَةِ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » ، وَفِي رَوَايَةِ « إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ : أَمِينٌ
وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ
مِنْ ذَنْبِهِ » ، وَفِي رَوَايَةِ : « إِذَا قَالَ الْقَارِئُ : غَيْرُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

الْمُسْلِمِينَ بِتَرْحُزِ الْعِقِيدَةِ وَبِتَبَاعِدِهِ عَنِ اتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَتَقْصِيرِهِ عَنْ دَرَكِ
الثَّوَابِ الْجَزِيلِ .

(١) « حَبْوَا » أَيْ زَاحِفِينَ ، أَيْ تَهَرُّصُونَ عَلَى الْحُضُورِ وَلَوْ أَعْبَادُكُمُ الْمَشِي فَتَزْحِفُونَ .

(٢) « أَرْكَى » أَنْقَى وَأَطْهَرَ .

(٣) رواهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ خَزِيمَةَ وَابْنُ حَبَّانَ فِي « صَحِيحِهِمَا »
وَالْحَاكِمِ وَقَدْ جَزَمَ يَحْيَى بْنُ مَعِينَ وَالنَّهْلِي بِصَحَّةِ هَذَا الْحَدِيثِ .

(٤) رواهُ الْبَزَارُ وَالْطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ .

ولا الضالّين ، فقال مَنْ خَلْفَهُ : أَمِينٌ ، فوافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ أَهْلِ السَّمَاءِ ، غَيْرَ
لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنِبِهِ »^(١) .

وقوله ﷺ : « مَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ ، وَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِينَ
الْمَلَائِكَةِ » مَعْنَاهُ : وَافْقَهُمْ فِي وَقْتِ التَّأْمِينِ فَأَمْنَنَ مَعَ تَأْمِينِهِمْ ، فَهَذَا هُوَ
الصَّحِيحُ وَالصَّوَابُ ، وَحَكَى الْقَاضِي عِيَاضٌ قَوْلًا : إِنَّ مَعْنَاهُ وَافْقَهُمْ فِي
الصَّفَةِ وَالْخُشُوعِ وَالْإِخْلَاصِ ، وَأَخْتَلَفُوا فِي هُوَلَاءِ الْمَلَائِكَةِ فَقِيلَ : هُمْ
الْحَفَظَةُ ، وَقِيلَ غَيْرُهُمْ ، لَقَوْلِهِ ﷺ : « فَوَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ أَهْلِ السَّمَاءِ » ،
وَأَجَابَ الْأُولُونَ عَنْهُ : بِأَنَّهُ إِذَا قَالُوهُمُ الْحَاضِرُونَ مِنَ الْحَفَظَةِ ، قَالُوهُمْ مِنْ
فَوْقِهِمْ حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى أَهْلِ السَّمَاءِ .

وَمِنْ فَضَائِلِ الْجَمَاعَةِ : أَنَّ فِي الصَّفَّ الْأُولَى فَضْلًا عَظِيمًا لَوْ عَلِمَهُ
النَّاسُ لَا قَتَلُوا عَلَيْهِ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : إِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفَّ الْأُولَى ثُمَّ لَمْ
يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَا سَتَهِمُوا ، وَلَوْ يَعْلَمُوْنَ مَا فِي التَّهْجِيرِ
لَا سَتَبَقُوا إِلَيْهِ ، وَلَوْ يَعْلَمُوْنَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَا تَوَهُمُوا وَلَوْ
جَنَبُوا »^(٢) .

وَمَعْنَاهُ : لَوْ يَعْلَمُوْنَ مَا فِي الصَّفَّ الْأُولَى مِنَ الْفَضْيَلَةِ نَحْوَ مَا سَبَقَ
وَجَاءُوا إِلَيْهِ دَفْعَةً وَاحِدَةً وَضَاقَ عَنْهُمْ ، ثُمَّ لَمْ يَسْمَعْ بَعْضُهُمْ لَبْعَضَهُ بَعْضَهُ
لَا قَتَرَعُوا عَلَيْهِ .

وَقَوْلُهُ : « لَوْ يَعْلَمُوْنَ مَا فِي التَّهْجِيرِ » ، التَّهْجِيرُ : التَّكْبِيرُ إِلَى
الصَّلَاةِ ، أَيَّ صَلَاةً كَانَتْ .

قَوْلُهُ : « لَوْ يَعْلَمُوْنَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ » ، الْعَتَمَةُ : الْعَشَاءُ .

(١) رُوِيَ جَمِيعُ ذَلِكَ مُسْلِمٌ فِي « صَحِيحِهِ » .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي « صَحِيحِهِ » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لو تَعْلَمُونَ أَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الصَّفَّ الْمُقَدَّمِ لَكَانَتْ قُزْعَةً » ، وقال ابن حرب : الصَّفَّ الْأَوَّلُ مَا كَانَتْ إِلَّا قُزْعَةً^(١) .

والصف الأول هو خير الصُّفوف ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوْلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا ، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوْلُهَا »^(٢) .

والمراد بشر الصُّفوف في الرجال والنساء : أقلها ثواباً وفضلاً وأبعدها من مطلوب الشر ، وخيرها بعكسه ، وإنما فُضِّلَ آخر صُفوف النساء الحاضرات مع الرجال لِيُبعدهنَّ عن مُخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك ، وذُمَّ أول صُفوفهنَّ ، لعكس ذلك . والله أعلم .

واعلم أنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلُ الْمَدْوُحُ الَّذِي قد وردت الأحاديث بفضلِه والبحث عليه ، هو الصَّفَّ الَّذِي يلي الإمام ، سواءً جاء صاحبه متقدماً أو متأخراً ، وسواءً تخلَّله مقصورةٌ ونحوها أم لا ، هذا هو الصحيح الذي يقتضيه ظواهر الأحاديث ، وصرح به المحققون .

ومن فضائل الجماعة : أَنَّ مَنْ صَلَّى العشاءَ فِي جَمَاعَةٍ ، فَكَائِنًا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَمَنْ صَلَّى الصَّبْرَحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَائِنًا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ . كما في الحديث^(٣) .

ومن خصائص الجماعة : أَنَّ مَنْ سَمِعَ نَدَاءَهَا وَلَمْ يُجِبْ بِالْحَضُورِ

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مالك ومسلم وأبو داود . ولفظه : « مَنْ صَلَّى العشاءَ وَالْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ ، الْحَدِيثُ .

والمشاركة مع خلوة من الأعذار ، فإن صلاته ناقصة .

فعن ابن عباس رضي الله عنهمما قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ سَمَعَ النَّدَاءَ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ اتِّبَاعِهِ عُذْرٌ . قالوا : وما العذرُ؟ قال : خَوْفٌ أو مَرْضٌ ، لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّى^(١) .

ومن خصائص الجماعة : أنها تدفعُ الوسواس ، وتحفظُ من الشيطان ، وأنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ لَا تُقْامُ فِيهِمُ الْجَمَاعَةُ يَسْتَحْوِذُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ .

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْبَةٍ وَلَا بَدْرٍ لَا تُقْامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذَّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ »^(٢) .

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه : « وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَّخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَّلْتُمْ »^(٣) . الحديث .

ومن خصائص المحافظة على الجماعة : أنها عَلَامَةُ الإيمان والمواصلةُ مع الله سبحانه وتعالى ، وفي تركها والإعراض عنها صورة من صور الجفاء والكفر والنفاق .

فعن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الْجَفَاءُ كُلُّ الْجَفَاءِ وَالْكُفْرِ وَالنُّفَاقِ » : مَنْ سَمِعَ مَنَادِيَ اللَّهِ يُنَادِي إِلَى الصَّلَاةِ ، فَلَا يُعْجِيْهُ^(٤) .

(١) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه وابن ماجه ، بعنوان .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم . وزاد رزين في « جامعه » « وَإِنَّ ذُنْبَ الْإِنْسَانِ الشَّيْطَانُ إِذَا خَلَّ بِهِ أَكْلَهُ » .

(٣) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما .

(٤) رواه أحمد والطبراني من رواية زبان بن فائد .

وفي تركها أيضاً علامه الشقاء والخيبة . فقد قال عليه السلام : « يَحْسِبُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الشَّقَاءِ وَالخَيْبَةِ أَنْ يَسْمَعَ الْمَؤْذَنَ يُثُوبُ بِالصَّلَاةِ فَلَا يُجِيئُهُ » .
وَالْمَرْأَةُ بِالشَّرِيبِ هُنَا إِقَامَةُ الصَّلَاةِ .

ومن خصائص الجماعة : أنَّ النَّبِيَّ عليه السلام توعَّدَ تاركَها بِأَنْ يُحرِّقَهُ بِالنَّارِ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام : « لَقَدْ هَمَّتْ أَنْ أَمْرَ فِتْنَتِي فَيَجْمِعُونَ لِي حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ ، ثُمَّ آتَيَ قَوْمًا يُصَلُّونَ فِي بَيْوَتِهِمْ لِيُسْتَبِّهُمْ عَلَّةً فَأُخْرِقُهُمْ عَلَيْهِمْ » ، فَقَيْلٌ لِيَزِيدَ - هُوَ ابْنُ الْأَصْمَ - : الْجَمَعَةُ عَنَّى أَوْغَرِهَا ، قَالَ : صُمِّتْ أَذْنَانِي إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمِّعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَأْثِرُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام وَلَمْ يَذْكُرْ جَمَعَةً وَلَا غَيْرَهَا^(١) .

ويكفي أنَّ ابْنَ أَمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ أَعْمَى يَقُولُ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا ضَرِيرٌ شَاسِعُ الدَّارِ^(٢) ، وَلِي قَائِدٌ لَا يُلَامِنِي^(٣) ، فَهَلْ تَجِدُ لِي رُخْصَةً أَنْ أَصَلِّيَ فِي بَيْتِيِّ . قَالَ : أَتَسْمَعُ النَّدَاءَ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً^(٤) .

* * *

(١) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذى مختصراً .

(٢) قوله : شاسع الدار : بعيد الدار .

(٣) قوله : ولِي قَائِدٌ لَا يُلَامِنِي أي مرشد لا يرافق بي ، ولا يقودني بسهولة .

(٤) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة في « صححه » والحاكم .

فَضْلُ الصَّفَّ الْأَوَّلِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالصُّفُوفِ

وَمِنْ فَضَائِلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ : مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصَّفَّ الْأَوَّلِ .

فَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ فِيهِ ثَوَاباً مُّذَخِّراً عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَخْفَاهُ عَنَا ، وَلَوْ كَشَفَ عَنْهُ لَتَسَابَقَ النَّاسُ إِلَيْهِ حَتَّى يُضْطَرُّوْا إِلَى ضَرْبِ الْقُرْبَةِ لِفَضْلِ الْمُنَازَعَةِ فِي شَأْنِهِ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفَّ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمِمُوا عَلَيْهِ ، لَاسْتَهْمَمُوا » ^(١) .

وَفِي رَوَايَةِ مُسْلِمٍ : « لَوْ تَغْلَمُونَ مَا فِي الصَّفَّ الْمُقَدَّمِ ، لَكَانَتْ قُرْبَةُ ». وَالصَّفَّ الْأَوَّلُ هُوَ خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوْلُهَا ، وَشَرُّهَا آخِرُهَا . وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا ، وَشَرُّهَا أَوْلُهَا ». وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَغْفِرُ لِأَهْلِ الصَّفَّ الْأَوَّلِ وَيَصْلِي عَلَيْهِمْ ، فَعَنِ الْعَرَبِيَّاضِ بْنِ سَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْتَغْفِرُ لِلصَّفَّ الْمُقَدَّمِ ثَلَاثَةً ، وَلِلثَّانِي مَرَّةً ^(٢) .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه ابن ماجه والنسائي وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجا للعرباض ، وابن حبان في صحيحه ولفظه : كَانَ يَصْلِي عَلَى الصَّفَّ الْمُقَدَّمِ ثَلَاثَةً . وَعَلَى الثَّانِي واحِدَةً وَلِفَظِ النِّسَائِيِّ كَانَ حَبَانَ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : كَانَ يَصْلِي عَلَى الصَّفَّ الْأَوَّلِ مَرَّتَيْنِ .

بِلَّهُ تَعَالَى وَمَلَائِكَتُهُ الْكَرَامُ يَدْعُونَ لِأَهْلِ الصَّفَّ الْأَوَّلِ بِالغَفْرَانِ
وَالرَّضْوَانِ مَرْتَيْنَ .

فَعَنْ أَبِي أُمَّامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّوْنَ عَلَى الصَّفَّ الْأَوَّلِ » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَعَلَى
الثَّانِي ، قَالَ : إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّوْنَ عَلَى الصَّفَّ الْأَوَّلِ . قَالُوا :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَعَلَى الثَّانِي ؟ قَالَ : وَعَلَى الثَّانِي » .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « سَوْءُوا صُفُوفَكُمْ وَحَادُّوا بَيْنَ مَنَاكِّيْكُمْ ، وَلَيْتُنُّوا
فِي أَيْدِي إِخْرَانِكُمْ ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِيمَا يَبْتَكِمْ بِمَنْزِلَةِ
الْحَدَفِ » ، يَعْنِي أَوْلَادَ الضَّأْنِ الصَّغَارِ^(١) .

وَتَسْوِيَةُ الصَّفَوْفِ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ ، وَقَدْ أَمْرَنَا ﷺ بِذَلِكَ ، فَقَالَ :
« سَوْءُوا صُفُوفَكُمْ ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفَّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ »^(٢) .

وَفِي رَوَايَةِ الْبَخَارِيِّ : « فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفَوْفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ » .

وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدُ وَلُفْظُهُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « رُضِّوا صُفُوفُكُمْ^(٣)
وَقَارِبُوا بَيْنَهُمْ وَحَادُّوا بِالْأَعْنَاقِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرِي الشَّيْطَانَ

(١) رواهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ وَالْطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ .

قَوْلُهُ : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُوْنَ...الخُ » أَيْ يَدْعُونَ بِالغَفْرَانِ وَالرَّضْوَانِ لِمَنْ
سَبَقَ فَأَدْرَكَ أَوْلَ صَفَّ فِي الْمَسْجِدِ .

وَقَوْلُهُ : « وَلَيْنُوا فِي أَيْدِي إِخْرَانِكُمْ » أَيْ : اتَّبِعُوا إِشَارَةَ إِخْرَانِكُمْ وَرَأْيَ
أَصْحَابِكُمْ وَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ هِيَنَا لِيَنَا سَهْلًا مُتَوَاضِعًا قَابِلًا لِلْإِرْشَادِ .

وَقَوْلُهُ : « وَسُدُّوا الْخَلَلَ » أَيْ : امْلَأُوا الْفَرْجَةَ وَسْتَوْا الثَّغْرَةَ فِي صُفُوفِكُمْ .

(٢) رواهُ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمُ وَابْنِ مَاجَهٍ وَغَيْرِهِمْ .

وَقَوْلُهُ : « رُضِّوا صُفُوفُكُمْ » أَيْ ضَمُّوْهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقَارِبُوا وَتَحَاذُّوْهَا لِجَنْبِهِ .
وَالْخَلَلُ : بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَاللَّامِ أَيْضًا : هُوَ مَا يَكُونُ بَيْنَ الْاثْنَيْنِ مِنْ
الْاَتْسَاعِ عَنْدِ دُرُّ التَّرَاصِ .

يَذْخُلُ مِنْ خَلْلِ الصَّفَّ ، كَأَنَّهَا الْحَذْفُ ٌ .

ورواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحهما » نحو رواية أبي داود .

وفي وصل الصفوف ، والانقياد لسد الفرج ثواب عظيم .

قال رسول الله ﷺ : « أَقِيمُوا الصَّفَوْفَ ، وَحَادُّوا بَيْنَ الْمَنَابِكِ ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ ، وَلَيْسُوا بِأَيْدِي إِخْرَانِكُمْ ، وَلَا تَذَرُوا فُرُجَاتَ الشَّيْطَانِ ، وَمَنْ وَصَلَ صَفَّاً وَصَلَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَ صَفَّاً قَطَعَهُ اللَّهُ » (١) .

وقال ﷺ : « أَلَا تُصَفِّونَ كَمَا تُصَفِّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ فَقَالَ الصَّحَابِيُّ الرَّاوِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ تُصَفِّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ : يُتَمَّوْنَ الصَّفَوْفَ الْأُولَى وَيَتَرَاضَوْنَ فِي الصَّفَّ » (٢) .

والحرير على وصل الصفّ هو من خيار الأمة ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « خِيَارُكُمْ ، أَلَيْسُكُمْ مَنَابِكَ فِي الصَّلَاةِ » (٣) .

(١) رواه أحمد وأبو داود وعند النسائي وابن خزيمة آخره .

الفرجات : جمع فرجة ؛ وهي المكان الخالي بين الاثنين .

(٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

(٣) رواه أبو داود .

قوله : « أَلَيْسُكُمْ مَنَابِكَ فِي الصَّلَاةِ » أي أَلَيْسُكُمْ لِلسُّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَالْخُشُوعِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَيْ : لَا يَمْتَنِعُ لِضِيقِ الْمَكَانِ عَلَى مَنْ يَرِيدُ الدُّخُولَ بَيْنَ الصَّفَوْفَ لِسَدِ الْخَلَلِ ، بَلْ يَمْكُنُهُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يَدْفَعُهُ بِمَنْكِبِهِ أَوْ أَنَّهُ يَطَّاوعُ مِنْ جَرَهُ لِيَصُطُّفَ مَعَهُ إِذَا لَمْ يَجِدْ فَرْجَةً أَهْ . « فِيضُ الْقَدِيرِ » ٤٦٦/٣ .

فتجدد الحديث يشمل ثلاثة :

أولاً - التؤدة وترك العبث والخشوع لله .

ثانياً - إذا كانت هناك فرجة ضيقة لا تسع شخصاً ، فجاء شخص ضمّ نفسه ، =

والحرير على وصل الصُّفوف وَسَدَ الْفَرَجَ ، هو ممن يُصلَّى عليه الله
وملائكته .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصِلُّونَ الصُّفُوفَ »^(١) .

والخطوة التي يخطوها المسلم لِوَضْلِ الصَّفَّ ، هي أعظم الخطوات
أجراً ، وهي أحبها إلى الله ، ومن سَدَ فُرْجَةً رفعه الله بها درجة ، وبنى له
بيتاً في الجنة وغفر له وذرَّت عليه الملائكة من البر ، وهذا كله أخبرنا
عنه ﷺ بقوله : « وَمَا مِنْ خَطْوَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ خَطْوَةٍ مَّسَاهَا رَجُلٌ إِلَى
فُرْجَةٍ فِي الصَّفَّ فَسَدَّهَا »^(٢) .

* * *

ولين منكبه حتى وسعه ، وهذا معنى جميل يدعو المسلمين إلى اتساع الصدر
والترحيب بالطائع والمشاركة في الخير والتحمُّل والصبر ، وأن تجِب لأخيك
ما تحب لنفسك .

ثالثاً - إذا جرَّه شخص ليصطف معه لين منكبه وطاعوه . تلك خلال المؤمنين
[هُنَّ يَتَّبِعُونَ أَيْسَارَ ذُووِّ كَرْمٍ] .

(١) رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم وقال :
صحيح على شرط مسلم زاد ابن ماجه : « وَمَنْ سَدَ فُرْجَةً رَفَعَ اللَّهُ بِهَا دَرْجَةً » .

(٢) رواه البزار بإسناد حسن . وقوله : « مَنْ سَدَ فُرْجَةً رَفَعَ اللَّهُ بِهَا دَرْجَةً ، وَبَنَى لَهُ
بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ » رواه الطبراني في « الأَوْسَطِ » وقوله : « مَنْ سَدَ فُرْجَةً فِي الصَّفَّ
غُفِرَ لَهُ » رواه البزار بإسناد حسن . وقوله : « وَلَا يَصِلُّ عَبْدٌ صَفَّا إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ بِهِ
دَرْجَةً وَذَرَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مِنَ الْبَرِّ » رواه الطبراني في « الأَوْسَطِ » .

فضل الإمامة

من فضائل الإمام : أنه كَفِيلٌ بحسن الصلاة وأدائها ، فهو يحفظ على القوم صلاتهم ، ولذلك فإن النبي ﷺ جعله ضامناً .

ومن فضائله : أنه إن أحسن في صلاته ، كان له من الأجر مثل أجر من صلَّى خلفه .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلَيَتَّقَى اللَّهَ وَلَيَعْلَمَ أَنَّهُ ضَامِنٌ مَسْؤُلٌ لِمَا ضَمِنَ ، وَإِنْ أَخْسَنَ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ صَلَّى خَلْفَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئاً ، وَمَا كَانَ مِنْ نَفْصِي فَهُوَ عَلَيْهِ » ^(١) .

ومن فضائله : أنه يوم القيمة على كثيِّبٍ من مسک ، لا يهوله الفزعُ الأكْبَرُ وَلَا يَنَالُهُ الْحِسَابُ ، كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « ثَلَاثَةٌ عَلَى كُثُبَانِ الْمِسْنَكِ ، أَرَاهُمْ قَالَ : - يَوْمَ الْقِيَامَةِ : عَبْدٌ أَذْلَى حَقَّ اللَّهِ وَحْقَ مَوَالِيهِ ، وَرَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ ، وَرَجُلٌ يَنَادِي بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلِيلَةٍ » ^(٢) .

* * *

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » من رواية معاذ بن عباد .

(٢) رواه أحمد والترمذى وقال : حديث حسن . ورواه الطبراني في « الصغير » و« الأوسط » بِإِسْنَادٍ لَا يَأْسَ بِهِ وَلِفَظِهِ : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ثَلَاثَةٌ لَا يَهُولُهُمْ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَلَا يَنَالُهُمْ الْحِسَابُ وَهُمْ عَلَى كُثُبَانِ الْمِسْنَكِ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ حِسَابِ =

فضلُ التأمين

وما خَصَّ اللَّهُ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةِ : التَّأْمِينُ ، وَمَعْنَاهُ : اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ ، أَوْ كَذَلِكَ فَأَفْعُلْ ، أَوْ كَذَلِكَ فَلَيْكَنْ ، وَهُوَ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي تُحْسَدُ عَلَيْهَا .

فَعَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَا حَسَدَنَاكُمْ إِلَيْهِودُ عَلَى شَيْءٍ ، مَا حَسَدَنَاكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالْتَّأْمِينِ »^(١) .

وَفِي رَوَايَةٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذُكِرَتْ عَنْهُ الْيَهُودُ فَقَالَ : « إِنَّهُمْ لَمْ يَخْسِدُنَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا حَسَدُونَا عَلَى الْجَمْعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَضَلَّوْنَا عَنْهَا ، وَعَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ بِهَا وَضَلَّوْنَا عَنْهَا ، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ : أَمِينَ »^(٢) .

وَفِي رَوَايَةٍ : « إِنَّ الْيَهُودَ قَدْ سَهَّلُوا دِينَهُمْ ، وَهُمْ قَوْمٌ حُسَدُّونَ لَمْ يَحْسُدُوا الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَفْضَلِ مِنْ ثَلَاثٍ : رَدَّ السَّلَامِ ، وَإِقَامَةِ الصُّفُوفِ ، وَقَوْلِهِمْ خَلْفَ إِمَامِهِمْ فِي الْمَكْتُوبَةِ أَمِينٌ »^(٣) .

= الخلقُ : رجلٌ قرأ القرآنَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَأَمَّ بِهِ قَوْمًا وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ .
الْحَدِيثُ .

(١) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح ، وابن خزيمة في صحيحه .

(٢) رواه أحمد في المسند .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن .

وقد كان **يَقْتَرِبُ** بهذه العَطْيَةِ وَيَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَانِي خِصَالًا ثَلَاثَةً : أَعْطَانِي صَلَةً فِي الصُّفُوفِ ، وَأَعْطَانِي التَّجْيِهَةَ إِنَّهَا لِتَحِيَّةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَأَعْطَانِي التَّأْمِينَ ، وَلَمْ يُغْطِهِ أَحَدًا مِنَ النَّبِيِّنَ قَبْلِي ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ أَعْطَاهُ هَارُونَ يَدْعُو مُوسَى وَيُؤْمِنُ هَارُونَ » (١) .

وَالْتَّأْمِينُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْمَغْفِرَةِ ، كَانَ النَّبِيُّ **يَقْتَرِبُ** يَقُولُ : « إِذَا قَالَ الْإِمَامُ : غَيْرُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الْصَّالِحِينَ ، فَقُولُوا : آمِينَ ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ ، غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » (٢) .

مَعْنَاهُ : وَافْقَهُمْ فِي وَقْتِ التَّأْمِينِ فَأَمِنُوا مَعَ تَأْمِينِهِمْ ، فَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ وَالصَّوَابُ ، وَحَكَى الْقَاضِي عِيَاضُ قَوْلًا : إِنَّ مَعْنَاهُ : وَافْقَهُمْ فِي الصَّفَةِ وَالْخُشُوعِ وَالْإِخْلَاصِ .

وَأَخْتَلَفُوا فِي هُؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةِ ، فَقَيْلٌ : هُمُ الْحَفَظَةُ ، وَقَيْلٌ غَيْرُهُمْ لِقَوْلِهِ **يَقْتَرِبُ** : « فَوَافَقَ قَوْلَهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ » . وَأَجَابُ الْأُولَوْنَ : بِأَنَّهُ إِذَا قَالَهَا الْحَاضِرُونَ مِنَ الْحَفَظَةِ ، قَالَهَا مَنْ فَوْقُهُمْ حَتَّى يَتَهَيَّى إِلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ . اهـ .

بَلْ إِنَّ هَذِهِ الْمَغْفِرَةَ تَشْمِلُ حَتَّى أَهْلَ الْمَسْجِدِ ، فَقَدْ جَاءَ فِي رَوَايَةِ النَّسَائِيِّ : « فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ كَلَامَ الْمَلَائِكَةِ ، غُفِرَ لِمَنْ فِي الْمَسْجِدِ » .

وَهَذِهِ الْمَغْفِرَةُ شَامِلَةٌ لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الذُّنُوبِ ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ **يَقْتَرِبُ** بِقَوْلِهِ : « إِذَا قَالَ الْإِمَامُ **غَيْرُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الْصَّالِحِينَ** » قَالَ الَّذِينَ خَلْفَهُ : آمِينٌ . التَّقْتُ مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ آمِينٌ غَفَرَ اللَّهُ لِلْعَبْدِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » . وَهَذَا يَعْنِي الصَّغَارِ .

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه من رواية زربي مولى آل المهلب ، وتردد في ثبوته .

(٢) رواه مالك والبخاري ، واللفظ له ، ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

وقد وَعَدَ اللَّهُ مِنْ قَالَ : أَمِينٌ ، بِالإِجَابَةِ بِقَوْلِهِ : « فَقُولُوا : أَمِينٌ ، يُجِنِّكُمْ » .

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على ختم دعائهم بلفظ : أَمِينٌ ، ويقول لهم الصحابي الجليل أبو زُهير النميري : إِنَّ أَمِينَ مِثْلَ الطَّابِعِ عَلَى الصَّحِيفَةِ ، فَكَانَ إِذَا دَعَا أَحَدَهُمْ فِي الْمَجْلِسِ يَقُولُ لَهُ : اخْتَمْ بِأَمِينٍ . وَيَقُولُ لَهُمْ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ذَاتَ لَيْلَةِ نُمْشِي ، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَلْتَخَفَ فِي الْمَسَأَةِ ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ يَسْتَمِعُ مِنْهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ : « أَوْجَبَ إِنْ خَتَمَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِّنْ الْقَوْمِ : بِأَيِّ شَيْءٍ يَخْتِمُ ، فَقَالَ : بِأَمِينٍ ، فَإِنَّهُ إِنْ خَتَمَ بِأَمِينٍ ، فَقَدْ أَوْجَبَ » ، فَانْصَرَفَ الرَّجُلُ الَّذِي سَأَلَ النَّبِيَّ فَأَتَى الرَّجُلَ فَقَالَ : اخْتَمْ يَا فَلَانُ بِأَمِينٍ وَأَبْشِرْ »^(١) .

وَالْمُؤْمِنُ عَلَى دُعَاءِ أَخِيهِ ، شَرِيكُهُ لِهِ فِي تَوْجِهِهِ وَإِقْبَالِهِ وَإِجَابَتِهِ .

قَالَ النَّبِيُّ : « لَا يَجْتَمِعُ مَلَأٌ فَيَدْعُو بَعْضُهُمْ وَيَؤْمِنُ بَعْضُهُمْ إِلَّا أَجَابَهُمُ اللَّهُ »^(٢) .

وَمِنْ هُنَا كَانَ التَّارِكُ لِهَذَا الْلَّفْظِ الْجَلِيلِ مُحْرُومًا ، يَقُولُ النَّبِيُّ : « وَمَثْلُ الَّذِي لَا يَقُولُ : أَمِينٌ ، كَمَثْلِ رَجُلٍ غَرَّا مَعَ قَوْمٍ فَاقْتَرَعُوا فَخَرَجَ سِهَامُهُمْ ، وَلَمْ يَخْرُجْ سِهَامُهُ فَقَالَ : مَا لِسَهَامِي لَمْ يَخْرُجْ ؟ قَالَ : إِنَّكَ لَمْ تَقْلِ أَمِينًا »^(٣) .

(١) رواه أبو داود .

قوله : أَلْتَخَفَ أي أقبل على الطلب مواظباً ، وأكثر من الرجاء في إتمام مسألته يقال : أَلْتَخَفَ السحاب دام مطره ، وألْتَخَفَ الرجل على شيء الحف وقوله : « أَوْجَبَ » أي صارت إجابته محققة ، وقضاء وطره مأمولاً .

(٢) رواه الحاكم .

(٣) رواه أبو يعلى من رواية ليث بن أبي سليم .

وفي هذا الحديث يُشَبَّهُ بِكُلِّهِ الذي غَفل عن ذكر أمين مع الإمام وسها
واشتغل بغير مُراقبة الإمام ، بجنود حاربوا ففازوا ، وغزوا فانتصروا ، ثم
اجتمعوا بعد الفتح المبين لتقسيم الغنائم ، وتوزيع الجوائز ، إلَّا جنديٌ
واحدٌ لم يخرج سَهْمُه في القرعة ، وخسر ولم يأخذ شيئاً من الغنائم ،
فسأل قَائِدُهُ : لماذا لم يخرج سهمي؟ فقال : لأنك لم تطلب ولم تتضرع
إليه مع المأمورين ، فلم تقل : «أَمِينٌ». إنَّ هَذَا مَثَلٌ مَحْسُوسٌ لِمَنْ قَالَ
ففاز ، ومن لم يقل فلم يفز .

ومن هنا كان بِكُلِّهِ يأمرنا بِياكثار التأمين فيقول : «أَكْثِرُوا مِنْ قولِ
آمِينَ»⁽¹⁾ .

* * *

(1) رواه ابن ماجه .

فَضَائِلُ صَلَاتِ الْجُمُعَةِ

وَمِنَ الْشَّرْفِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ : أَنَّهُ اخْتَصَّهَا بِيَوْمِ الْجُمُعَةِ وَجَعَلَهُ عِيداً عَظِيماً ، وَجَعَلَ مِنَ الْخَصَائِصِ وَالْفَضَائِلِ لَهُ وَلِصَلَاتِهِ مَا يَرْتَفِعُ بِهِ قَدْرُهُ وَيَغْنِمُ أَمْرَهُ .

فَمِنْهَا : تَكْفِيرُهَا لِلذَّنْوَبِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَخْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَأَسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَمِنْ مَسَنِ الْحَصَاصِ فَقَدْ لَغَ ». ^(١)

قَالَ النَّوْوَى : وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ النَّهِيُّ عَنْ مَسَنِ الْحَصَاصِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَبْثِ فِي حَالَةِ الْخُطْبَةِ ؛ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى إِقْبَالِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ عَلَى سَمَاعِ الْخُطْبَةِ ، وَالْمَرَادُ بِاللُّغُوِّ هُنَا ، الْبَاطِلُ الْمَذْمُومُ الْمَرْدُودُ .

وَعَنْ أَبِي أَيُوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ أَغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَمَسَنَ مِنْ طَيْبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ وَلَبِسَ مِنْ أَخْسَنِ ثِيَابِهِ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ فَيَرْكعَ مَا بَدَا لَهُ وَلَمْ يَؤْذِ أَحَدًا ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يُصَلِّيَ ، كَانَ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى ». ^(٢)

وَعَنْ أَوْسَ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه الإمام أحمد والطبراني وابن خزيمة في « صحيحه » .

يقول : « مَنْ غَسَلَ يَوْمَ الْجَمْعَةِ وَاغْتَسَلَ وَبَكَرَ وَابْتَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكِبْ وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْعُ ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ عَمَلٌ سَنَةٌ أَجْرٌ صِيَامُهَا وَقِيَامُهَا » .

وعنه رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « الصلوَاتُ الْخَمْسُ ، والجَمْعَةُ إِلَى الجَمْعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ ، مُكَفَّرَاتٌ مَا بَيْتَهُنَّ إِذَا اجْتَبَيْتَ الْكَبَائِرِ » (١) .
وَمِنْهَا : أَنَّ صَلَاةَ الْجَمْعَةِ تُضَيِّعُ الطَّرِيقَ لِأَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قال : « قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : تُخَشِّرُ الْأَيَّامُ عَلَى هَيَّنَتِهَا وَتُخَشِّرُ الْجَمْعَةَ زَهْرَاءَ مُنْتَزَرَةَ ، أَهْلُهَا يَحْفَوْنَ بِهَا كَالْعَرْوَسِ تُهَدَى إِلَى خِذْرَهَا تُضَيِّعُ لَهُمْ يَمْشُونَ فِي ضَوْءِهَا ، أَلْوَانُهُمْ كَالثَّلْجِ بَيْاضًا وَرَيْنَحُهُمْ كَالْمِسْكِ يَخُوضُونَ فِي جَبَالِ الْكَافُورِ يَنْتَظِرُ إِلَيْهِمُ الْثَّقَلَانِ لَا يَطْرُقُونَ تَعْجِبًا - أَيُّ مِنْ حُسْنِ مَنْظَرِ أَهْلِ الْجَمْعَةِ - حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا يُخَالِطُهُمْ أَحَدٌ إِلَّا الْمُؤْذَنُونَ الْمُخْتَسِبُونَ » (٢) .

وَمِنْهَا : أَنَّ درجات التَّوَابِ تَفَاقِطُ بحسب التَّبَكِيرِ إِلَى حضور صَلَاةِ الْجَمْعَةِ ، فَكُلُّمَا بَكَرَ بِالْحُضُورِ ، نَالَ أَجْرًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ .

فَعَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : « مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجَمْعَةِ عُسْنَلَ الْعَجَابَةَ ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى ، فَكَائِنًا قَرَبَ بَدْنَهُ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْثَّالِثَةِ ، فَكَائِنًا قَرَبَ بَقَرَةَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْثَّالِثَةِ ، فَكَائِنًا قَرَبَ كَبَشًا أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْرَّابِعَةِ ، فَكَائِنًا قَرَبَ دَجَاجَةَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ ، فَكَائِنًا قَرَبَ بَنِيَّضَةَ ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الْذِكْرَ » (٣) .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الطبراني وابن خزيمة في « صحيحه » .

(٣) رواه الشیخان وأصحاب السنن .

وفي رواية لهما : « إذا كان يوم الجمعة ، وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى بَابِ المسجدِ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ ، وَمَتَّلُ الْمُهَاجِرِ - أي المُبَرِّ - كَمْثَلُ الَّذِي يُهَدِي بَذَنَّةَ ، ثُمَّ كَبَشَا ثُمَّ دَجَاجَةَ ، ثُمَّ بَيْضَةَ ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طَوَّا صُحْفَهُمْ يَسْتَمِعُونَ الْذِكْرَ » .

وجاء في رواية أَحْمَدَ : قيل لِأَبِي أُمَّامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا أَبَا أُمَّامَةَ ، لَيْسَ لِمَنْ جَاءَ بَعْدَ خَرْجِ الْإِمَامِ جُمُعَةً ؟ فَقَالَ : بَلَى ، وَلَكِنْ لَيْسَ مَمْنَى يُكْتَبُ فِي الصُّحْفِ .

يعني أن الكتبة في الصحف على مراتب مختلفة ، كما هي أيضاً مختلفة في رفعها ومتزلتها عند الله تعالى ، فالصحيفة التي يُكتب فيها المبادرون إلى الصلاة قبل الخطبة لها شأنٌ ورُفُعَ خاصان .

ومنها : أَنَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةً أَفْضَلَ سَاعَاتِهَا ، وَفِيهَا الإِجَابَةُ .

فعن أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَسْمَعْتَ أَبَاكَ يَحْدُثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شَانِ سَاعَةِ الْجُمُعَةِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، سَمِعْتَهُ يَقُولُ : سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ - يَعْنِي عَلَى الْمِنْبَرِ - إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ » ^(١) .

قال المنذري : وإلى هذا القول ذهب طوائف من أهل العلم اهـ . يعني أن تعين ساعة الإجابة قد اختلف فيه العلماء ولكل دليله ، وقد بسط الحافظ ابن حجر تلك الأقوال مفصلاً .

ومن أقوالها : أنها حين تقام صلاة الجمعة إلى الانصراف منها كما

(١) رواه مسلم وغيره .

تقدم ، وقد روى الترمذى وابن ماجه عن عمرو بن عوف رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً لَا يُسَأَّ اللَّهُ عَبْدُ فِيهَا شَيْئًا ، إِلَّا أَتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيْ سَاعَةٌ هِيَ ؟ قَالَ : هِيَ حِينَ تُقَامُ الصَّلَاةُ إِلَى الْاِنْصَارِافِ ». .

ومنها : أنها بعد صلاة العصر ، لما ورد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « التَّمِسُوا السَّاعَةَ الَّتِي تُزْجِي فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى غَيْبُوَةِ الشَّمْسِ »^(١) .

ومنها : أنها تبدأ من حين تدلي الشمس للغروب إلى أن يتكامل غروبها ، قال المنذري في « الترغيب » : قال الحافظ أبو بكر بن المنذر : اختلفوا - أي : الصحابة والتابعون فمن بعدهم - في وقت الساعة التي يستجاب فيها الدعاء من يوم الجمعة ، فروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : هي من بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، ومن بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس .

وقال الحسن البصري وأبو العالية : هي عند زوال الشمس ، وفيه قول ثالث وهو : أنه إذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة ، رُويَ ذلك عن عائشة رضي الله عنها .

ومن فضائل يوم الجمعة : أنَّ الصلاة والسلام على النبي ﷺ فيه يزداد فضلها ويعظم أجرها .

فعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خَلَقَ اللَّهُ أَدَمَ ، وَفِيهِ تُبَيَّضَ ، وَفِيهِ النَّفَخَةُ ، وَفِيهِ الصَّفَقَةُ ، فَأَكْثِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ فِيهِ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ

(١) رواه الترمذى وقال : حسن غريب .

معروضةٌ عَلَيْهِ قَالُوا : وَكَيْفَ تُغَرِّضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرْمَتَ ؟ - أَيْ بَلِيتْ
بَعْدَ الْمَوْتِ - فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَرَمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ
الْأَنْبِيَاءِ ^(١) .

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَكْثِرُوا
مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ الْجُمُعَةِ ، فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ تَشَهِّدُ الْمَلَائِكَةُ ، وَإِنَّ أَحَدًا
لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا عَرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا ، قَالَ قُلْتَ : وَبَعْدَ
الْمَوْتِ ؟ - أَيْ هَلْ تُغَرِّضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ الْمَوْتِ - فَقَالَ :
إِنَّ اللَّهَ حَرَمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ ^(٢) .

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ
قَالَ : أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ فِي الْلَّيْلَةِ الْغَرَاءِ وَالْيَوْمِ الْأَزْهَرِ ، لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ
وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ ^(٣) ، قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : أَقْلُ حَدَّ الْإِكْثَارِ
ثَلَاثَةَ مِائَةٍ أَوْ أَرْبَعَمِائَةٍ .

وَمِنْ فَضَائِلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ : مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ
قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ » .
وَرَوَاهُ الدَّارَمِيُّ فِي « مَسْنَدِهِ » مُوْقَوْفًا عَلَى أَبِي سَعِيدٍ وَلِفَظِهِ : قَالَ :
« مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لِلَّيْلَةِ الْجُمُعَةِ ، أَضَاءَ لَهُ مِنَ الْنُّورِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ
الْعَتِيقِ » .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، سَطَعَ لَهُ نُورٌ مِّنْ

(١) قَالَ الْمَنْذُرِيُّ : رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنَ مَاجَهَ وَابْنَ حَبَّانَ فِي صَحِيحِهِ
وَأَحْمَدَ .

(٢) رَوَاهُ أَبْنَى مَاجَهَ بِإِسْنَادٍ جَيْدٍ .

(٣) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ مَرْفُوعًا .

تحت قدميه إلى عنان السماء يُضيء له يوم القيمة ، وغُفر له ما بين الجمعتين «^(١) .

ومنها : أن يوم الجمعة سيد الأيام وخيرها . قال رسول الله ﷺ : « إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله ، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر ، وفيه خمس خلال : خلق الله فيه آدم ، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض ، وفيه توفي الله آدم ، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً ، إلا أغطاه إيه ما لم يسأل حراماً ، وفيه تقوم الساعة ، ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر ، إلا وهن يُشفقُنَّ من يوم الجمعة »^(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة »^(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تطلع الشمس ولا تغرب على أفضل من يوم الجمعة ، وما من ذاية إلا وهي تفزع يوم الجمعة ، إلا هذين الثقلين الجن والإنس »^(٤) .

ويوم الجمعة هو يوم المزيد الذي يتجلّى فيه رب العزة بالتجلي العام على أهل الجنة بالرؤيا فينظرون إليه ، قال الله تعالى : « لَمْ تَأْشِمُنَّ فِيهَا وَلَدَمَّا مَرِيدُ » [ق : ٣٥] .

روى البزار وغيره بالسند عن أنس رضي الله عنه في قوله تعالى :

(١) قال المنذري : رواه ابن مردويه بساند لا بأس به .

(٢) رواه أحمد وابن ماجه .

(٣) رواه مسلم وأصحاب السنن .

(٤) رواه ابن خزيمة وابن حبان في « صحيحهما » وأبو داود .

﴿وَلَدَيْنَا مَرِيدٌ﴾ قال : يَظْهَرُ لَهُمْ - أَيْ يَتَجَلَّ عَلَيْهِمْ - الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَ فِي كُلِّ يَوْمٍ جَمِيعَهُ .

وَمِنْهَا : أَنَّ صُبْحَهَا أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ اللَّهِ .

وَمِنْهَا : أَنَّهَا تَعَدِّلُ حَجَّةَ ، أَخْرَجَ حُمَيْدَ بْنَ زَنْجُوِيَّهُ فِي « فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ » وَالْحَارِثُ بْنُ أَبِي أَسَمَّةَ فِي « مَسْنَدِهِ » عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْجَمْعَةُ حَجَّ الْمَسَاكِينِ » ، وَأَخْرَجَ أَبْنَ زَنْجُوِيَّهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبَ قَالَ : « الْجَمْعَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَجَّةَ تَطْوِيعٍ »^(١) .

وَمِنْهَا : اسْتِحْبَابُ الْغُسْلِ لَهَا لَمَّا رُوِيَ الشِّيخَانُ عَنْ أَبْنَ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ سَمِعَتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجَمْعَةِ ، كَانَ فِي طَهَارَةٍ إِلَى الْجَمْعَةِ الْأُخْرَى »^(٢) .

وَأَخْرَجَ بِسْنَدِ رَجَالَهُ ثِقَاتٍ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (أَنَّهُ) قَالَ : « إِنَّ الْغُسْلَ يَوْمَ الْجَمْعَةِ لِيَسُّلُ^(٣) الْخَطَايَا مِنْ أُصُولِ الشَّغْرِ اسْتِلَالًا »^(٤) .

(١) قال العراقي : وسنه ضعيف .

(٢) أورده الهيثمي في المجمع ولفظه : عن عبد الله بن قتادة قال : دخل على أبي وأنا أغتسل يوم الجمعة فقال غسلك هذا من جنابة أو للجمعة ؟ قلت : من جنابة . قال : أعد غسلا آخر . إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أغتسل يوم الجمعة كان في طهارة إلى يوم الجمعة الأخرى » رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه هارون بن مسلم قال أبو حاتم فيه لين وثقة الحاكم وابن حبان وبقية رجاله ثقات ج ٢ ص ١٧٤ .

(٣) أي يخرج الذنوب من غصون الشعر إخراجاً . يقال : سل الشيء انتزعاً وفِي حديث عائشة رضي الله عنها : فانسللت من بين يديه أي مضيت وخرجت بتأنٍ وتدريج . من نهاية ابن الأثير ج ٢ ص ١٩١ .

(٤) قال المنذري في الترغيب : رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات ج ١ ص ٤٩٦ .

ومنها : استحباب الطيب والدهن والسواك وإزالة الشعر والظفر .

أخرج البخاري عن سلمان رضي الله عنه . قال : قال النبي ﷺ : « لا يغسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما ^(١) استطاع من طهر ويذهب من دهن ويمس من طين بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين آثين ثم يصل ما كتب له ، ثم ينصل إذا تكلم الإمام ، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى » ^(٢) .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من قلم أظافره يوم الجمعة ، وُقِيَ من الشوء إلى مثيلها » ^(٣) .

ومنها : استحباب لبس أحسن الثياب ، أخرج أحمد وأبو داود والحاكم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال : « من أغسل يوم الجمعة وأستاك ومس من طين إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ، ثم قال : كان كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى » ^(٤) .

ومنها : تضييف أجر الذاهب إليها بكل خطوة أجر سنة ، أخرج أحمد

(١) يريد تطهير ثيابه .

(٢) رواه البخاري ورواه مسلم بایجاز - هدية الباري ج ٢ ص ٢١٦ .

(٣) قال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني في الأوسط وفيه أحمد بن ثابت ويلقب [فرجونة] وهو ضعيف - ج ٢ ص ١٧١ .

(٤) أورده الحاكم في المستدرك وزاد : وعن أبي سلمة ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي في التلخيص ج ١ - ص ٢٨٣ . وأورد في الفتح الكبير وقال : رواه الإمام أحمد في مسنده وابن ماجه والحاكم عن أبي سعيد وأبي هريرة . ج ٣ ص ١٣٦ ، وأخرج أحمد نحوه عن أبي أيوب الأنصاري وأبي الدرداء .

والأربعة والحاكم عن أوس بن أبي أوس الثقفي ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ غَسَلَ وَأَغْسَلَ ثُمَّ بَكَرَ وَأَبْتَكَرَ ، وَمَسَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ وَأَسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْفُ ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْرَةٍ عَمَلٌ سَنَةً أَجْرٌ صِيَامُهَا وَقِيَامُهَا » .

وللطبراني في « الأوسط » من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه في حديث : « إِذَا أَخْذَ فِي الْمَشِي إِلَى الْجَمَعَةِ ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْرَةٍ عَمَلٌ عَشْرِينَ سَنَةً »^(١) . وَسَنْدُهُ ضَعِيفٌ .

وَمِنْهَا : الْأَمَانُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ لِمَنْ مَاتَ يَوْمَهَا أَوْ لِيَلْنَاهَا . أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى عَنْ أَنْسٍ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ مَاتَ يَوْمَ الْجَمَعَةِ وُقِيَ عَذَابَ الْقَبْرِ »^(٢) .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ « عَذَابِ الْقَبْرِ » عَنْ عَكْرَمَةَ بْنِ خَالِدِ الْمَخْزُومِيِّ قَالَ : « مَنْ مَاتَ يَوْمَ الْجَمَعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجَمَعَةِ ، ثُمَّ تَحَمَّلَ بِخَاتَمِ الْإِيمَانِ ، وَوُقِيَ عَذَابَ الْقَبْرِ » .

وَمِنْهَا : أَنَّ لِلْجَمَاعَ فِيهِ أَجْرٌ . أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي « الشُّعْبِ » بِسَنْدٍ ضَعِيفٍ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَيْغَرِّ

(١) وَرَدَ الْحَدِيثُ بِلِفْظِ [مَنْ أَغْسَلَ يَوْمَ الْجَمَعَةِ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَخَطَايَاهُ وَإِذَا أَخْذَ فِي الْمَشِي إِلَى الْجَمَعَةِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْرَةٍ عَمَلٌ عَشْرِينَ سَنَةً . فَإِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَةِ الْجَمَعَةِ أُجِيزَ بِعَمَلِ مَا تَيَّبَ سَنَةً] رِوَايَةُ الطَّبَرَانِيِّ فِي « الْأَوْسَطِ » عَنْ أَبِي بَكْرِ رضي الله عنه وَفِيهِ عَبَادُ بْنُ عَبْدِ الصَّمْدِ . أَبُو مَعْمَرٍ : ضَعْفَةُ الْبَخَارِيِّ وَابْنِ حَبَّانِ . مَعْجَمُ الزَّوَانِدِ ج ٢ ص ١٧٤ طَبِيعُ الْقَدِيسِيِّ .

(٢) أَوْرَدَهُ الْمُتَقَدِّيُّ فِي « مُنْتَخَبِ كَنزِ الْعَمَالِ » وَلِفْظُهُ [مَنْ مَاتَ يَوْمَ الْجَمَعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجَمَعَةِ أُجِيزَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَجَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهِ طَابِعُ الشَّهَادَةِ] وَقَالَ : رِوَايَةُ أَبِي نَعِيمٍ فِي الْحَلِيلِيَّةِ عَنْ جَابِرٍ - ج ٣ - ص ٢٨٦ - وَانْظُرْ « الْمَقَاصِدُ الْحَسَنَةُ » لِلْسَّخَاوِيِّ فِيهِ رِوَايَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ : ص ٤٢ .

أحدكم أن يجامع أهله في كلّ جمعة ، فإن له أجرين اثنين ؛ أجر غُسله وأجر غُسل أمراه «^(١) .

وأخرج سعيد بن منصور في « سننه » عن مكحول أنه سُئل عن الرجل يغتسل من الجنابة يوم الجمعة ، قال من فعل ذلك كان له أجران .

ومنها : الأمان من فتنة القبر لمن مات يومها أو ليلتها ، فلا يُسأل في قبره ، أخرج الترمذى وحسنه والبىهقى وابن أبي الدنيا وغيرهم عن ابن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة ، إلّا وفاته فتنة القبر »^(٢) ، وفي لفظ : « إلّا بريء من فتنة القبر » ، وفي لفظ : « إلّا وقى الفتان » .

قال الحكيم الترمذى : وحكمته أنه قد انكشف له الغطاء عما له عند الله ، لأنّ جهنم لا تسجّر في هذا اليوم ، وتنغلق فيه أبوابها ولا يعمل فيه سلطانها ما يَعْمَلُ في سائر الأيام ، فإذا قبض الله فيه عبداً ، كان دليلاً لسعادته وحسن مآبه ، فإنه لم يُقْبَضْ في هذا اليوم العظيم إلّا من كتب له السعادة عنده ، فلذلك يُقيّه فتنة القبر ، لأنّ سببها إنما هو تمييز المنافق من المؤمن .

ومنها : أنه مذكور في القرآن ذكر تشريف دون سائر أيام الأسبوع ، قال تعالى : « إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ » [الجمعة : ٩] .

(١) قال في « الراموز » : رواه البىهقى في « الشعب » وضيقه ، والديلمى عن أبي هريرة ص ١٧٢ وقال في « شرح الراموز » : له شواهد ج ٢ - ص ٢٤٦ .

(٢) قال المناوى في « الفيض » : رواه الإمام أحمد والترمذى من حديث ربيعة بن يوسف ، عن أبي عمرو أهـ . ولكن وصله الطبرانى فرواه من حديث ربيعة عن عياض بن عقبة عن ابن عمر فذكره ، وهكذا أخرجه أبو يعلى والحكيم الترمذى متصلاً ، وخرجه أبو نعيم من حديث جابر (ج ٥ - ص ٤٩٩) .

ومنها : أنه الشَّاهدُ والمشهودُ في الآية : ﴿ وَشَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ ﴾ [البروج : ٣] ، وقد أقسم الله به .

ومنها : أنه اليوم المُدْخَرُ لهذه الأُمَّةِ ، روى الشِّيخُان عن أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَبْيَدُ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتَيْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ ، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمْ ^(١) الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَانْتَلَفُوا فِيهِ ، فَهَدَانَا اللَّهُ لَهُ ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعُّ ، الْيَهُودُ غَدَا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدِ ^(٢) ». »

وَلِمُسْلِمٍ عن أبي هُرَيْرَةَ وَحُذَيْفَةَ رضيَ اللهُ عنْهُمَا قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجَمْعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجَمْعَةِ » .

* * *

(١) وردت عدة روايات في «السنن» للبيهقي وفي بعضها [هذا يومهم الذي أفترضَ عليهم] (ج ٤ ص ١٧١) .

(٢) أورده التبهاني في «الفتح الكبير» وقال : رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه (ج ٤ ص ٢٦١) .

شرف القائمين بالليل وفضلهم

ومن الشرف الذي أعده الله لهذه الأمة : ذلك الثواب الكبير الذي أعده للقائمين المتهجدين بالليل ، وما خصّ به هذه العبادة الكريمة من مزايا ومناقب عظيمة نُجملُها فيما يأتي :

صلوة الليل هي أفضل الصلاة بعد الفريضة ، روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أفضل الصيام بعد رمضان ، شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل» .

وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «فضل صلاة الليل على صلاة النهار ، كفضل صدقة السر على صدقة العلانية» .

وروى الطبراني عن سمرة رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نصلّي من الليل ما قل أو كثُر ، ونجعل آخر ذلك وترًا .

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها قالت : «إن رسول الله ﷺ كان يقُوم من الليل حتى تَفَطَّرَ قدماه - أي تتشقق وتتوَرَّ - فقلت له : لِمَ تصنعُ هذا وقد غُفرَ لك ما تقدَّمَ مِن ذنِّك وما تَأْخِر؟ قال : أَفَلَا أُحِبُّ أَن أَكُون عَبْدًا شَكُورًا» .

ومن واظب على قيام الليل ، يدخل الجنة بغير حساب ، روى البيهقي عن النبي ﷺ أنه قال : «يُحَشِّرُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُنَادَى فِيْقُولُ : أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ؟

فيقومون وهم قليلٌ فيدخلون الجنة بغير حسابٍ ، ثم يؤمر بسائر الناس إلى الحساب » .

وقيام الليل قربةٌ إلى الله تعالى ومكفرةٌ للسيئات ، روى الترمذى عن أبي أمامة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربةٌ إلى ربكم ومكفرةٌ للسيئات ، ومنهاة عن الإثم » .

وقيام الليل صحةٌ للجسد ، روى الطبرانى عن سلمان الفارسي رضى الله عنه ، عنه ﷺ أنه قال : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، ومقربةٌ لكم إلى ربكم ، ومكفرةٌ للسيئات ، ومنهاةٌ عن الإثم ، ومطردةٌ للداء عن الجسد » .

ومن واظب على قيام الليل ؛ دخل غُرف الجنة بسلام ، روى الترمذى عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال : أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، انجلَ الناسُ إِلَيْهِ - أي أسرعوا إليه - فكُنْتُ فيمن جاءَهُ ، فلما تأملت وجهه واستبنته ، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، قال : فكان أول ما سمعت من كلامه ﷺ أن قال : « أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ » .

وروى الطبرانى بأسناد حسن عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهمَا عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة غرفةً يُرَى ظاهِرُها من باطنها ، وباطِنُها من ظاهِرِها . فقال أبو مالِك الأشعري : لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال : لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ ، وَأَطَعَمَ الْطَّعَامَ ، وَبَاتَ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ » .

وروى ابن حبان وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي وَقَرَّتْ عَيْنِي ، أَنْبَثْتِي عَنْ كُلِّ

شيء ، فقال : كُلُّ شيء خُلِقَ من الماء ، فقلتُ : أخْبِرْنِي بشيء إذا عملته دخلتُ الجنة ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أطْعِمِ الطَّعَامَ ، وَأَفْشِ السَّلَامَ ، وَصَلِّ الأَرْحَامَ ، وَصَلِّ بِاللَّيلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» .

وَقِيَامُ اللَّيلِ فِيهِ شَرْفُ الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، روى الطبراني بإسناد حَسَنٍ عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : « جاء جبريلُ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : يا مُحَمَّدُ ، عِشْنَا مَا شَتَّتَ فَإِنَّكَ مَيْتٌ ، وَأَعْمَلْنَا مَا شَتَّتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ ، وَأَخْبِرْنَا مَا شَتَّتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقٌ ، وَأَعْلَمْنَا أَنَّ شَرْفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيلِ ، وَعِزَّهُ أَسْتِغْنَاهُ عَنِ النَّاسِ » .

روى البيهقي أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « أَشْرَافُ أُمَّتِي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ وَأَصْحَابُ اللَّيلِ » . أي : قُوَّامُ اللَّيلِ .

وَمِنْ قَامَ فَصَلَّى فِي اللَّيلِ لَا يَخِيبُ ، روى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا خَيَّبَ اللَّهُ أَمْرِهِ قَامَ فِي جَوْفِ اللَّيلِ فَأَفْتَحَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَآلِ عُمَرَانَ » .

وَمِنْ قَامَ يُصْلِي فِي اللَّيلِ ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِنَفْحَاتِ الْقُرْبَانِ ، روى الترمذى عن عمرو بن عَبْسَةِ رضي الله عنه أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيلِ الْآخِرِ ، فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ، فَكُنْ » .

وَفِي « الصَّحِيفَتَيْنِ » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاوَاتِ الْمُعْلَوَّةِ حِينَ يَنْقَيُ ثُلُثَ اللَّيلِ الْآخِرِ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُغْطِيهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ » .

وَقَائِمُ اللَّيلِ يُكْتَبُ فِي الْمَذَكُورِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالْمَذَكُورَاتِ ، روى أبو داود عن أبي هريرة وأُبُّي بن كعب رضي الله عنهمَا أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : إذا أَيْقَظْتَ

الرجلُ أهله من الليل فصلّياً أو صلّى ركعتين جمِيعاً كُتباً من الذاكِرِين
والذاكِراتِ .

ومن قَامَ الليلُ وأيقظَ أهله للصلوة في الليل ، وَجَبَتْ لهما الرحمةُ
وَبَثَتْ لهما المغفرة ، روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ : « رَحْمَ اللَّهِ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَهُ ،
فَإِنْ أَبْتَ نَضَحَ - أَيْ رَشَ - فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ ، وَرَحْمَ اللَّهِ امْرَأَهُ قَامَتْ مِنَ
اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا ، فَإِنْ أَبْتَ نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ » .

وروى الطبراني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَا مِنْ رَجُلٍ يَسْتَيقِظُ مِنَ
اللَّيْلِ فَيُوقَظُ امْرَأَهُ ، فَإِنْ غَلَبَهَا النَّوْمُ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ ، فَيَقُولُ مَنْ فِي
بَيْتِهِمَا فِي ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ ، إِلَّا عَفَرَ لَهُمَا » .

وروى الحاكم وصححه عن أبي عبيدة رضي الله عنه قال : قال عبد الله بن سلام : مَكْتُوبٌ فِي التُّورَاةِ : لَقَدْ أَعَدَ اللَّهُ لِلَّذِينَ تَسْجَافُ فِي
جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمُضَاجِعِ مَا لَمْ تَرَ عَيْنِ ، وَلَمْ تَسْمَعْ أَذْنِ ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى
قَلْبِ بَشَرٍ ، وَلَا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ مُقْرَبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُزَسَّلٌ . قال عبد الله :
وَنَحْنُ نَقْرُؤُهَا : « فَلَا تَعْلَمُ فَقْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرْآنٍ أَعْيُنِ » [السجدة : ١٧٠]
الآية .

ومن فَضَائِلِ صَلَاةِ اللَّيْلِ : أَنَّ الْمُشْتَغَلَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِيهَا مُوقَّعٌ تَوْفِيقًا
عَظِيمًا يَغْبِطُهُ عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ عَرَفَ فَضْلَهُ وَشَرْفَهُ ، وَأَنَّهُ يَدْخُلُ فِي هَذَا الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ كُلُّ مَنْ شَارَكَ فِي هَذَا الْخَيْرِ وَلَوْ بِقِرَاءَةِ عَشْرِ آيَاتٍ ، إِذْ يُمْحَى عَنْهُ
بِهَا اسْمُ الْغَفْلَةِ ، فَلَا يُكْتَبُ فِي دِيَوَانِ الْغَافِلِينَ ، فَإِنْ أَكْثَرُ مِنَ الْقِرَاءَةِ
وَأَطْالُهَا ، ارْتَفَعَ إِلَى مَقَامِ الْقَانِتِينَ ، فَإِذَا زَادَ ارْتَفَعَ إِلَى دِيَوَانِ الْمُقَنْطَرِينَ ،
وَالْقَنْطَارِ كَجَبْلِ أَحَدٍ .

رَوَى مُسْلِمٌ فِي « صَحِيحِهِ » عَنْ أَبْنَ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ

رسول الله ﷺ : « لا حسدَ إلَّا في اثنتينِ : رَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ ، فَهُوَ يَقُولُ بِهِ آنَاءَ الْلَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ مَا لَّا ، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ الْلَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ». .

وروى أبو داود عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهمما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَامَ بِعِشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةٍ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَاتِلِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِالْفِلْ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ ». .

وروى الطبراني عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَرَأَ عِشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ كُتِبَ لَهُ قِنْطَارٌ ، وَالْقِنْطَارُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَقُولُ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ : أَفْرَأَ وَازَقَ بِكُلِّ آيَةٍ دَرْجَةً حَتَّى يَتَتَّهِيَ إِلَى آخِرِ آيَةٍ مَعَهُ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْعَبْدِ : أَقِضْنَا ، فَيَقُولُ الْعَبْدُ بِيَدِهِ : يَا رَبِّنَا أَنْتَ أَعْلَمُ ، يَقُولُ بِهَذِهِ الْخُلْدَ وَبِهَذِهِ التَّنْعِيمَ ». .

وروى الطبراني عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَرَأَ عِشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَمَنْ قَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ كُتِبَ لَهُ قُنُوتُ لَيْلَةٍ ، وَمَنْ قَرَأَ مِائَتَيْ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَاتِلِينَ ، وَمَنْ قَرَأَ أَرْبِعَ مِائَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْعَابِدِينَ ، وَمَنْ قَرَأَ خَمْسَمِائَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْحَافِظِينَ ، وَمَنْ قَرَأَ سِتَّمِائَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْخَاشِعِينَ ، وَمَنْ قَرَأَ ثَمَانَمِائَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُخْبِتِينَ ، وَمَنْ قَرَأَ أَلْفَ آيَةٍ أَضْبَحَ لَهُ قِنْطَارٌ ، وَالْقِنْطَارُ أَلْفُ وَمِائَتَيْ أُوْقِيَّةٍ ، وَالْأُوْقِيَّةُ خَيْرٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ - أَوْ قَالَ : خَيْرٌ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ - وَمَنْ قَرَأَ أَلْفَيْ آيَةٍ كَانَ مِنَ الْمُوْجِبِينَ ». .

وَمِنْ فَضَائِلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ : مَا جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْثَّوَابِ لِمَنْ نَامَ طَاهِرًا نَاوِيًّا لِالْقِيَامِ .

فَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّهُ يَبِيَّسُ يُجَاوِرُهُ مَلَكُ الرَّحْمَةِ يَدْعُو لَهُ بِالْمَغْفِرَةِ وَالْحَفْظِ ، قَالَ ﷺ : « مَنْ بَاتَ طَاهِرًا بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكُ ، فَلَا يَسْتَيْقِظُ ». .

إِلَّا قَالَ الْمَلِكُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فَلَانِ ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا «(١)»

وَفِي رَوَايَةِ عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ : « طَهَّرُوا هَذِهِ الْأَجْسَادَ طَهَّرْكُمُ اللَّهُ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَبْيَسْ طَاهِرًا إِلَّا بَاتَ مَعَهُ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ ، لَا يَنْقُلِبْ سَاعَةً مِنَ الْلَّيْلِ إِلَّا قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا » «(٢)» .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّهُ تُسْتَجَابُ دُعَوَتُهُ إِذَا قَامَ مِنْ لَيْلَتِهِ تَلْكَ . فَعَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبْيَسْ طَاهِرًا فَيَتَعَارَضُ مِنَ الْلَّيْلِ فَيَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ » «(٣)» .

وَفِي رَوَايَةِ عَنْ أَبْنَيِ أَمَّاَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَقُولُ : « مَنْ أَوْيَ إِلَى فِرَاشِهِ طَاهِرًا يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى يُدْرِكَهُ التَّهَاسُ ، لَمْ يَنْقُلِبْ سَاعَةً مِنَ الْلَّيْلِ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، إِلَّا أَغْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ » «(٤)» .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ لَهُ ثَوَابَ قِيَامِ تَلْكَ الْلَّيْلَةِ وَلَوْ غَلَبَتْ عَيْنَاهُ وَلَمْ يَقُمْ ، يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ : « مَا مِنْ أَمْرِيَّ تَكُونُ لَهُ صَلَاةٌ بِلَيْلٍ فَيَغْلِبُهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ صَلَاةِهِ ، وَكَانَ نَوْمُهُ عَلَيْهِ صَدَقَةً » «(٥)» .

وَفِي رَوَايَةِ : « وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ » «(٦)» .

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » .

الشَّعَارُ بِكَسْرِ الشَّيْنِ الْمَعْجَمَةُ : هُوَ مَا يَلِي بَدْنَ الْإِنْسَانَ مِنْ ثَوْبٍ وَغَيْرِهِ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط بِإِسْنَادٍ جَيْدٍ .

(٣) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه .

(٤) رواه الترمذى عن شَهْرَ بْنَ حَوْشَبَ عَنْ أَبْنَيِ أَمَّاَةِ وَقَالَ : حَدِيثُ حَسْنٍ .

(٥) رواه مالك وأبو داود والنسائي .

(٦) رواه النسائي بِإِسْنَادٍ جَيْدٍ وَابْنَ حَزِيرَةَ .

وفي رواية : يقول ﷺ : « ما من عَبْدٍ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِقِيَامِ سَاعَةٍ مِّنَ اللَّيلِ فِي نَيَامٍ عَنْهَا ، إِلَّا كَانَ نُومُهُ صَدَقَةً تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ ، وَكَتَبَ لَهُ أَجْرًا مَا نَوَى » ^(١) .

* * *

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » مرفوعاً ، ورواه ابن خزيمة في « صحيحه » موقوفاً لم يرفعه .

فَضْلُ الْمُحَافَظَةِ عَلَى ثَتْنَيْ عَشْرَةِ رَكْعَةٍ مِنَ الشَّنَنِ وَالرَّوَاتِبِ

وَمِنْ شَرْفِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ : مَا جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا مِنَ الْفَضْلِ
وَالثَّوَابِ عَلَى فَعْلِ النَّوَافِلِ .

وَالْحَكْمَةُ فِي شَرْعِيَّةِ النَّوَافِلِ : تَكْمِيلُ الْفَرَائِصِ بِهَا إِنْ عَرَضَ فِيهَا
نَفْصُنْ ، كَمَا ثَبَّتَ فِي الْحَدِيثِ فِي «سِنَنِ أَبْيَ دَاؤِدَ» وَغَيْرِهِ ، وَلَتَرَاضِنُ
نَفْسَهُ بِتَقْدِيمِ النَّافِلَةِ وَيَتَنَشَّطُ بِهَا ، وَيَتَفَرَّغُ قَلْبُهُ أَكْمَلَ فَرَاغٍ لِلْفَرِيْضَةِ ، وَلَهُذَا
يُسْتَحْبِثُ أَنْ يَفْتَحَ صَلَاةَ اللَّيْلِ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ .

وَقَدْ جَاءَ فِي فَضْلِهَا مَزَايَا كَثِيرَةٌ وَمَنَاقِبٌ عَظِيمَةٌ :

فَمِنْهَا : أَنَّ مَنْ حَفَظَ عَلَى ثَتْنَيْ عَشْرَةِ رَكْعَةٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ، بَنِيَ اللَّهُ
لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ . وَفِي رَوَايَةِ دُخُلَ الْجَنَّةِ .

عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَمْلَةَ بِنْتِ أَبِي سَفِيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ : سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّيُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَتْنَيْ
عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطْوِعًا غَيْرَ فَرِيْضَةٍ ، إِلَّا بَنِيَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ، أَوْ إِلَّا
بَنِيَ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(۱) وَزَادَ أَبْنَ حَبَّانَ : «أَرْبَعًا قَبْلَ الظَّهَرِ ،

(۱) رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذى .

وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل صلاة الغداة ^(١) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من ثابَ علَى ثَتَّنِي عَشْرَةً رَكْعَةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ دَخَلَ الْجَنَّةَ : أَرْبَعًا قَبْلَ الظَّهَرِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَشَاءِ ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ ^(٢) .

ومن ذلك : أَنَّ رَكْعَتِي الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « رَكَعْتَا الْفَجْرَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » ^(٣) . وفي رواية لمسلم : « لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا » .

قوله : « خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا » ؛ أَيْ : مِنْ مَتَاعِهَا وَزَهْرَتِهَا ، لَأَنَّ ثَوَابَهَا بَاقٍ ، وَالاضطِجَاعُ سُنَّةٌ بَعْدَ الْفَجْرِ ، لِقَوْلِهِ ^ﷺ : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ رَكْعَتِي الْفَجْرِ ، فَلَا يُضْطَرِّجْ عَلَى يَمِينِهِ » .

وركعتا الفجر فيهما فضيلة عظيمة وثواب جليل . رُوِيَّ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رجل : يا رسول الله ، دُلُّني على عمل ينفعني الله به . قال : عليك بركعتي الفجر ، فإنَّ فيهما فضيلة ^(٤) .

وفي رواية له أيضاً قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لَا تَدْعُوا

(١) ورواه بالزيادة ابن خزيمة وابن حبان في « صحيحهما » ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، إلا أنهم زادوا : « وركعتين قبل الظهر ، وركعتين أظنه قبل العصر » ، ووافق الترمذى على الباقي .

(٢) رواه النسائي وهذا لفظه والترمذى وابن ماجه .

(٣) رواه مسلم والترمذى .

(٤) رواه الطبرانى في « الكبير » .

الرَّكعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاتِ الْفَجْرِ ، فَإِنَّ فِيهِمَا الرَّغَائِبَ » . وَرَوَى أَحْمَدُ مِنْهُ : « وَرَكَعَتِي الْفَجْرِ حَفِظُوا عَلَيْهِمَا ، فَإِنَّ فِيهِمَا الرَّغَائِبَ » .

قُولُهُ : « فَإِنَّ فِيهِمَا الرَّغَائِبَ » : أَيْ مَا يُرْغَبُ فِيهِ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ ، وَبِهِ سُمِّيَتْ صَلَاتُ الرَّغَائِبَ ، وَاحِدَتُهَا : رَغْيَيْهُ .

وَرَكَعْتَا الْفَجْرِ فِيهِمَا الْغَنِيمَةُ كُلَّ الْغَنِيمَةِ ، وَهُمَا رَأْسُ الْمَالِ . عَنْ أَبْنَى عَمِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، تَعْدِلُ ثُلَثَ الْقُرْآنِ . وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ ، وَكَانَ يَقْرُئُهُمَا فِي رَكَعَتِي الْفَجْرِ وَقَالَ : هَاتَانِ الرَّكَعَتَيْنِ فِيهِمَا رُغْبُ الدُّرْ » ^(١) .

وَالْمَعْنَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - : أَنَّ هَاتَيْنِ الرَّكَعَتَيْنِ يُرْغَبُ إِلَيْهِمَا كَمَا يُرْغَبُ فِي جَمْعِ الدُّرْ وَيُوَدُّ مِنْهُ شَيْئاً كَثِيرًا ، وَيُطْمَعُ فِي وَفْرَتِهِ وَيُمْلِي إِلَى كُثُرَتِهِ وَأَنَّ رَكَعَتِي الْفَجْرِ أُولَى مِنَ الْحَرْصِ عَلَيْهِ ، لَأَنَّ ثَوَابَهُمَا أَبْقَى وَأَجْلَ فَائِدَةً ، فَالدُّرُّ فَانٍ وَمَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَمَتَاعُ الْآخِرَةِ نَعِيمٌ مُقِيمٌ .

وَلِذَلِكَ جَاءَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا مُحَافَظَةً شَدِيدَةً ، تَقُولُ السَّيْدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ تَعَاهِداً مِنْهُ عَلَى رَكَعَتِي الْفَجْرِ ^(٢) .

وَفِي رَوَايَةِ لَابْنِ خَزِيمَةَ قَالَتْ : « مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ أَشْرَعَ مِنْهُ إِلَى الرَّكَعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ ، وَلَا إِلَى غَنِيمَةً » .

وَكَانَ يُوصِي بِهِمَا ، يَقُولُ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : « أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثَةِ : بِصُومٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهِيرٍ وَالْوِتْرِ قَبْلَ النُّومِ ، وَرَكَعَتِي الْفَجْرِ » ^(٣) .

(١) رواه أبو يعلى بإسناد حسن والطبراني في « الكبير » واللفظ له .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبُو داود والنسائي وابن خزيمة في « صحيحه » .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » بإسناد جيد وهو عند أبي داود وغيره خلا قوله =

وكان ينهى عن تركهما ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدعوا ركعتي الفجر ، ولو طرأتكمُ الخيل »^(١) . ومن ذلك : فَضْلُ الصَّلَاةِ قَبْلَ الظَّهِيرَةِ وَبَعْدَهَا ، وَأَنَّ مِنْ وَاظْبِعِهَا ، حَرَمَ اللَّهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ .

قال ﷺ : « مَنْ يُحَافِظُ عَلَى أَرْبَعِ رَكْعَاتِ قَبْلِ الظَّهِيرَةِ وَأَرْبَعِ بَعْدَهَا ، حَرَمَ اللَّهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ »^(٢) .

وفي رواية : « أَرْبَعٌ قَبْلَ الظَّهِيرَةِ لَيْسَ فِيهِنَّ تَسْلِيمٌ ، تُفْتَحُ لَهُنَّ أَبْوَابُ السَّمَاوَاءِ »^(٣) .

وفي رواية : « أَنَّهَا تُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاءِ ، فَلَا يُغْلَقُ مِنْهَا بَابٌ »^(٤) .

وهذه الصَّلَاةُ كَانَ يُحَافِظُ عَلَيْهَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَيُطِيلُ فِيهَا الْقِيَامَ . وَيَقُولُ : « أَحِبُّ أَنْ يَصْبَدَ لِي فِي هَذِهِ السَّاعَةِ عَمَلٌ صَالِحٌ »^(٥) .

وَمِنْ فَضَائِلِ هَذِهِ الْأَرْبَعِ الرَّكْعَاتِ : أَنَّهَا كَانَ يُحَافِظُ عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . رُوِيَّ عَنْ ثُوَبَانَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ بَعْدَ نَصْفِ النَّهَارِ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَرَاكَ تَسْتَحِبُّ الصَّلَاةَ هَذِهِ السَّاعَةَ »؟ قَالَ : « تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاءِ ، وَيَنْتَظِرُ اللَّهُ تَبارُكُ وَتَعَالَى بِالرَّحْمَةِ إِلَى خَلْقِهِ ، وَهِيَ

« وَرَكْعَتِي الْفَجْرِ » . وَذَكَرَ مَكَانَهُمَا : « رَكْعَتِي الْضَّحْنِ » .

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذمي .

(٣) رواه أبو داود واللفظ له وأبي ماجه .

(٤) رواه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » .

(٥) رواه أحمد والترمذمي وقال حديث حسن غريب .

صلاتٌ كان يُحافظ عليها آدمُ ونوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعيسى صلوات الله
عليهم «^(١)».

ومن فضائل هذه الصلاة : أنَّ المُحافظ عليها يَنالُ ثوابَ تَهْجُد ليلته
تلك ، رُوِيَ عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ
صَلَّى قَبْلَ الظَّهَرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، كَأَنَّمَا تَهْجَدَ بِهِنَّ مِنْ لِيلَتِهِ ، وَمَنْ صَلَّاهُنَّ
بَعْدَ الْعَشَاءِ ، كَمِثْلِهِنَّ مِنْ لِيلَةِ الْقَدْرِ » ^(٢).

وفي رواية عن عبد الرحمن بن حميد رضي الله عنه ، عن أبيه ، عن
جده رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « صَلَاةُ الْهَجِيرِ مُثُلُ صَلَاةِ
اللَّيْلِ » .

قال الراوي : فَبَيْأَلْتُ عبد الرحمن بن حميد عن الْهَجِيرِ؟ فَقَالَ : إِذَا
رَأَتِ الشَّمْسَ ^(٣) .

وفي رواية عن عمر ^(٤) رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أَرْبَعَ قَبْلَ الظَّهَرِ وَبَعْدَ الزَّوَالِ ، تُخَسَّبُ بِمُثْلِهِنَّ فِي السَّحَرِ ، وَمَا
مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ، ثُمَّ قَرَا : « يَنْقِيَتُهُنَّ اللَّهُمَّ عَنِ
الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُنَّ دَخْرُونَ » [النَّحْل : ٤٨] .

ومن فضائل هذه الصلاة : أنَّ من صَلَّاها كَمَنْ أَعْتَقَ رَقْبَةً مِنْ بَنِي
إِسْمَاعِيلَ . عن بشير بن سلمان ، عن عمرو بن الأنصاري رضي الله

(١) رواه البزار وسنده ضعيف .

(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » وسنده ضعيف .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » . وفي سنده لين ، وجَدُ عبد الرحمن هذا هو عبد
الرحمن بن عوف رضي الله عنه .

(٤) رواه الترمذى في « التفسير » من « جامعه » وقال : حديث غريب لا نعرفه إلَّا مِنْ
حَدِيثِ عَلَى بْنِ عَاصِمٍ .

عنه ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : مَنْ صَلَّى قَبْلَ الظَّهِيرَ أَرْبَعًا ، كَعَدَلَ رَبِّيَّةَ مِنْ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ^(١) .

وهذه الصَّلَاةُ هي أَفْضَلُ صَلَاةِ النَّهَارِ . عن الأَسْوَدِ وَمُرْزَةَ وَمَسْرُوقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالُوا : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَيْسَ شَيْءٌ يَعْدِلُ صَلَاةَ اللَّيلِ مِنْ صَلَاةِ النَّهَارِ ، إِلَّا أَرْبَعًا قَبْلَ الظَّهِيرَ ، وَفَضْلُهُنَّ عَلَى صَلَاةِ النَّهَارِ كَفَضْلِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ عَلَى صَلَاةِ الْوَحْدَةِ ^(٢) .

وَمِنْ ذَلِكَ : مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ قَبْلِ الْعَصْرِ ، فَقَدْ دَعَا لَهُ ^{بِالرَّحْمَةِ} فَقَالَ : « رَجِمَ اللَّهُ أَمْرَأً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا » ^(٣) .

وَجَاءَ أَنَّ مَنْ حَفَظَ عَلَيْهَا ، بَنْيَ اللَّهِ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ^(٤) .

وَجَاءَ أَنَّ مَنْ حَفَظَ عَلَيْهَا ، حَرَّمَ اللَّهُ بَدْنَهُ عَلَى النَّارِ ^(٥) .

وَفِي رَوَايَةٍ : « لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ » ^(٦) .

وَجَاءَ أَنَّ مَنْ حَفَظَ عَلَيْهَا ، فَهُوَ مِنَ الْمَغْفُورِ لَهُمْ ^(٧) .

وَمِنْ ذَلِكَ : مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعَشَاءِ :

١- أَنَّهَا تُسَاوِي ثَوَابَ ثَنَتِي عَشْرَةِ سَنَةٍ . عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ^{بِالرَّحْمَةِ} : « مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ سِتَّ رَكَعَاتٍ لَمْ يَكُلَّمْ

(١) رواه الطبراني في « الكبير » ورواته إلى بشير ثقات .

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » وهو موقوف لا بأس به .

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذني وحسنه ، وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحهما » .

(٤) رواه أبو يعلى .

(٥) رواه الطبراني في « الكبير » .

(٦) رواه الطبراني في « الأوسط » .

(٧) رواه الطبراني في « الأوسط » وهو غريب .

فيما بينهُ بسوءٍ ، عُدِلُنَ بعبادَةِ ثُنتَيْ عشرَةَ سَنَةً»^(١) .

٢- أَنَّ مَنْ حَفِظَ عَلَيْهَا بَنْيَ اللَّهِ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ . رُوِيَّ عَنِ السَّيْدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ عَشْرِينَ رَكْعَةً ، بَنْيَ اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ »^(٢) .

٣- أَنَّهَا سَبَبٌ مَغْفِرَةٌ لِذَنْبِ الظُّنُوبِ . عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ : رَأَيْتُ عُمَارَ بْنَ يَاسِرَ يُصْلِي بَعْدَ الْمَغْرِبِ سِتَّ رَكَعَاتٍ وَقَالَ : رَأَيْتُ حَبِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصْلِي بَعْدَ الْمَغْرِبِ سِتَّ رَكَعَاتٍ وَقَالَ : « مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ سِتَّ رَكَعَاتٍ ، عُفِرَتْ لَهُ ذَنْبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَخْرِ »^(٣) .

٤- أَنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ تُرْفَعُ فِي عَلَيْتَيْنِ . عَنْ مَكْحُولِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَيْلَغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ : « مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ - وَفِي رِوَايَةِ : أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ - ، رُفِعَتْ صَلَاةُ فِي عَلَيْتَيْنِ »^(٤) .

وَمِنْ ذَلِكَ : مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ بَعْدِ الْعَشَاءِ ، فَقَدْ جَاءَ أَنَّهَا تُسَاوِي ثَوَابَ مِنْ صَلَالَاهَا لِيَلَةَ الْقَدْرِ .

رُوِيَّ عَنْ أَنْسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَرْبَعٌ قَبْلَ الظَّهَرِ كَأَرْبَعٍ بَعْدَ الْعَشَاءِ . وَأَرْبَعٌ بَعْدَ الْعَشَاءِ ، كَعَدْلِهِنَّ مِنْ لِيَلَةَ الْقَدْرِ »^(٥) .

(١) رواه ابن ماجه وابن خزيمة في « صحيحه » والترمذى كلهم من حديث عمر بن خثيم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عنه وقال الترمذى حديث غريب .

(٢) وهذا الحديث الذى أشار إليه الترمذى رواه ابن ماجه من رواية يعقوب بن الوليد المدائى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . ويعقوب كذبه أحمد وغيره .

(٣) حديث غريب رواه الطبرانى فى الثلاثة وقال : تفرد به صالح بن قطن البخارى .

(٤) ذكره رزين ولم أره فى الأصول .

(٥) رواه الطبرانى فى « الأوسط » .

وقوله : « كعَذِلُهُنَّ » : أي كمثل ثوابهن ومقدارهن .

وقوله : « من ليلة القدر » : يُريد النبي ﷺ أن يُبيّن أنَّ صلاة أربع ركعات بعد صلاة العشاء تساوي ثواب صلاة أربع ركعات ليلة القدر . والرکعة فيها تساوي ثواب ألف رکعة في غيرها : « لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ » [القدر : ٣] أي العمل فيها يُضاعف الله ثوابه ألف ضعف من ذكر وتسبيح وتحمید . وهكذا من أعمال البر يزداد أجرها ، ويَعْظُمُ خَيْرُها ، وتفتح لها أبواب القبول .

وفي رواية في « الكبير » من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فِي جَمَاعَةٍ ، وَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ، كَانَ كَعْدُلٍ لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ » .

ومن ذلك : ما جاء في المحافظة على صلاة الوتر وأنه ينال أجر من مات في سبيل الله .

فقد رُويَ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ صَلَّى الصَّحْنَى ، وَصَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ ، وَلَمْ يَنْرُكِ الْوَتَرَ فِي سَفَرٍ وَلَا حَضِيرٍ ، كُتِبَ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ » ^(١) .

ومن فضائل الوتر : أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحِبُّهُ . فَمَنْ أَتَى بِهِ فَقَدْ أَتَى بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ .

فعن علي رضي الله عنه قال : الوتر ليس بحتم كصلاة المكتوبة ولكن سَنَه رسول الله ﷺ . قال : « إِنَّ اللَّهَ وَنَرْ يَحِبُّ الْوَتَرَ فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ » ^(٢) .

(١) رواه الطبراني في « الكبير » وفيه نكارة .

(٢) رواه أبو داود والترمذى واللَّفظ له . والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة في « صحيحه » وقال الترمذى : حديث حسن .

وصلة الوتر قد أهدانا الله تعالى بها وهي خير لنا من حمر النعم^(١) . ولذلك حذر رسول الله من تركه وتبرأ من تاركه بقوله : « الوتر حُقٌّ ، فمن لم يوتر فليس مِنَّا . الوتر حُقٌّ ، فمن لم يوتر فليس مِنَّا . الوتر حُقٌّ ، فمن لم يوتر فليس مِنَّا » . ثلاثا^(٢) .

وقد بلغت العناية من سيدنا رسول الله رسول الله بالوتر ؛ أنه أمر من خاف أن لا يقُوم في آخر الليل ، أن يقدّمه في أول الليل . كما جاء عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله رسول الله : « مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوَرِّزْ أَوَّلَهُ ، وَمَنْ طَمَعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوَرِّزْ آخِرَ اللَّيْلِ ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ »^(٣) .

* * *

(١) كذا يقول رسول الله فيما رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى .

(٢) رواه أحمد وأبو داود واللفظ له . وفي إسناده عبيد الله بن عبد الله أبو المنيب العنكبي . ورواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٣) رواه مسلم وابن ماجه والترمذى وغيرهم .

فضائل صلاة النافلة في البيت

ومن فضائل الأمة المحمدية : أنَّ الله سبحانه وتعالى جعل لها الثواب الكبير على صلاة التوافل في البيوت .

فمن ذلك : أنَّ الصلاة في البيت ثُورٌ . قال رسول الله ﷺ : « أمَّا صلاةُ الرجل في بيته فنورٌ ، فنورُوا بيوتكم »^(١) .

ومعناه : أنها ضياءُ القلوب لتخشع الله في خلوتها ، وجلاءُ عن الغفلة ، وانشراح بين العبد وربه ، يُناجيه خالياً من المظاهر ، فيشعر بجلال الله وعظمته ، ويقف ذليلاً أمام المعطي سبحانه فيشرح صدره بالإيمان والمناجاة . وقد أمر ﷺ المسلمين أن يُصلوا النافلة في البيت لترفرف على المصلي رحمة الله ، ولتعمَّم أنواره الوضاءة ، وليشعر كُلُّ من في البيت بخوف الله تعالى ، وأنه جَدِيرٌ بالثناء عليه والشكر له على ما أسبغ عليهم بنعمه .

قال ﷺ : « إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده ، فليجعل لبيته نصيباً من صلاته ، فإنَّ الله جَاعِلٌ في بيته من صلاته خيراً »^(٢) .

وقد شَبَّهَ ﷺ البيت الذي فيه طاعةُ الله وذكرةُ وَعِبادته وَتَسْبِيحُهُ وقراءةُ القرآن فيه أنه ملجأ الصالحين ، وأنه حيٌّ مملوءٌ عمراناً ، ومحاطٌ بالسعادة

(١) رواه ابن خزيمة في « صحيحه » .

(٢) رواه مسلم وغيره ورواه ابن خزيمة في « صحيحه » من حديث أبي سعيد .

والسَّعَةُ وَالرَّضَا . أَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي خَلَا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَمُقْفِرٌ وَخَارِقٌ وَخَرِبٌ ، وَإِنْ عَمَرَهُ أَهْلُهُ فَلَا فَائِدَةُ فِي وُجُودِهِمْ وَعَلَيْهِ شَارِهُ الْغَضَبِ ، وَيَحْوِطُهُ السَّخْطُ وَالْعِصَيَانُ ، وَيُسَرِّحُ وَيُمْرِحُ فِيْهِ الشَّيْطَانُ وَبَيْتُهُ .

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَثُلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ وَالْبَيْتُ الَّذِي لَا يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ ، مَثُلُ الْحَيٌّ وَالْمَيْتِ » ^(١) .

يَقُولُ ابْنُ مُسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّمَا أَفْضَلُ : الصَّلَاةُ فِي بَيْتِي أَوِ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ؟ قَالَ : « أَلَا تَرَى إِلَى بَيْتِي مَا أَفْرَاهُ مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَلَأَنَّ أَصْلَى فِي بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصْلَى فِي الْمَسْجِدِ ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً » ^(٢) .

وَقَدْ أَمْرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِإِكْرَامِ الْبَيْوَتِ فَقَالَ : « أَكْرِمُوا بَيْوَتَكُمْ بِيَعْضِ صَلَاتِكُمْ » ^(٣) . وَفَضْلُ صَلَاةِ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ عَلَى صَلَاةِ هُوَ حِلْلَةُ النَّاسِ ، كَفَضْلِ الْفَرِيْضَةِ عَلَى التَّطْوِعِ ^(٤) .

وَمَعْنَاهُ : أَنَّ صَلَاةَ النَّافِلَةِ أَمَامَ النَّاسِ مَظْنَنَةُ الرِّيَاءِ وَمَدْحُ النَّاسِ إِلَيْهِ أَنَّهُ عَابِدٌ نَّاسِكٌ . وَلَكِنْ فِي الْبَيْتِ أَذْعُنُ إِلَى رَحْمَاتِ اللَّهِ وَأَبْعُدُ عَنِ الظُّنُونِ النَّفَاقِ وَأَعْيُنُ الرَّائِينَ الْمَدَاهِينَ ، إِلَّا الْمُفْرُوضَةُ ، فَتَؤْذَنُ فِي الْمَسْجِدِ جَمَاعَةً كَمَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . وَيُصْلِي الْإِنْسَانُ فِي بَيْتِهِ مَا شَاءَ مِنَ النَّوَافِلِ بِتُؤَدَّةٍ وَطَمَانِيَّةٍ ، وَالْفَرِيْضَةُ أَكْثَرُ ثَوَابًا مِنَ النَّافِلَةِ ، وَحَسَنَاتُهَا مُضَاعِفَةٌ ، وَأَجْرُهَا جَزِيلٌ .

* * *

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه .

(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه .

(٤) رواه البهقي بأسناد جيد .

فَضْلُ الْجُلوسِ فِي الْمُصْلَى

بَعْدَ صَلَةِ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ

وَمِنْ شَرْفِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ : مَا جَعَلَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الثَّوَابِ
لِمَنْ جَلَسَ فِي الْمُصْلَى بَعْدَ صَلَةِ الصُّبْحِ .

فَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى
تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رُكُوعَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأْجِرٍ حَجَّةٌ وَعُمْرَةٌ تَامَّةٌ تَامَّةٌ
تَامَّةٌ «^(١)». هَكَذَا كَرَرَهَا بِاللَّهِ تَعَالَى ثَلَاثَ مَرَاتٍ .

وَفِي رَوَايَةِ أَبْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ بِاللَّهِ تَعَالَى إِذَا
صَلَّى الْفَجْرَ ، لَمْ يَقُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى تُمْكِنَهُ الصَّلَاةُ ، وَقَالَ : « مَنْ صَلَّى
الصُّبْحَ ثُمَّ جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ حَتَّى تُمْكِنَهُ الصَّلَاةُ ، كَانَ بِمَنْزِلَةِ عُمْرَةٍ وَحَجَّةٍ
مُتَقَبِّلَتَيْنِ » «^(٢)» .

وَفِي رَوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَابِرٍ أَنَّ أُمَّامَةَ وَعُتْبَةَ بْنَ عَبْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
حَدَّثَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ بِاللَّهِ تَعَالَى قَالَ : « مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ
ثَبَّتَ حَتَّى يُسَبِّحَ لِلَّهِ سُبْنَةَ الصُّبْحِ ، كَانَ لَهُ كَأْجِرٌ حَاجٌّ وَمُغْتَمِرٌ تَامَّاً لَهُ حَجَّةٌ
وَعُمْرَةٌ » «^(٣)» .

(١) رواه الترمذى وقال حسن غريب .

(٢) رواه الطبرانى في «الأوسط» ورواته ثقافات إلا الفضل بن الموقر ففيه كلام .

(٣) رواه الطبرانى وبعض رواياته مختلف فيه وللمحدث شواهد كثيرة .

ومن ذلك : أنَّ من جَلَسَ مِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الصَّبَحِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، يَنَالُ مِنَ الثَّوَابِ مَا لَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ ، فَهُوَ كَأَنَّهُ أَعْتَقَ أَرْبَعَ رَقَابَ ، وَكَأَنَّهُ أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَأَنَّ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْغَدَاءِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُغْتَقَ أَرْبَعَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَلَأَنَّ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُغْتَقَ أَرْبَعَةَ » (١) .
قال في الموضعين : « أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُغْتَقَ أَرْبَعَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ دِيَةً كُلًّا وَاحِدًا مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا » (٢) .

وفي رواية عن أبي أمامة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لَأَنَّ أَقْعُدَ أَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى وَأَكْبَرُهُ وَأَحْمَدُهُ وَأَسْبَحُهُ وَأَهْلَلُهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُغْتَقَ رَقَبَتَيْنِ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَمِنْ بَعْدِ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُغْتَقَ أَرْبَعَ رَقَبَاتٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ » (٣) .

ومن ذلك : أَنَّهُ تُغْفَرَ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مُثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ .

قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَعَدَ فِي مُصَلَّاهُ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلَوةِ الصَّبَحِ حَتَّى يُسَبِّحَ رَكْعَتِي الصَّحْنِ لَا يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا ، غُفِرَتْ لَهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ » (٤) .

(١) رواه أبو داود وأبو يعلى .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا بالشطر الأول إلا أنه قال : أَحَبُّ إِلَيَّ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ .

(٣) رواه أحمد بإسناد حسن .

(٤) رواه أحمد وأبو داود وأبو يعلى ومعنى يسبح ركعتي الصحن : أي يصلي . وزيد البحر : رغواهه وفقاقيعه .

ومن ذلك : أنه يستحق دخول الجنة لما جاء في الحديث : « من صَلَّى صلاة الفجر ثم قَعَدَ يذَكُّرُ اللهَ حتَّى تطلعَ الشَّمْسُ ، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ »^(١) .

ومن ذلك : أنه لا تَمْسُّ جلدَهُ النَّارُ ، لما رُوِيَ عن الحسن بن علي رضي الله عنهما يرفعه قال : « من صَلَّى الفجرَ ثم ذَكَرَ اللهَ حتَّى تطلعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى ركعتَيْنِ أو أربعَ ركعَاتٍ ، لم تَمْسُّ جلدَهُ النَّارُ وأخذَ الحَسْنَ بِجَلْدِهِ فَمَدَّهُ »^(٢) .

ومن ذلك : أنه لا يَقُولُ مِنْ مُصَلَّاهُ إِلَّا وَصَحَّافِهُ نَقِيَّةٌ قَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ .
رُوِيَ عن عَمْرَةَ رضي الله عنها قالت : سمعتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ - تعني عائشة رضي الله عنها - تقول : سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « مَنْ صَلَّى الفجرَ - أو قال : الغَدَاءَ - فَقَعَدَ فِي مَقْعِدِهِ فَلَمْ يَلْغُ بِشَيْءٍ مِّنْ أَمْرِ الدِّينِ وَيَذَكُّرُ اللهَ حتَّى يَصْلِيَ الصَّحْنَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيْوَمَ وَلَدَنَهُ أَمْهَلَهُ لَا ذَنْبَ لَهُ »^(٣) .

ومن ذلك : أنه يَنَالُ مِنَ الثَّوَابِ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مَا يَنَالُهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَفَازَ بالظَّفَرِ ، وَانْتَصَرَ وَكَسَبَ الْمَغَانِمَ .

رُوِيَ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَعْثًا قِيلَ نَجِدٍ فَغَنِمُوا غَنَائِمَ كَثِيرَةً وَأَسْرَعُوا الرَّجْعَةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِّنْهَا لَمْ يَخْرُجْ : مَا رَأَيْنَا بَعْثًا أَسْرَعَ رَجْعَةً وَلَا أَفْضَلَ غَنِيمَةً مِّنْ هَذَا الْبَعْثِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا أَذْلُّكُمْ عَلَى قَوْمٍ أَفْضَلَ غَنِيمَةً وَأَسْرَعَ رَجْعَةً ؟ قَوْمٌ شَهَدُوا

(١) رواه أبو يعلى .

(٢) رواه البيهقي .

(٣) رواه أبو يعلى واللفظ له والطبراني .

صلوة الصبح ثم جلسوا يذكرون الله حتى طلعت الشمس ، أولئك أسرع
رجمة وأفضل غنية »^(١) .

ومن ذلك : أنَّ مَنْ قَالَ فِي دُبْرِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَهُوَ ثَانِي رِجْلَيْهِ قَبْلَ أَنْ
يَتَكَلَّمَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُخْبِي
وَيُمِنِّي وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، عَشَرَ مَرَاتٍ ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشَرَ
حَسَنَاتٍ ، وَمَحَا عَنْهُ عَشَرَ سَيِّئَاتٍ وَرَفَعَ لَهُ عَشَرَ درَجَاتٍ ، وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ
كُلُّهُ فِي حِزْرٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَحُرْسٍ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَلَمْ يَتَبَعِ لِذَنْبٍ أَنْ يُذْرِكَهُ
فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا الشَّرُكُ بِاللَّهِ تَعَالَى »^(٢) .

وَفِي رَوَايَةٍ : أَنَّ مَنْ قَالَ هَذَا الذِّكْرَ عَشَرَ مَرَاتٍ بَعْدَ الْمَغْرِبِ ، بَعَثَ اللَّهُ
لَهُ مَسْلَحَةً يَحْفَظُونَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُضْبَحَ ، وَكَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشَرَ
حَسَنَاتٍ مَوْجِبَاتٍ ، وَمَحَا عَنْهُ عَشَرَ سَيِّئَاتٍ مُوبِقَاتٍ ، وَكَانَتْ لَهُ بِعَدْلٍ
عَشَرَ رَقَبَاتٍ مُؤْمَنَاتٍ^(٣) .

وَفِي رَوَايَةٍ : بِزِيَادَةٍ : « بِيَدِهِ الْخَيْرُ » ، بَعْدَ قَوْلِهِ : « وَلَهُ الْحَمْدُ » .
وَفِي رَوَايَةٍ : « وَكَانَ لَهُ كُلُّ مَرَّةٍ عَتَقَ رَقَبَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، ثَمَّ كُلُّ
رَقَبَةٍ أَثْنَا عَشَرَ أَلْفَانِاً » .

(١) رواه الترمذى في « الدعوات » من « جامعه » ورواه البزار وأبو يعلى وابن حبان
في « صحيحه » من حديث أبي هريرة بنحوه . وذكر البزار فيه أن القائل ما رأينا :
هو أبو بكر رضي الله عنه وقال في آخره : فقال النبي ﷺ : « يا أبا بكر ألا أدلك
على ما هو أسرع إيايا وأفضل مغنمًا ؟ من صلى الغداة في جماعة ثم ذكر الله حتى
تطلع الشمس » .

(٢) رواه الترمذى واللفظ له وقال : حديث حسن غريب صحيح ، والنسائي وزاد
فيه : بيده الخير ، وزاد فيه أيضًا : « وَكَانَ لَهُ كُلُّ وَاحِدَةٍ قَالَهَا عَتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً » .
ورواه النسائي أيضًا من حديث معاذ وزاد فيه : « مَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلَوةِ
العَصْرِ أُعْطَى مِثْلَ ذَلِكَ فِي لَيْلَتِهِ » .

(٣) رواه النسائي والترمذى .

وفي رواية : أنَّ من قال ذلك مائة مرَّة ، قَبْلَ أَنْ يَثْنِي رِجْلَيْهِ ، كَانَ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ الْأَرْضِ عَمَلًا ، إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ ، أَوْ زَادَ عَلَى مَا قَالَ^(١) .

وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ تُعِيدُ أَنْ بِرَكَةِ هَذَا الذِّكْرِ يَنَالُهَا الْمُسْلِمُ بِشَرْطٍ أَنْ يَأْتِي بِهِ بَعْدِ صَلَاةِ الصَّبَحِ وَالْمَغْرِبِ مُبَاشِرًا ، وَقَبْلِ أَنْ يَتَكَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ جَلْوَسٌ الصَّلَاةُ ، فَإِذَا أَتَى بِهِذِهِ الشُّرُوطِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَكْفُلُ لَهُ أَنْ يُعْطِيهِ سَبْعَ فَوَائِدَ :

أَوْلًا : كِتَابَةُ حَسَنَاتٍ ، ثَانِيًّا : مَحْوُ سَيِّئَاتٍ ، ثَالِثًا : زِيَادَةُ دَرَجَاتٍ ، رَابِعًا : ثَوَابُ الْعُتْقِ ، خَامِسًا : الْحِفْظُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، سَادِسًا : السَّلَامَةُ مِنَ الْمُصَابِّ ، سَابِعًا : التَّنْقِيَةُ مِنَ الْعُيُوبِ وَالنُّجَاةُ مِنَ الْعَذَابِ .

فَالَّذِي يُحَافِظُ عَلَى قِرَاءَةِ هَذَا الْوَرْدِ كُلَّ يَوْمٍ ، يَتَكَرَّمُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِزِيَادَةِ حَسَنَاتٍ مُضَاعِفَةً ، وَإِزَالَةِ سَيِّئَاتٍ مَاحِقَّةً ، وَتَحْصِينَ مِنَ الْمُصَابِّ ، وَوَقْيَ شَرِّ الْحَوَادِثِ ، وَبُعْدَةً عَنِ الْمَكَارِهِ وَالْوَسُوَاسِ الْخَنَاسِ ، فَلَا يَجِدُ الشَّيْطَانُ لَهُ فُرْصَةً يُغُوِّيَهُ وَيُضْلِلُهُ ، هَذَا إِلَى سَلَامَتِهِ مِنْ كُلِّ الذُّنُوبِ مُدْةً يَوْمَهُ ، إِلَّا إِذَا أَلْحَدَ وَأَشْرَكَ بِرَبِّهِ أَحَدًا وَهَذَا عَمَلٌ يَسِيرٌ بِهِ يَنَالُ فَضْلَ اللَّهِ الْكَبِيرِ .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ مَنْ قَالَ بَعْدَ الْفَجْرِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُومُ وَأَتُوَبُ إِلَيْهِ ، كُفُرْتُ عَنِهِ ذُنُوبِهِ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ^(٢) .

* * *

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» بأسناد جيد. وهو عند أحمد بنحوه ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه ابن السنى في كتابه.

صلواتٌ مَخْصُوصَةٌ

وَمِنَ الْشَّرْفِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ : مَا أَعْدَهُ مِنَ الْثَّوَابِ الْجَزِيلِ
وَوَعَدَ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ الْجَلِيلِ عَلَى صَلَاتِ الْضُّحَىِ ، وَالْاسْتِخَارَةِ ، وَصَلَاتِ
الْحَاجَةِ ، وَرَكْعَتِ الْوُضُوءِ ، وَصَلَاتِ التَّسْبِيحِ .

١- صَلَاتُ الْضُّحَىِ :

فَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَوْصَانِي خَلِيلِي رَبِّيَ اللَّهُ بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَرَكْعَتِ الْضُّحَىِ ، وَأَنْ أُوْتِرَ قَبْلَ أَنْ أَزُقَّدَ^(١) .
وَفَضَائِلُ صَلَاتِ الْضُّحَىِ كَثِيرَةٌ نَذْكُرُ جُمِلَةً مِنْهَا :

- ١- بِهَا يَغْفِرُ اللَّهُ تَعَالَى الذُّنُوبَ ، رَوَى التَّرمِذِيُّ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ رَبِّيَ اللَّهُ : « مَنْ حَفِظَ عَلَى شُفْعَةِ الْضُّحَىِ
- أَيْ رَكْعَتِ الْضُّحَىِ - غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » .
وَرَوَى أَبُو يَعْلَى أَنَّ النَّبِيَّ رَبِّيَ اللَّهُ قَالَ : « مَنْ قَامَ إِذَا اسْتَقْبَلَتِهِ الشَّمْسُ - أَيْ
بَعْدَ طَلُوعِهَا وَارْتِفَاعِهَا - فَتَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوئَهُ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ،
غُفِرَتْ لَهُ خَطَايَاهُ وَكَانَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

- ٢- بِهَا يَكُونُ مِنَ الْأَوَابِينِ ، رَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) رواه الشیخان .

قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يُحافِظُ على صلاة الصحي ، إلا أوابٌ ». قال : « وهي صلاة الأوابين ». ورواه الحاكم وقال : على شرط مسلم .

٣- بها يَنالُ أجر المعتمر . روى أبو داود عن أبي أمامة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « من خرج من بيته مُنْظَهًا إلى صلاة مكتوبة - أي مفروضة يُصلِّيَها في المسجد - فأجرُه كأجر الحاج المحرم ، ومن خرج إلى تسبيح الصحي لا يُنْصَبُه إلَّا إِيَاه - أي صلاة الصحي - فأجرُه كأجر المعتمر ، وصلاة على إثْرِ صلاة لا لَغْوَ بينهما ، كتَابٌ في عَلَيْنَ » .

٤- بها يُكتب من العابدين ومن القانتين . روى الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صَلَّى الصُّحْنَ رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَمَنْ صَلَّى أَرْبَعًا كُتُبَ مِنَ الْعَابِدِينَ ، وَمَنْ صَلَّى سِتًّا كُفِيَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَمَنْ صَلَّى ثَمَانِيَا كَتْبَهُ اللَّهُ مِنَ الْقَانِتِينَ ، وَمَنْ صَلَّى ثَيْنَ عَشْرَةَ رَكْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ، وَمَا مِنْ يَوْمٍ وَلَا لَيْلَةً إِلَّا اللَّهُ مَنْ يَمْنُّ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَصَدَقَةً ، وَمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ ، أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يُلْهِمَهُ ذِكْرَهُ » .

٥- بها يَدْخُلُ الجنة من باب الصحي . روى الطبراني عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ : الصُّحْنَ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٌ : أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا يُدِينُونَ صلاةَ الصُّحْنِ؟ هَذَا بَابُكُمْ فَادْخُلُوهُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى » .

٦- بها يكفي الله تعالى العبد مَا هُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَيَدْخُلُ فِي ضَمَانِ اللَّهِ تَعَالَى . روى الترمذى عن أبي الدرداء وأبي ذر رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ ، عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يَا ابْنَ

آدم ، لا تُغِّيِّرْنِي من أربعِ رَكعَاتٍ من أُولِي النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ » .

وروى الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال : قال الله عز وجل : « يا ابن آدم ، صَلِّ لِي أربعَ رَكعَاتٍ من أُولِي النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ » .

٧- بها يُؤدي العبد حُقُوق الصدقات عن أعضائه ، فإن العبد متى أصبح وَجِبَ أن يتصدق عن أعضائه كلها ، وإن صَلَةُ الضَّحْيَ تَفِي بذلك كلَّه . رَوَى مُسْلِمٌ عن أَبِي ذِئْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « يُضْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامٍ » - أي عضو - مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، فَكُلُّ تَسْبِيحٍ صَدَقَةٌ ، وكلَّ تَحْمِيدٍ صَدَقَةٌ ، وكلَّ تَهْلِيلٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَكْبِيرٍ صَدَقَةٌ ، وأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ ، وَيُبَغِّزِيُّهُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَاتَ يَرِكِعُهُمَا مِنَ الْصَّحْيَ » .

وروى الإمام أحمد أنَّ النبي ﷺ قال : « فِي الْإِنْسَانِ سُتُّونَ وَثَلَاثَةَ مُنْفَصِلٍ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَصَدَّقَ عَنْ كُلِّ مُنْفَصِلٍ مِنْهَا صَدَقَةً » . قالوا : فَمَنْ يُطِينُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : الْتَّخَاعَةُ فِي الْمَسْجِدِ تَدْفَنُهَا ، وَالشَّيْءُ تُنْجِيْهُ عَنِ الطَّرِيقِ ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَرِكَعَتَا الْصَّحْيَ تُجْزِيْهُ عَنْكَ » .

وَصَلَةُ الضَّحْيَ أَقْلَلُهَا رَكْعَاتَنِ إِلَى ثَمَانِ رَكعَاتٍ ، وَوَقْتُهَا إِذَا حَلَّتِ الصلوةُ النَّافِلَةُ بَعْدَ شَرْوُقِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوَالِ .

٢- صَلَةُ الْاسْتِخَارَةِ وَدُعَاؤُهَا :

في الترمذى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « من سعادَةِ ابن آدمَ كثرةُ اسْتِخَارَةِ اللَّهِ ، وَرِضَاهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ . وَمِنْ شَقَاءِ ابن آدمَ تَزَكُّهُ اسْتِخَارَةُ اللَّهِ ، وَسُخْطُهُ بِمَا قَضَى لَهُ » .

وعن جابر رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الْاسْتِخَارَةَ فِي الْأَمْوَالِ كُلِّهَا ، كما يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ : « إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ

فَلَيَزْكُفْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيْضَةِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِرُكَ بِعِلْمِكَ
وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ ،
وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ
خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ : عَاجِلٌ أَمْرِي وَآجِلِهِ -
فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرُ شَرٌّ لِي
فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ : عَاجِلٌ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاضْرِفْهُ
عَنِّي وَاضْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حِيثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ « وَيَسِّمِي
حَاجِتَهُ » .

وفي «سنن الترمذى» أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أراد الأمر قال: «اللهم خِزْ لِي وَاحْخَزْ لِي».

وهذا لا ينافي الدعاء السابق ، بل يدعوه أيضاً .

ويستحب افتتاح دعاء الاستخاراة وختمه بالحمد لله والصلوة والتسليم على رسول الله ﷺ مستقبل القبلة كما هو سُنة الدُّعاء ، وأن يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وسورة « الكافرون » وفي الثانية فاتحة الكتاب وسورة « الإخلاص » واستحب جمْعُ من المحدثين والصوفية رضي الله عنهم أن يقرأ في الركعة الأولى قبل سورة الكافرون آية القصص قوله تعالى : « وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سَبَعَنَ اللَّهِ وَتَكَلَّمُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ ١٨ ⑯ وَرَبِّكَ يَعْلَمُ مَا تَكُنُنَّ صُدُورُهُمْ وَمَا يَعْلَمُونَ ١٩ ⑯ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢٠ ⑯ » [القصص : ٦٨-٧٠] ويقرأ في الركعة الثانية قبل سورة الإخلاص آية الأحزاب : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا 】 [الأحزاب : ٣٦] .

قال الإمام الشیخ ابن عربی رضی اللہ عنہ : یَفْعَلُ ذلک - أی الاستخارۃ

على الوجه السابق - في كُلّ حاجةٍ مُهمَّةٍ يُريد فعلها وقضاءها ، ثُمَّ يشرع في حاجته ، فإن كان له فيها خيرٌ عند الله تعالى ، يَسِّرْ له أسبابها إلى أن تحصل ف تكون عاقبتها محمودةً ، وإن تعذر شيءٌ من أسبابها عليه ولم يتفق تحصيلها بِيسِّرٍ ، فلا يُضادُّ القدر ويعلم أنه لو كان فيها خيراً عند الله تعالى ما تعذر أسبابها ، فيعلم أنَّ الله تعالى قد اختار له تركها ، فلا يتألم لذلك وَسِيِّحدُ عاقبة تركها .

قال الإمام النووي رضي الله عنه : وإذا استخار ماضى بعدها لما يُشرُّحُ له صدره ، والله أعلم .

وإذا لم يتضح له شيءٌ يكررها ، فقد روى الديلمي وابن السنى عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أنس ، إذا هَمَمْتَ بأمرٍ فاستَخِرْ رَبَّكَ فيه سبع مرات ، ثم انظُرْ إلى الذي سبقَ إلى قلبك فإنَّ الخيرَ فيه » .

ثم إنَّ الاستخارَة هي طَلْبُ الْخِيرَة في الْأَمْر ، فقد يَكْشِفُ الله تعالى لكَ الخيرَ كَشْفًا قَلْبِيًّا ، فَيُنْشَرِحَ صَدْرُكَ لِذَلِكَ الْأَمْر ، وقد لا يَتَجَهُ قلبك لوجهٍ من الوجوه بِسَبَبِ شُغْلِه في أُمُورٍ أُخْرَى ، أو بِسَبَبِ ضَيْقِه في الْوَقْت ، أو عدم وُجُودِ الْمَنَاسِبَاتِ الْكَاشِفَةُ لِقَلْبِكَ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي اسْتَخَرَتَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ ، فَحِينَئذٍ قَدْ يُجْلِيَهُ اللهُ تَعَالَى وَيَكْشِفَهُ لَكَ فِي عَالَمِ الْمَنَام ، ولِذَلِكَ قَالَ صَاحِبُ « شَرْعَةِ الْإِسْلَام » فِي فَصْلِ فَضْيَلَةِ التَّوَافِل : ثُمَّ إِنَّ الْمَسْمُوَّ مِنَ الْمَشَايِخِ : أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَامَ عَلَى الطَّهَارَةِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ بَعْدِ قِرَاءَةِ الدُّعَاءِ الْمَذْكُورِ ، فَإِنْ رَأَى فِي مَنَامِهِ بِيَاضًا أَوْ حُضْرَةً ، فَذَلِكَ الْأَمْرُ خَيْرٌ ، وَإِنْ رَأَى فِيهِ سُوادًا أَوْ حُمْرَةً ، فَهُوَ شَرٌّ يَنْبَغِي أَنْ يَجْتَنَّبَهُ . اهـ .

قال الشِّيخُ الْأَكْبَرُ رضي الله عنه : وَيَنْبَغِي لِأَهْلِ اللهِ تَعَالَى أَنْ يُصَلِّوا صَلَاتَةَ الْاسْتِخَارَةِ فِي وَقْتٍ مُعِينٍ يُعَيِّنُونَهُ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ فِي كُلِّ يَوْم ، فَإِذَا

قالوا الدعاء الوارد في الحديث كما تقدم ، يقولون في الموضع الذي أمر أن يُسمى حاجته - أي حينما يَصُلُ في الدعاء إلى قوله : اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي - يقول : اللهم إن كُنْت تعلم أن جميع ما تحرك فيه في حقي وفي حق غيري ، وجميع ما يتحرك فيه غيري في حقي وفي حق أهلي وولدي وما ملكت يميني خَيْرٌ لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وأجله من ساعتي هذه إلى مثلها من اليوم الآخر ، فَيَسِرْهُ لي واقدرهُ لي ورضيَّني به ، وإن كُنْت تعلم أن جميع ما تحرك فيه في حقي وفي حق غيري ، وجميع ما يتحرك فيه غيري في حقي وفي حق أهلي وولدي وما ملكت يميني من ساعتي هذه إلى مثلها من اليوم الآخر شُرُّ لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وأجله ، فاصرفه عنِّي واصرفي عنه واقدر لي الخير حيث كان ، ثُمَّ رضيَّني به .

قال الشيخ رضي الله عنه : فإذا فعل ذلك ، فما يَتَحرَّكُ بحركة ولا يَتَحرَّكُ في حَقِّهِ بحركة إِلَّا كَانَ فِيهَا خَيْرٌ مُحَقَّقٌ فعلاً أو تركاً ، جَرِبْتُ هَذَا . اهـ .

فعليك يا أخي أن تُعيّن وقتاً خاصاً أول النهار ، أو بعد صلاة الظهر ، أو بعد صلاة المغرب ، أو بعد صلاة العشاء وتصلي ركعتي الاستخاراة ثم تدعو بما تقدم ، وواطلب على ذلك كُلَّ يوم ، فإن فيه خيراً كثيراً . اهـ .

٣- صلاة الحاجة ودعاؤها :

رَوَى الترمذى وغيره عن عثمان بن حُنِيف رضي الله عنه أَنَّ رجلاً ضَرِيرَاً أتى النبي ﷺ فقال : اذْعُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعَافِيَنِي ، قال : « إِن شَتَّ دُعَوْتُ وَإِن شَتَّ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » . قال : فاذْعُه . - أَيْ ادعُ الله . فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ، ويدعو بهذا الدعاء : « اللَّهُمَّ إِنِّي

أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بْنَيْكَ مُحَمَّدَ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ
بَكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضِي لِي ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ ـ .
وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ : فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ـ أَيْ ثُمَّ دَعَا ـ .

وَفِي التَّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي أُوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا
رَسُولُ اللَّهِ ـ يَوْمًا فَقَعَدَ وَقَالَ : « مَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَوْ إِلَى
أَحَدٍ مِّنْ بَنِي آدَمَ ، فَلِيَتُوْضَأْ وَلِيَخْسِنَ الْوُضُوَّةَ ، ثُمَّ لِيَصْلِيْ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ لِيَثْنِيْ
عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ـ ثُمَّ لِيَقُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ
الْكَرِيمُ سَبَحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَسْأَلُكَ
مَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعِزَّاتِكَ مَغْفِرَتِكَ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ
إِثْمٍ ، لَا تَدْعُ لِي ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ وَلَا هَمَّا إِلَّا فَرَجْتَهُ وَلَا حَاجَةَ هِيَ لِكَ رِضا
إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ـ .

وَفِي « سِنَنِ أَبِي دَاوُدَ » عَنْ حُذَيْفَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ـ إِذَا حَزَبَهُ ـ أَيْ نَزَلَ بِهِ هَمٌّ أَوْ غَمٌّ ـ صَلَّى ـ أَيْ لِأَنَّ الصَّلَاةَ
تَدْفَعُ النَّوَابِ وَتَرْفَعُ الْمَصَابِ ـ . « وَحْزَبَهُ » بِالْبَاءِ أَوْ بِالْنُّونِ كَمَا فِي
« فَيَضِّنُ الْقَدِيرَ » ـ .

٤- صَلَاةُ رَكْعَتَيِ الْوُضُوَّةِ :

عَنْ عَقْبَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبْلِ ، فَجَاءَتْ
نَوْبَتِي ، فَرَوَّخْتُهَا بَعْشَيْ ـ فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ قَائِمًا يَحْدُثُ النَّاسَ
وَأَدْرَكَتْ مِنْ قَوْلِهِ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأْ فَيُخْسِنُ وُضُوَّهُ ثُمَّ يَقُولُ فَيَصْلِيْ
رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلًا عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوْجْهِهِ ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ـ ». فَقَلَّتْ :
مَا أَجْوَدَ هَذِهِ ! فَإِذَا قَاتِلُ يَقُولُ بَيْنَ يَدَيْهِ : الَّتِي قَبَلَهَا أَجْوَدُ ، فَنَظَرَتْ فَإِذَا
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابَ فَقَالَ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ ـ جِئْتَ أَنِفًا ـ أَيْ الْآنِ وَمَا سَمِعْتَ

ما قاله قبله - قال ﷺ : « ما منكم من أحدٍ يتوضأ فتُبَلِّغُ أو فتُسَبِّحُ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبد الله ورسوله ، إلَّا فُتَحَتْ لَه أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيْمَانِهَا شَاءَ »^(١) .
وَعِنْ التَّرْمِذِيِّ بَعْدَ قَوْلِه : « وَرَسُولُه » ، « اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ » . فَيَنْدَبُ صَلَاةً رَكْعَتَيْنِ عَقْبَ الوضوءِ وَكَذَا الْغُسْلُ ، وَيَحْسَنُ أَنْ يَقْرَأَ فِيهِمَا سُورَةً : (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) وَ(الْإِخْلَاصُ) .

٥- صَلَاةُ التَّسْبِيحِ :

وَمِنْ شَرْفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ : أَنَّ اللَّهَ سَبَحَهُ وَتَعَالَى خَصَّهَا بِصَلَاةِ التَّسْبِيحِ .

رَوَى أَبُو دَاوُدْ سَلِيمَانَ بْنَ الْأَشْعَثَ ، وَابْنَ مَاجِهِ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ فِي « سَنْتَهُمَا » قَالَا : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشَرٍ بْنُ الْحَكْمِ الْنِيَسَابُورِيِّ ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، حَدَّثَنَا الْحَكْمُ بْنُ أَبِي أَبَانٍ ، عَنْ عَكْرَمَةَ ، عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ : « يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّا ، أَلَا أُغْنِيْنِكَ أَلَا أَمْنَحُكَ أَلَا أَخْبُوكَ أَلَا أَفْعَلُ بِكَ عَشَرَ حَصَالَةً إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ أُولَئِكَ وَآخَرَهُ ، قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ ، خَطَأَهُ وَعَمَدَهُ ، صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ ، سِرَّهُ وَعَلَيْتَهُ ، عَشَرَ حَصَالَةً : أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةً ، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي أُولِيِّ رَكْعَةٍ فَقُلْ وَأَنْتَ قَائِمٌ : سَبَحَنَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَكْبَرُ ، خَمْسَ عَشَرَةَ مَرَّةً ، ثُمَّ تَزَكَّعُ فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرَأَ ، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ الرَّكْعَةِ فَتَقُولُهَا عَشْرَأَ ، ثُمَّ تَهُوي سَاجِدًا فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ

(١) رواه مسلم .

عشراً ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً ، ثم تسجد فتقولها عشراً ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً ، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات ، وإن استطعت أن تصلّيها في كل يوم مرّة ، فإن لم تستطع ففي كل جمعة مرّة ، فإن لم تفعل ففي كل شهر مرّة ، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرّة ، فإن لم تفعل ففي عمرك مرّة »^(١) .

وقد روى هذا الحديث من طرق كثيرة عن جماعة من الصحابة منهم : عبد الله بن عباس ، وأبو رافع الأنصاري مولى رسول الله ﷺ ، وعبد الله بن عمرو الأنصاري .

قال المنذري في « الترغيب والترهيب » : أمثلها حديث عكرمة هذا ، وقد صَحَّحَهُ جماعةٌ منهم الحفاظ : أبو بكر الأجري ، وأبو محمد عبد الرحيم المصري ، وأبو الحسن المقدسي . وقال أبو بكر بن أبي داود : سمعت أبي يقول : ليس في صلاة التسبيح حديث صحيح غير هذا .

وقال مسلم بن الحجاج : لا يُروى في هذا الحديث إسناد أحسن من هذا . اهـ .

والتحقيق أنَّ الحديث لا ينحطُ عن درجة الحسن ، لطريقه التي تشدّه وتقويه .

وقوله : « غفر الله لك ذنبك أوله وآخره . . . صغيره وكبیره » ، يدلُّ بظاهره على أنَّ الكبائر تُغفرُ بمجرد فعل هذه الصلاة ، وهو محمولٌ على ما إذا افترت بيقنة شروط التوبة ، من الاستغفار والندم والعزم على عدم العود .

(١) وأخرجه الحاكم والبيهقي وغيرهما .

وقوله : « غفر الله لك ذنبك أوله وآخره » ، لا يتناولُ حقوق العباد ، فلا تُسقطُ عن ذمته مهما قدم من أعمال الخير ، وإنما تبرأً ذمته مما هو خاصٌ بحقوق الله تعالى الممحضة .

وقوله : « تقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة » ، مطلقٌ في أي السور يختارها القارئ ، وقد اختار بعضهم لذلك هذه السور : التكاثر ، العصر ، الكافرون ، الإخلاص .

وقوله : « ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرًا » ، أي بعد قول : سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ، وكذلك في الركوع وفي كل ما يأتي تُقال التسبيحات بعد أذكار الصلاة الأصلية .

وقوله : « ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرًا » ، فيه إشارة إلى أنه يجلس قليلاً بعد السجدة الثانية من الركعة الأولى ، وكذا الثالثة ليقول عشر تسبيحات ، وهذه جلسة استراحة ، أما في الركعة الثانية والرابعة ، فيقولها في الجلوس الأصلي للتشهد .

٦- صلاة تقوية الحفظ :

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : بأبي أنت وأمي ، تَفَلَّتْ هذا القرآن من صدري ، فما أجدني أقدِّرُ عليه .

فقال له رسول الله ﷺ : « يا أبا الحسن ، أَفَلَا أَعْلَمُكَ كلماتٍ ينفعك الله بهنَّ وينفع بهنَّ من علمته ويبعث ما تعلمتَ في صدرك؟ قال : أَجَلْ يا رسول الله ، فَعَلِمْنِي . قال : إذا كان ليلة الجمعة فإنِّي استطعتَ أن تقومَ في ثلثِ الليلِ الآخرِ فإنَّها ساعةٌ مشهودَةٌ والدُّعاءُ فيها مستجابٌ . وقد قال أخي يعقوبُ لبنيه : « سَوْفَ أَسْتَفِرُ لَكُمْ رَبِّكُمْ » ، يقول : حتى

تاتي ليلة الجمعة ، فإن لم تستطع فقم في وسطها ، فإن لم تستطع فقم في أولها ، فصل أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس ، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحـم الدخـان ، وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والـم تنـزـل السـجـدة ، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وـتـبـارـكـ المـفـصـل . فإذا فرغت من الشهـد ، فـاخـمـدـ اللهـ وـأـخـسـنـ الشـاءـ على اللهـ وـصـلـ عـلـيـ وـأـخـسـنـ ، وـعـلـىـ سـائـرـ النـبـيـنـ ، وـاستـفـزـ لـلـمـؤـمـنـيـنـ والـمـؤـمـنـاتـ وـلـأـخـوـانـكـ الـذـيـنـ سـبـقـوكـ بـالـإـيمـانـ ، ثم قـلـ في آخرـ ذلكـ : اللـهـ اـرـحـمـنـيـ بـتـرـكـ الـمـعـاـصـيـ أـبـدـاـ ماـ أـبـقـيـتـنـيـ ، وـارـحـمـنـيـ أـنـ أـنـكـلـفـ ماـ لـاـ يـعـنـيـنـيـ ، وـارـزـقـنـيـ حـسـنـ النـظـرـ فـيـمـاـ يـرـضـيـكـ عـنـيـ اللـهـ بـدـيـعـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ ذـاـ الجـلـالـ وـالـإـكـرـامـ وـالـعـيـزةـ الـتـيـ لـاـ تـرـامـ ، أـسـأـلـكـ يـاـ اللهـ يـاـ رـحـمـنـ بـجـلـالـكـ وـنـورـ وـجـهـكـ أـنـ تـلـزـمـ قـلـبـيـ حـفـظـ كـتـابـكـ كـمـاـ عـلـمـتـنـيـ ، وـاـرـزـقـنـيـ أـنـ أـتـلـوـ عـلـىـ التـنـحـيـ الـذـيـ يـرـضـيـنـكـ عـنـيـ ، اللـهـ بـدـيـعـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ ذـاـ الجـلـالـ وـالـإـكـرـامـ وـالـعـيـزةـ الـتـيـ لـاـ تـرـامـ ، أـسـأـلـكـ يـاـ اللهـ يـاـ رـحـمـنـ بـجـلـالـكـ وـنـورـ وـجـهـكـ أـنـ تـنـوـرـ بـكـتـابـكـ بـصـرـيـ وـأـنـ تـعـلـقـ بـهـ لـسـانـيـ ، وـأـنـ تـفـرـجـ بـهـ عـنـ قـلـبـيـ وـأـنـ تـشـرـحـ بـهـ صـدـرـيـ وـأـنـ تـغـيـلـ بـهـ بـدـنـيـ ، فـإـنـهـ لـاـ يـعـيـشـيـ عـلـىـ الـحـقـ غـيـرـكـ وـلـاـ يـؤـتـيـنـيـ إـلـاـ أـنـتـ . وـلـاـ حـوـلـ وـلـاـ قـوـةـ إـلـاـ بـالـلـهـ الـعـلـيـ الـعـظـيمـ .

يـاـ أـبـاـ الـحـسـنـ ، تـفـعـلـ ذـلـكـ ثـلـاثـ جـمـعـ أـوـ خـمـسـاـ أـوـ سـبـعاـ ، تـجـابـ بـإـذـنـ اللهـ . وـالـذـيـ بـعـثـنـيـ بـالـحـقـ مـاـ أـخـطـأـ مـؤـمـنـاـ قـطـ .

قال ابن عباس : فـوـالـلـهـ مـاـ لـبـثـ عـلـيـ إـلـاـ خـمـسـاـ أـوـ سـبـعاـ حـتـىـ جاءـ عـلـيـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ فـيـ مـثـلـ ذـلـكـ الـمـجـلـسـ فـقـالـ : يـاـ رـسـوـلـ اللهـ إـنـيـ كـنـتـ فـيـمـاـ خـلـاـ لـاـ أـخـذـ إـلـاـ أـرـبـعـ آيـاتـ وـنـحـوـهـنـ ، فـإـذـاـ قـرـأـتـهـنـ عـلـىـ نـفـسـيـ تـفـلـتـنـ ، وـأـنـ أـتـعـلـمـ الـيـوـمـ أـرـبـعـينـ آيـةـ وـنـحـوـهـاـ فـإـذـاـ قـرـأـتـهـاـ عـلـىـ نـفـسـيـ فـكـأـنـماـ كـتـابـ اللهـ بـيـنـ عـيـنـيـ ، وـلـقـدـ كـنـتـ أـسـمـعـ الـحـدـيـثـ فـإـذـاـ رـدـذـهـ تـفـلـتـ ، وـأـنـاـ الـيـوـمـ أـسـمـعـ الـأـحـادـيـثـ فـإـذـاـ تـحـدـثـتـ بـهـاـ لـمـ أـخـرـمـ مـنـهـاـ حـرـفـاـ ، فـقـالـ لـهـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ عـنـدـ

ذلك : مؤمنٌ وربُّ الكعبة يا أبا الحسن «^(١) .

وقد عَيَّنَ الحديث السُّور الأربع المذكورة ورتبها في كُلّ ركعة سورة ، وهذا الترتيب مُخالفٌ لترتيب سور القرآن ، ومراعاة ترتيب سور القرآن في الصلاة مستحبة ، ومخالفة المستحب في الأحيان القليلة جائزة ، وقد ورد عنه رضي الله عنه أنّه فعل ذلك أحياناً لبيان عدم الحرمة .

هذا ، وقد جاءت التجارب تؤيد ما ذكرنا ، قال الحافظ أبو الحسن بن عَرَاق : وأخبرني غير واحد أنهم جَرَبوا الدُّعاء به ، فَوجَدُوهُ حَقّاً .

وذلك لأنّ ضعف الاحفظ إن كان فطرياً ، فالله تعالى الخالق الباري المحيي المميت قادرٌ على إمداد الداعي بمزيد من القوة الوعائية ، وإن كان لعارضٍ من أحوال طارئة يقويه الله تعالى على مقاومتها ، فقد اشتمل الحديث على ما يُزيل ذلك حيث يدعو المؤمن ربّه بأن يرحمه بترك المعاصي ، - ومعلومٌ بل مُشاهَدٌ أنّ ارتكاب المعاصي من أعظم أسباب البَلَبَالِ الفكري والذهني - ، واشتمل على الاستعانة بالله لترك الاهتمام فيما لا يعنيه ولا يدخل فيما يمكنه من الأمور ، لأنّه يُوزع فِكرهُ ويمنعه من تركيز الانتباه فيما يعنيه وينفعه ، ويلحق بذلك سائر ما يدخل الهمَّ على الإنسان من الظروف المحيطة به مما لا بدّ له فيه .

وفي الحديث سؤالٌ حُسْنِ النظر فيما يُرضي الله تعالى ، وذلك يشمل كافَّة العلوم والمعارف النافعة ، وكافَّة المصالح المشروعة ، لأنّها يُثاب فاعلها ما دام يبتغي بها رضا الله . وَحُسْنِ النظر يقوّي ارتسام الأمور والمعانٍ في الذهن . . . إلى آخر ما اشتمل عليه الحديث .

* * *

(١) أخرجه الترمذى وقال: حسن غريب، وأخرجه الحاكم وصححه .

فَضْلُ أَدَاءِ الزَّكَاةِ

وَمِنْ شَرْفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ : مَا اخْتَصَّهَا اللَّهُ بِهِ مِنَ الْثَّوَابِ الْعَظِيمِ وَالْفَضْلِ الْكَرِيمِ عَلَى أَدَاءِ الزَّكَاةِ ، وَهِيَ رُكْنٌ مِّنَ الْأَرْكَانِ الَّتِي يَنْبَغِي عَلَيْهَا إِلِّيْسَلَامُ .

فَعَنْ أَبْنَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : بُنْيِي إِلِّيْسَلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحِجَّةِ الْبَيْتِ ، وَصُومُ رَمَضَانَ «^(١)» .

وَالزَّكَاةُ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُوجِبُ دُخُولَ الْجَنَّةِ ، فَفُتُحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَيُقَالُ لَهُ : ادْخُلْ بَسْلَامَ .

قَالَ ﷺ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يُصَلِّي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ ، وَيُخْرِجُ الزَّكَاةَ ، وَيَجْتَنِبُ الْكَبَائِرَ السَّبْعَ ، إِلَّا فُتُحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَقِيلَ لَهُ : اذْخُلْ بَسْلَامَ »^(٢) .

وَفِي رَوَايَةِ أَبْنِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خَمْسٌ مِّنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانِ دُخُولِ الْجَنَّةِ ؛ مِنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، عَلَى وُضُوئِهِنَّ وَرُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ وَمَوَاقِيِّهِنَّ ، وَصَامَ

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

(٢) رواه النسائي واللفظ له ، وابن ماجه ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

رمضانَ ، وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنْ أَسْتَطَعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَأَعْطَى الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا
نَفْسَهُ »^(١) .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كُنْتُ مع رسول الله ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ، ونحن نسير ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني بعمل يُذْخِلُنِي الجنة ، ويبعدُنِي من النار؟ قال : « لقد سأَلَتْ عن عظيم ، وإنَّه لَيُسِيرٌ عَلَى مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ عَلَيْهِ : تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَتَقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحْجُّ الْبَيْتَ »^(٢) . الحديث .

وقد تكفل نبينا ﷺ بالجنة ، لمن أَدَّاها ، وأتى بها على وجهها الصحيح ، فقال : « أَكْفُلُوا لِي بِسَتْ أَكْفُلُ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ ، قُلْتُ : مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : الصَّلَاةُ ، وَالزَّكَاةُ ، وَالْأَمَانَةُ ، وَالْفَرَجُ ، وَالْبَطْنُ ، وَالْمَسَانُ »^(٣) .

وقد سأَلَ رَجُلٌ نَبِيَّنَا ﷺ فقال : أَخْبَرْنِي بِعَمَلٍ يُذْخِلُنِي الجنة؟ قال : « تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَتَقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصِلُّ الرَّحِيمَ »^(٤) .

وفي رواية أَنَّه قال : دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ؟ قال : « تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَتَقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيدهِ ، لَا أَزِيدُ عَلَى

(١) رواه الطبراني في « الكبير » بِاسْنَادِ جَيْدٍ .

(٢) رواه أحمد والترمذى وصححه ، والنمسائى وابن ماجه .

(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » بِاسْنَادِ لَا بَأْسَ بِهِ ، وَلَهُ شَوَّاهِدُ كَثِيرَةٍ .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

هذا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مِنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْتَرُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَلَيَنْتَرُ إِلَى هَذَا ^(١) .

وقد جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُخْبِرُ أَنَّهُ ذُو مَالٍ كَثِيرٍ ، وَذُو أَهْلٍ وَيَقُولُ : أَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَضْنَعُ وَكَيْفَ أُنْفُقُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تُخْرِجُ الزَّكَاةَ مِنْ مَالِكَ ، فَإِنَّهَا طَهْرَةٌ تُطَهِّرُكَ ، وَتَصِلُّ أَفْرِبَاءَكَ ، وَتَعْرِفُ حَقَّ الْمِسْكِينِ ، وَالْجَارِ ، وَالسَّائِلِ » ^(٢) . الْحَدِيثُ .

وَالزَّكَاةُ فَنْطَرَةُ الْإِسْلَامِ ، كَذَا يَقُولُ ﷺ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّ الْمُسْلِمَ يَمْرُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى جَسْرٍ مَمْدُودٍ عَلَى مَنْ جَهَنَّمُ ، وَالْمَزْكُونُ يَعْبُرُهَا ، وَغَيْرُ الْمَزْكُونِيَّ حِينَمَا يَصْلِي إِلَيْهَا ، لَا يَمْكُثُ الْعَبُورُ فَيَسْقُطُ فِي نَارِ جَهَنَّمِ .

وَالزَّكَاةُ أَحَدُ أَسْهَمِ الْإِسْلَامِ الثَّمَانِيَّةِ ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا ﷺ أَنَّ الْإِسْلَامَ ثَمَانِيَّةُ أَسْهَمٍ بِقُولِهِ :

« الْإِسْلَامُ ثَمَانِيَّةُ أَسْهَمٍ : الْإِسْلَامُ سَهْمٌ ، وَالصَّلَاةُ سَهْمٌ ، وَالزَّكَاةُ سَهْمٌ ، وَالصُّومُ سَهْمٌ ، وَحَجَُّ الْبَيْتِ سَهْمٌ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ سَهْمٌ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ سَهْمٌ ، وَالْجَهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَهْمٌ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ لَا سَهْمَ لَهُ » ^(٣) .

وَمِنْ فَضَائِلِ الزَّكَاةِ : أَنَّ مَنْ أَدَى زَكَاةَ مَالِهِ ، فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شَرَّهُ .
يَقُولُ ﷺ : « مَنْ أَدَى زَكَاةَ مَالِهِ ، فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شَرَّهُ » ^(٤) .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) رواه البزار مرفوعاً ، وفيه يزيد بن عطاء اليشكري ، ورواه أبو يعلى من حديث علي مرفوعاً أيضاً . وروي موقوفاً على حذيفة وهو أصح ، قاله الدارقطني وغيره .

(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » واللفظ له ، وابن خزيمة في « صحيحه » .

وفي رواية عند الحاكم : «إذا أديت زكاة مالك ، فقد أذهبت عنك شرّه». وقال : صحيح على شرط مسلم .

ومعنى : «ذهب عنه شره». أي لم يُعذَّب صاحبه به في قبره ، فلا يُمثَّل له شجاعاً أقرع يلدعه ويُعذَّبه ، كما قال عليه السلام لغير المزكي :

«من آتاه الله مالاً فلو يؤد زكاته مثُلَّ له يوم القيمة شجاعاً أقرع له زبيتَان يُطْوَقُه يوم القيمة ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتِيْهِ». يعني شدقته - ، ثم يقول : أنا مالك أنا كنْزك ، ثم تلا عليه السلام : «وَلَا يَحْسِنَ الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ إِمَّا أَنَّهُمْ أَنْفَلُهُمْ فَقْصِلُهُمْ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيْطَوْقُونَ مَا يَبْطَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَلَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ»⁽¹⁾ [آل عمران : ١٨٠] .

ومعنى : «شجاعاً» ، أي حيّة ذكراً ، ومعنى : «زبيتان» : أي زبستان في شدقته ، ومعنى الآية : أي ولا يحسن البخلاء بخلهم هو خيراً لهم ، بل البخل شر لهم ، لاستجلاب العقاب عليهم .

وفي الآية يقول تعالى : «سَيْطَوْقُونَ مَا يَبْطَلُوا بِهِ» وهو معنى قوله عليه السلام : «ما من رجل لا يؤدّي زكاة ماله ، إلا جعله الله شجاعاً في عنيقه يوم القيمة» .

والزكاة حصن منيع للأموال من السرقة والضياع .

يقول عليه السلام : «حَصَنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَأْوُوا مَرَضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَاسْتَقْبِلُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرِّعِ»⁽²⁾ .

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه أبو داود في العراسيل ، ورواه الطبراني والبيهقي وغيرهما عن جماعة من الصحابة مرفوعاً متصلة ، والمرسل أشبه .

والزَّكَاةُ هِيَ تَمَامُ أُمُورِ الدِّينِ ، قَالَ رَبُّكُمْ : « إِنَّ تَمَامَ إِسْلَامِكُمْ أَنْ تُؤْدِيُوا زَكَةَ أَمْوَالِكُمْ » ^(١) .

وَمِنْ فَضَائِلِ الزَّكَاةِ : أَنَّهَا تَنْفِي عَنِ الْمَالِ اسْمَ الْكَنْزِ ، لَا إِنَّ الْمَالَ الَّذِي لَا يُرِيكَ هُوَ الْكَنْزُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرُهُمْ بِعِذَابٍ أَلِيمٍ ^(٢) يَوْمَ يُتَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكَوَّنُ بِهَا جِهَاهُهُمْ وَجُنُودُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفَسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ » [التوبه : ٣٤-٣٥] .

قَالَ النَّبِيُّ رَبُّكُمْ : « كُلُّ مَالٍ وَإِنْ كَانَ تَحْتَ سَبْعَ أَرْضِينَ ، تُؤْدِي زَكَاتُهُ ، فَلَيَسَ بِكَنْزٍ ، وَكُلُّ مَالٍ لَا تُؤْدِي زَكَاتَهُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرًا ، فَهُوَ كَنْزٌ » ^(٣) .

وَالزَّكَاةُ ثَانِي درجات الإسلام فقد سُئلَ ابن مسعود رضي الله عنه : أَيُّ درجات الإسلام أفضل؟ قَالَ : الصلاة ، قَالَ : ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ : الزَّكَاةُ ^(٤) .

وَمِنْ أَدَاهَا فَقَدْ طَعَمَ طَعَمَ الإِيمَانَ ، لَمَّا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ رَبُّكُمْ : « ثَلَاثٌ مِّنْ فَعَلُهُنَّ فَقَدْ طَعَمَ طَعَمَ الإِيمَانَ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَعَلِمَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَا لَهُ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ رَافِدَةً عَلَيْهِ كُلَّ عَامٍ ، وَلَمْ يُعْطِ الْهَرَمَةَ ، وَلَا الدَّرِنَةَ ، وَلَا الْمَرِيضةَ ، وَلَا الشَّرَطَ الْلَّثِينَةَ ، وَلَكِنْ مِنْ وَسْطِ أَمْوَالِكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ ، وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ » ^(٥) .

(١) رواه البزار.

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» مرفوعاً، ورواه غيره موقوفاً على ابن عمر وهو الصحيح.

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» ببيانه لا يأس به.

(٤) رواه أبو داود.

قوله : « رَافِدَةً عَلَيْهِ » ، من الرَّفْد ، وهو الإعانة ، ومعناه : أنه يعطي الزَّكَاة ونفسه تُعْيَّنَ على أدائها بطيبها وعدم حَدِيثِها له بالمنع .

« وَالشَّرْطُ » : - بفتح المعجمة والراء - وهي الرَّذِيلَةُ من المال كالمُسْتَئْ وَالْعَجْفَاء وَنَحْوَهُمَا . « وَالدَّرِنَةُ » : الجرباء .

فَضْلُ الْعَمَلِ عَلَى الصَّدَقَةِ بِالْتَّقْوِي

العَامِلُ عَلَى الصَّدَقَةِ هو الذي يبذل جهده في جَمْع الزَّكَاة من المسلمين ليوصلها إلى بيت المال ، فَيَتَصَرَّفُ الإمام في إِنْفَاقِهَا في المصالح العامة ، والمساعدة والإعانة والإحسان ، وثَوَابُهُ ثَوَابُ الْمُجَاهِدِ لِنَصْرِ دِينِ الله ، المضاعفِ أَجْرُهُ .

يقول ﷺ : « العَامِلُ عَلَى الصَّدَقَةِ بِالْحَقِّ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى ، كَالْغَازِيِّ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ »^(١) .

وقال رسول الله ﷺ : « العَامِلُ إِذَا اسْتَعْمَلَ فَأَخْذَ الْحَقَّ ، وَأَغْطَى الْحَقَّ ، لَمْ يَرُدْ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ »^(٢) .

وَكَسْبُ العَامِلِ هُوَ خَيْرُ كَسْبٍ ، قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ الْكَسْبِ كَسْبُ العَامِلِ إِذَا نَصَحَّ »^(٣) .

وله مثل ثَوَابِ الْمُتَصَدِّقِينَ لِمَا يَقُومُ بِهِ مِنْ أَمَانَةٍ فِي حَفْظِ الصَّدَقَاتِ ، وَإِيصالِهَا إِلَى أَهْلِهَا .

(١) رواه أحمد واللَّفْظُ لِهِ ، وأبو داود والترمذِي وابن ماجه وابن خزيمة في « صحيحه » ، وقال الترمذِي : حديث حسن .

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » عن عبد الرحمن بن عوف .

(٣) رواه أحمد ورواته ثقات .

فَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ
الْخَازِنَ الْمُسْلِمَ الْأَمِينَ الَّذِي يَنْقُلُ مَا أُمِرَ بِهِ فَيُعْطِيهِ كَامِلًا مُّوَفَّرًا طَيِّبَةَ بِهِ نَفْسُهُ
فَيُدْفَعُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ بِهِ ، أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ »^(١) .

وَالْعَالَمُ إِذَا اتَّقَى اللَّهَ وَرَاقَبَهُ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، يَقُولُ ﷺ : « إِنَّهُ
سَتُفَتَّحُ عَلَيْكُمْ مَسَارِقُ الْأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا ، وَإِنَّ عُمَالَهَا فِي النَّارِ ، إِلَّا مَنْ
اتَّقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ »^(٢) .

* * *

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود .

(٢) رواه أحمد .

شرف الصدقة وفضل المتصدقين

ومن الشرف الذي أدخره الله تعالى لهذه الأمة : ما أعده الله تعالى من الفضل الجزيل والثواب الجليل على الصدقة ، وما ميز الله به المتصدقين من الخصائص الحميدة والمزايا المجيدة ، وقد جمعت جملة صالحة من ذلك أذكراها إن شاء الله فيما يأتي :

الصدقة تزيد في العمر ويدبر الله بها أرذل الأخلاق وأسوأها ، ويحفظ بها العبد من الفقر ، فعن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ صَدَقَةَ الْمُسْلِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ وَتَمْنَعُ مِنْتَهَى السُّوءِ ، وَيُذْهِبُ اللَّهُ بِهَا الْكِبْرَ وَالْفَقْرَ وَالْفَخْرَ » .

والمراد بزيادة العمر : البركة فيه ، بأن يُوفَّق للأعمال الصالحة ، فيعمل في سنوات قليلة من الخير ما لا يَعْمَلُهُ غيره في سنوات كثيرة .

والصدقة تزيد في المال وتباركه وتدفع عنه المفسدات . قال ﷺ : « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِّنْ مَالٍ » ^(١) .

والمعنى : أن النقص العاصل في المال في الصورة مَجْبُورٌ بالبركة الخفية ، وهذا مُذَرِّكٌ بالحسن والعادة ، أو أنه وإن نقصت صورته ، لكن ثوابه المعدُّ له في الآخرة جَابِرٌ لنقصه .

(١) رواه مسلم .

الصدقه حجاب من النار ، اتقوا النار ولو بشق تمرة

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » ، أي اجعلوا بينكم وبينها وقاية ، أي حجاباً ولو كان الاتقاء بالتصدق بشيء قليل جداً ، مثل شق تمرة أي جانبها ، أي نصفها فإنه يُفيد . فلا يحتقر المتصدق بذلك ، فلو هُنا للتقليل .

وقد ذكر التمرة دون غيرها كلفمة طعام ، لأن التمر غالب قوت أهل الحجاز ، والاتقاء من النار كنایة عن محو الذنوب ، « إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذَهِّبُنَّ الْسَّيِّئَاتِ » [مود : ١١٤] ، « أَتَبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تُمْحِهَا » . وبالجملة : فَيَهُ حَتَّى عَلَى التَّصْدِيقِ وَلَوْ بِمَا قَلَّ .

وفي الطبراني من حديث فضالة بن عبيد مرفوعاً : « أَجْعَلُو بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ النَّارِ حِجَاباً وَلَوْ بِشِقٍّ تَمْرَةً » .

ولأحمد من حديث ابن مسعود مرفوعاً بإسناد صحيح : « لِيَتَّقَ أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ النَّارِ وَلَوْ بِشِقٍّ تَمْرَةً » .

وله من حديث عائشة بإسناد حسن : « يَا عَائِشَةُ أَسْتَرِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقٍّ تَمْرَةً ، فَإِنَّهَا تَسْدِي مِنَ الْجَائِعِ مَسْدِيَّهَا مِنَ الشَّبَعَانِ » .

ولأبي يعلى من حديث أبي بكر الصديق ، نحوه وأتم منه بلفظ : « تَقْعُ مِنَ الْجَائِعِ مَوْقِعَهَا مِنَ الشَّبَعَانِ » وكان الجامع بينهما في ذلك حلاوتها .

وفي رواية : « يَا عَائِشَةً ، اشْتَرِي نَفْسَكِ مِنَ اللَّهِ ، لَا أُغْنِي عَنِكِ مِنَ اللَّهِ شِيئاً وَلَوْ بِشِقٍّ تَمْرَةً » .

وفي رواية : عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « تَصَدَّقُوا فَإِنَّ الصَّدَقَةَ فِكَاكُكُمْ مِنَ النَّارِ » .

وفي رواية : أن رسول الله ﷺ قال لعائشة : « أختَجِبِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقْ تَمَرَّةٍ ٍ ». .

وفي رواية : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ النَّارِ حِجَابَةً وَلَوْ بِشِقْ تَمَرَّةٍ ٍ ». .

وهذه الأحاديث تدل على أنَّ اليسير من الصدقة يَسْتُرُ المتصدقَ من النار ، وهذا أَحَدُ فوائدها .

الصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الذُّنُوبَ مَهْمَا عَظُمَتْ

ففي الحديث : « والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ ». وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تَبَعَّدَ عَابِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَعَبَدَ اللَّهَ فِي صَوْمَاءَ سَتِينَ عَامًا ، فَأُمْطِرَتِ الْأَرْضُ فَاخْضَرَتْ ، فَأَشْرَفَ الرَّاهِبُ مِنْ صَوْمَعِتِهِ ، فَقَالَ : لَوْ تَرَزَّلْتُ فَذَكَرْتُ اللَّهَ فَازْدَدْتُ خَيْرًا ، فَنَزَلَ وَمَعَهُ رَغِيفٌ أَوْ رَغِيفَانِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي الْأَرْضِ لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ فَلَمْ يَرَلْ يُكَلِّمُهَا وَتُكَلِّمُهُ حَتَّى غَشِيَّهَا ، ثُمَّ أَغْمَيَ عَلَيْهِ فَنَزَلَ الْعَدِيرَ يَسْتَحِمُ ، فَجَاءَ سَائِلٌ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ الرَّغِيفَيْنِ ، ثُمَّ مَاتَ فَوْزِنَتْ عِبَادَةُ سَتِينَ سَنَةً بِتِلْكَ الزَّرَنِيَّةِ فَرَجَحَتِ الزَّرَنِيَّةُ بِحَسَنَاتِهِ ، ثُمَّ وُضِعَ الرَّغِيفُ أَوِ الرَّغِيفَانِ مَعَ حَسَنَاتِهِ فَرَجَحَتِ حَسَنَاتُهُ فَعَفَرَ لَهُ » (١) .

وفي رواية عن ابن مسعود موقوفاً عليه ولفظه : « إِنَّ رَاهِبًا عَبَدَ اللَّهَ فِي صَوْمَعِتِهِ سِتِينَ سَنَةً ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَنَزَلَتْ إِلَيْهِ جَنْبِهِ ، فَنَزَلَ إِلَيْهَا فَوَاقَعَهَا سَتُّ لِيَالٍ ، ثُمَّ سُقِطَ فِي يَدِهِ فَهَرَبَ ، فَأَتَى مَسْجِدًا فَأَوْيَ فِيهِ ثَلَاثًا لَا يَطْعَمُ شَيْئًا ، فَأَتَى بِرَغِيفٍ فَكَسَرَهُ فَأَغْطَى رَجُلًا عَنْ يَمِينِهِ نَصْفَهُ وَأَغْطَى آخَرَ عَنْ يَسَارِهِ نَصْفَهُ ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَ الْمَوْتِ فَقَبَضَ رُوحَهُ ، فَوُضِعَتِ السَّتُّونَ

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه ». .

في كفَّةٍ وُضِعَتُ السَّتَّةُ فِي كَفَّةٍ فَرَجَحَتْ - يعني السَّتَّةَ - ، ثُمَّ وُضِعَ الرَّاغِفُ فَرَجَحَ «^(١)». يعني رجَحَ الرَّاغِفُ السَّتَّةَ .

وعن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لکعب بن عَجْرَةَ : « يَا کَعْبَ بْنَ عَجْرَةَ ، الصَّلَاةُ فُزْبَانٌ ، وَالصَّيَامُ جُنَاحٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِيُ الْخَطِيَّةَ كَمَا يُطْفِيُ الْمَاءُ النَّارَ ، يَا کَعْبَ بْنَ عَجْرَةَ ، النَّاسُ غَادِيَانٌ ، فَبَايِعُ نَفْسَهُ فَمُؤْتَقِّرَّ بَقَيْتَهُ ، وَمُبَتَّأَ نَفْسَهُ فِي عَنْقِ رَقَبَيْهِ »^(٢) .

وعن کعب بن عَجْرَةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَا کَعْبَ بْنَ عَجْرَةَ ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لِخَمْ وَدَمٍ تَبَاتَعَ عَلَى سُخْتٍ ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ ، يَا کَعْبَ بْنَ عَجْرَةَ النَّاسُ غَادِيَانٌ ، فَغَادَ فِي فَكَاكِ نَفْسِهِ فَمُعْتَقِّهَا ، وَغَادَ فَمُؤْتَقِّهَا ، يَا کَعْبَ بْنَ عَجْرَةَ ، الصَّلَاةُ فُزْبَانٌ ، وَالصَّوْمُ جُنَاحٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِيُ الْخَطِيَّةَ كَمَا يُطْفِيُ الْمَاءُ النَّارَ »^(٣) .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر ، فذكر الحديث إلى أن قال فيه : ثم قال - يعني النبي ﷺ - : « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ قَلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : الصَّوْمُ جُنَاحٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِيُ الْخَطِيَّةَ كَمَا يُطْفِيُ الْمَاءُ النَّارَ »^(٤) .

وَالْمَتَصَدِّقُ مَشْمُولٌ بِدُعَاءِ زَكِيٍّ طَاهِرٍ ، وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّتِي تَدْعُو كُلَّ يَوْمٍ لِلْمَنْفَقَةِ بِالْخَلْفِ وَعَلَى الْمُمْسِكِ بِالْتَّلْفِ ، وَتَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا ، وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا .

(١) رواها البيهقي .

(٢) رواه أبو يعلى بإسناد صحيح .

(٣) رواه ابن حبان في « صحيحه » .

(٤) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح وهو عند ابن حبان من حديث جابر .

الصَّدَقَةُ خَيْرٌ أَبْوَابِ الْبَرِّ

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرٌ أَبْوَابِ الْبَرِّ الصَّدَقَةُ ». والمتصدقُ في ظُلُل صدقته يوم القيمة ، يوم لا ظُلُل من حرّ الشمس ، كما جاء في الحديث عن عقبة بن عامر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « كُلُّ امْرِيَّةٍ فِي ظُلُل صدقته ، حَتَّى يُفْضِي بَيْنَ النَّاسِ ». .

وفي رواية عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ قال : « ظُلُلَ الْمُؤْمِنِ يوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَتُهُ » ، قال يزيد : فكان أبو الخير مَرْثُدٌ لا يُخْطِئُهُ يوْمٌ ، إِلَّا تَصَدَّقَ فِيهِ بِشَيْءٍ ، وَلَوْ بَعْنَكَةً أَوْ بَصَلَةً ، أَوْ كَذَا » ^(١) .

الصَّدَقَةُ سُدُّ مَنْيَعٍ بَيْنَ الْمُتَصَدِّقِ وَالسُّوءِ ، وَدَافِعَةٌ لِعَظِيمِ الْبَلَاءِ وَالشَّرِّ . فعن رافع بن خديج قال : قال رسول الله ﷺ : « الصَّدَقَةُ تَسْدُّ سَبْعِينَ بَاباً مِنَ السُّوءِ » ^(٢) ، وليس المقصود بالسبعين التحديد ، بل المراد التكثير ، والمعنى : أنها تَسْدُّ السُّوءَ بِأَنواعِهِ ، ولذلك قد أمرنا النبي ﷺ بالمبادرة إلى فعل الصدقة وتقديمها في أول النهار .

فعن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ ، فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّا هَا » ^(٣) ، وَمَعْنَى ذَلِكَ : أَنَّ الصَّدَقَةَ تَكُونُ مِثْلَ السَّدَّ الْعَظِيمِ أَمَامَ الْبَلَاءِ ، فَلَا يَسْتَطِعُ أَنْ يَتَعَدَّا هَا .

(١) رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحيهما » والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » وفيه حماد بن شعيب . وهو ضعيف كذا في مجمع الزوائد ١٠٩/٣ .

(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه عيسى بن عبد الله بن محمد وهو ضعيف . كذا في المجمع ١١٠/٣ .

وفي رواية : « الصدقة تمنع سبعين نوعاً من أنواع البلاء ، أهونها الجذام والبرص »^(١) .

وقد جاء في رواية أخرى : « الصدقات بالغدوات يذهبن بالعاهات » و« الغدوات » : جمع عدوة الضحوة ، المراد : الصدقة أول النهار . « والعاهات » : جمع عاهة ، وهي الآفة .

والظاهر : أنَّ المراد ما يشمل الآفات الدينية والدنيوية ، وهو يدلُّ على أنَّ من فوائد الصدقة : السلامة من فتنة المال : « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ » [التغابن : ١٥] لأنَّ من آمن وتصدق ، فقد أسلم الله روحه وماليه الذي هو عَدِيل روحه ، فصار عبد الله حقاً .

والصدقة تمنع مِنَّةَ السُّوءِ ، كما جاء ذلك عن أبي هريرة مرفوعاً « رواه القضاعي » ، المراد بمنية السُّوءِ : الحالة التي يكون عليها الإنسان عند الموت .

قال التوربشي : وأراد بها ما لا تُخْمَدُ عاقبته ، ولا تؤمنُ غائلته من الحالات ، كالفقر المُذْعِن ، والوصب الموجع ، والألم المقلق ، والعلل المُفضية إلى كُفران النعمة ونسيان الذِّكر ، والأهوال الشاغلة عما له وعليه ونحوها .

وقال الطيبى : الأولى أن يُحمل مَوْتُ السُّوءِ على سُوءِ الخاتمة ، ووَخَامَةِ العاقبة من العذاب في الآخرة .

قال أبو زُزَعَةَ : ليس معناه أنَّ العبد يُقدَّرُ له ميزة السوء فتدفعها الصدقة ، بل الأسباب مقدَّرةٌ كما أنَّ المُسبِّبات مقدَّرةٌ ، فمن قُدرَتْ له

(١) رواه الطبراني في « الكبير » وفيه حماد بن شعيب وهو ضعيف كذا في مجمع الروايد ١٠٩/٣ .

مِيَّتَةُ السُّوءِ ، لَا تُقْدَرُ لَهُ الصَّدْقَةُ ، وَمَنْ لَمْ تُقْدَرْ لَهُ مِيَّتَةُ السُّوءِ تُقْدَرْ لَهُ الصَّدْقَةُ .

قال العامری : مِيَّتَةُ السُّوءِ قد تكون في الصُّعوبَةِ بِسَبَبِ الْمَوْتِ ، كَهْدَمْ ، وَذَاتِ جَنَبٍ ، وَحَرَقٍ وَنَحْوَهَا ، وَقَدْ تَكُونُ سُوءَ حَالَةٍ فِي الدِّينِ كَمَوْتَهُ عَلَى بَدْعَةٍ أَوْ شَكًّا أَوْ إِصْرَارٍ عَلَى كَبِيرَةٍ ، فَحَثَّ عَلَى الصَّدَقَةِ لِدَفْعَهَا لِذَلِكَ . وَعَنْ رَافِعِ بْنِ مَكْيَثٍ وَكَانَ مَمْنَ شَهَدَ الْحَدِيبِيَّةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « حُسْنُ الْمَلَكَةِ نَمَاءُ ، وَسُوءُ الْخُلُقِ شَؤْمٌ ، وَالْبِرُّ زِيَادَةٌ فِي الْعُمَرِ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيَّةَ وَتَقِيَ مِيَّتَةَ السُّوءِ » .

فَالصَّدَقَةُ خَيْرٌ دَافِعٌ لِلْبَلَاءِ ، وَأَعْظَمُ مَانِعٍ لِلْسُّوءِ ، وَهَذَا كُلُّهُ بِإِذْنِ اللَّهِ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى ، فَهُوَ الْمَانِعُ وَالنَّافِعُ فِي الْحَقِيقَةِ ، وَإِنَّمَا الصَّدَقَةُ وَغَيْرَهَا أَسْبَابٌ لِذَلِكَ ، فَإِذَا كَانَ الْبَلَاءُ وَالشَّرُّ وَالسُّوءُ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ ، فَإِنَّمَا الصَّدَقَةَ تَدْفُعُ ذَلِكَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ أَيْضًا . هَكُذا أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ لَا يَنْطَقُ عَنِ الْهُوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ، وَالَّذِي قَضَى وَقَدَرَ الْبَلَاءَ ، هُوَ الَّذِي أَخْبَرَنَا بِأَنَّهُ قَضَى وَقَدَرَ أَنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفُعُ ذَلِكَ .

وَكَثْرَةُ الصَّدَقَةِ تَجْلِبُ سَعَةَ الرِّزْقِ ، وَتَقْضِي الْحَاجَاتِ ، وَتَكُونُ سَبَبَ الْفَوْزِ وَالنِّجَاحِ وَالشَّفَاءِ وَنِيلِ الْمَأْمُولِ .

رُوِيَّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، تُوبُوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا ، وَبِإِدْرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا ، وَصِلُوا إِلَيْنَا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَّةِ تُزَرَّقُوا وَتُنَصَّرُوا وَتُجَبَرُوا »^(۱) .

وَالْمُتَصَدِّقُ بِيُرْغِمٍ بِصَدِقَتِهِ أَنَفَ الشَّيْطَانَ ، بَلْ يُغَيِّظُ بِهَا سَبْعِينَ شَيْطَانًا

(۱) رواه ابن ماجه، ومعنى تجبروا : تجب دعوتك وتغتنوا .

كلهم يحرسون على عدم أدائها ، وَيُزِينُونَ لِهِ ترک التصدق . فعن بُرِيَّة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا يُخْرِجُ رَجُلٌ شَيْئاً مِن الصدقة ، حتَّى يَفْكَرْ عَنْهَا لَخَيْنَ سَبْعِينَ شَيْطَانًا »^(١) .

وفي رواية عن أبي ذَرٍّ موقوفاً عليه قال : « مَا خَرَجَتْ صَدَقَةٌ ، حتَّى يَفْكَرْ عَنْهَا لَخَيْنَ سَبْعِينَ شَيْطَانًا ، كُلُّهُمْ يَنْهَا عَنْهَا »^(٢) .

وجاء أَنَّ الصَّدَقَةَ تُكَفَّرْ فتنةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَوَلْدِهِ ، وَمُنَاوِلَةُ الْمُسْكِينِ تَقْيَةً مِيَّةَ السَّوْءِ ، وَلَذِكْ كَانَ حَارِثَةً قَدْ ذَهَبَ بِصَرِّهِ ، فَاتَّخَذَ خَبِيطاً فِي مُصْلَاهِ إِلَى بَابِ حَجْرَتِهِ ، وَوَضَعَ عَنْهُ إِنَاءَ فِيهِ تَمْرٌ ، فَكَانَ إِذَا جَاءَهُ الْمُسْكِينُ فَسَلَّمَ ، أَخْذَ مِنْ ذَلِكَ التَّمْرَ ثُمَّ أَخْذَ بَطْرِفِ الْخَبِيطِ حَتَّى يُنَاوِلَهُ ، وَكَانَ أَهْلَهُ يَقُولُونَ : نَحْنُ نَكْفِيكَ ، فَيَقُولُ لَهُمْ : مُنَاوِلَةُ الْمُسْكِينِ تَقْيَةً مِيَّةَ السَّوْءِ .

وَالصَّدَقَةُ يُكَتَّبُ ثَوَابُهَا قَبْلَ أَنْ تَقْعُ فِي يَدِ الْمُسْكِينِ ، وَلَا تَزَالْ تَضَاعِفُ وَتَزِيدُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ : « إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا تَصَدَّقَ ، فَإِنَّهَا تَقْعُ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ وَيُرِبِّيهَا لَهُ حَتَّى تَصِيرَ مِثْلَ جَبَلٍ أُحْدِيٍّ » .

الصَّدَقَةُ تَطْفَىءُ عَنْ صَاحِبِهِ حَرَّ الْقَبْرِ

وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقَبْرِ ، وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ »^(٣) .

وَمَعْنَى ذَلِكَ : أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى يَدْفَعُ بِالصَّدَقَةِ حَرَّ الْقَبْرِ ،

(١) رواه أحمد والبزار وابن خزيمة في « صحيحه » .

(٢) رواه البيهقي .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » والبيهقي ، وفيه ابن لهيعة .

وذلك قبل يوم القيمة ، وهذا دليل على أنَّ منفعة الصدقة تشمل العالم الثلاثة : عالم الدنيا ، وعالم الآخرة ، وعالم البرزخ .

والمنتصدق موعود بالخير خيراً زائداً ، وبالفضل فضلاً عائداً ، كما جاء في الحديث القدسي يقول الحق سبحانه : « يا عبدي أثنيتُ أثنيتُ عليكَ » متفق عليه ، أي إن تُتفق يُتفق ، أي : يُوسع عليكَ وَيُخْلِف عَوْضَ ما تُتفق عليه . فعَيْرَ عنه بالإنفاق على سَيِّلِ المُسَاكَلَةِ .

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « يا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرَ لَكَ ، وَأَنْ تَمْسِكَه شَرُّكَ ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ ، وَابْدُأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِّنَ الْيَدِ السُّفْلَى »^(١) .

والمنتصدق تَتَابَعُ عليه النَّعْمُ الْإِلَهِيَّةُ ، فَعَيْشَةُ رَغِيدٌ ، وَعُمَرَةُ سَعِيدٌ ، وَحَالَةُ حَمِيدٍ . كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال : « مِثْلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْتَقِيِّ كَمِثْلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَاحَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدُرِهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا . فَمَا الْمُنْتَقِيُّ ، فَلَا يُنْتَقِي إِلَّا سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جَلْدِهِ حَتَّى تُخْفَيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثْرَهُ ، وَأَمَا الْبَخِيلُ ، فَلَا يُرِيدُ أَنْ يَنْفَقَ شَيْئاً إِلَّا لَزِمَّتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا ، فَهُوَ يُوْسِعُهَا فَلَا تَتَسْعُ »^(٢) .

« الجنة » - بضم الجيم - : ما أَجَنَّ الْمَرءُ وَسْتَرَهُ ، والمراد به هنا : الدِّرْزُ . وَمَعْنَى الْحَدِيثِ : أَنَّ الْمُنْتَقِيَ كُلُّمَا أَنْفَقَ طَالَتْ عَلَيْهِ ، وَسَبَغَتْ حَتَّى تَسْتَرَ بَنَانَ رَجُلِهِ وَيَدِيهِ ، وَالْبَخِيلُ كُلُّمَا أَرَادَ أَنْ يَنْفَقَ ، لَزِمَّتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا ، فَهُوَ يُوْسِعُهَا وَلَا تَتَسْعُ ، شَبَهَ ﷺ بِنَعْمَ اللهِ تَعَالَى وَرَزْقَهِ بِالْجَنَّةِ ، وَفِي رِوَايَةِ : بِالْجُبْنَةِ ، فَالْمُنْتَقِيُ كُلُّمَا أَنْفَقَ اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ النَّعْمُ وَسَبَغَتْ ، وَوَفَرَتْ حَتَّى تَسْتَرَهُ كَامِلًا شَامِلًا ، وَالْبَخِيلُ كُلُّمَا أَرَادَ أَنْ

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

ينفق ، منعه الشُّحُّ والجُرْحُ وَخَوْفُ النَّقْصِ ، فهو بمنعه يطلب أن يزيد ما عنده ، وأن تتسع عليه النعم ولا تستر منه ما يرُوم سِتره .

والمتصدقُ محسودٌ يتمنى كلّ عاقل أن يبلغ رتبته ، وأن يحوز درجته ، وفي هذا يتنافس المتنافسون ويصارع المجدون ، وهذا أمرٌ ممْحُودٌ لأنَّه في الخير . قال عليه السلام : « لا حَسْدَ إِلَّا في اثْتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَمْ يَفْسُطْهُ عَلَى هَلْكَتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا » ^(١) .

وَمَعْنَاهُ : يَنْبَغِي أَنْ لَا يُغَبِّطَ أَحَدٌ إِلَّا عَلَى إِحْدَى هَاتِينَ الْخَصْلَتَيْنِ ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ : « سُلْطَهُ عَلَى هَلْكَتِهِ » : أَيْ عَلَى إِنْفَاقِهِ .

وَفِي رَوَايَةٍ ^(٢) « لَا حَسْدَ إِلَّا فِي اثْتَيْنِ » .

وَفِي رَوَايَةٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : « رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقْوِمُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْمَالَ فَهُوَ يُنْفَقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ » .

وَفِي رَوَايَةٍ ^(٣) : « لَا حَسْدَ إِلَّا فِي اثْتَيْنِ : رَجُلٌ عَلِمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتَلَوَهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ، فَسَمِعَهُ جَازِّ لَهُ فَقَالَ : لَيْتَنِي أُوْتَيْتُ مِثْلَ مَا أُوْتَيْتَ فَلَمَّا فَعَلَنِ فَعَلَنِ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ . وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَمْ يَفْسُطْهُ كَهْ فِي الْحَقِّ ، فَقَالَ رَجُلٌ : لَيْتَنِي أُوْتَيْتُ مِثْلَ مَا أُوْتَيْتَ فَلَمَّا فَعَلَنِ فَعَلَنِ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ » .

وَمِنْ فَضَائِلِ الصَّدَقَةِ : أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ عَلَى ذَوِي الرَّحْمَةِ ، فَإِنَّ أَجْرَهَا

(١) متفق عليه .

(٢) رواها أَحْمَدُ وَالشِّيْخَانُ وَالْتَّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهٍ وَابْنُ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ أَبْنِ عَمْرٍ .

(٣) رواها أَحْمَدُ وَالْبَخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبْيَ هَرِيْرَةَ .

مُضاعفٌ ، وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الصَّدَقَةُ عَلَى الْمُسْكِنِ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى ذَوِي الرَّحْمَنِ ثَنَانٌ : صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ »^(١) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى ذِي قَرَابَةٍ ، يُضَعَّفُ أَخْرُوهَا مَرَّتَيْنِ »^(٢) .

* * *

(١) رواه النسائي والترمذى وحسنه ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، ولفظ ابن خزيمة قال : « الصَّدَقَةُ عَلَى الْمُسْكِنِ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى الْقَرِيبِ صَدَقَتَانِ ، صَدَقَةٌ ، وَصِلَةٌ » .

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » من طريق عبيد الله بن زحر .

إطعام الطعام خير خصال الإسلام

ومن الصدقة : إطعام الطعام ، وهو خير خصال الإسلام لما جاء في الحديث أنَّ رجلاً سأله رسول الله ﷺ أيُّ الإسلام خيرٌ؟ قال : « تُطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف »^(١) .

وهو من أرجى الأعمال المدخلة إلى الجنة ، يقول أبو هريرة رضي الله عنه : قُلت يا رسول الله ، إني إذا رأيتك طابت نفسي ، وقررت عيني ، أبىشتني عن كُلِّ شيء ، قال : « كُلُّ شيء خُلِقَ من الماء ، فقلت : أخِرِّنِي بشيء إذا عملته دَخَلْتُ الجنة ، قال : أطِعْمِ الْطَّعَامَ ، وافْشِ السلامَ ، وصِلِّ الأرحامَ ، وصل بالليل والنَّاسُ نِيَامٌ ، تدْخُلُ الجنةَ بسلام »^(٢) .

قال رسول الله ﷺ : « اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ ، وَأَطِعْمُوا الْطَّعَامَ ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ ، تدْخُلُوا الْجَنَّةَ بسلام »^(٣) .

وقال ﷺ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا . فَقَالَ أَبُو مَالِكَ الْأَشْعَرِيُّ : لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : لِمَنْ

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي .

(٢) رواه أحمد وابن حبان في « صحيحه » واللفظ له . والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٣) رواه الترمذى . وقال حديث حسن صحيح .

أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائماً والناسُ نائمٌ «^(١) .

وإطعام الطعام ؛ من الكفارات^(٢) ، ومن موجبات الرحمة^(٣) ، ومن موجبات المغفرة^(٤) .

وإنَّ الله تعالى ليُدخلُ بلقمةِ الخبز ، وقبضةِ التَّمْرِ ومثله مما ينفعُ المسكينَ ثلاثةَ الجنةَ : الْأَمْرَ بِهِ ، والزَّوْجَةَ الْمُضْلَعَةَ لَهُ ، والخادِمَ الَّذِي يُنَاوِلُ الْمُسْكِنَينَ^(٥) .

وأيُّما مُؤْمِنٌ أطعَمَ مُؤْمِنًا على جوعٍ ، أطعَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ ، وأيُّما مُؤْمِنٌ سَقَى مُؤْمِنًا على ظمَاءِ ، سَقَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الرَّحِيقِ الْمُخْتُومِ ، وأيُّما مُؤْمِنٌ كَسَّا مُؤْمِنًا على عُزَيْرٍ ، كَسَّاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُلُلِ الْجَنَّةِ^(٦) .

وإنَّ اللهَ تَعَالَى يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ بِالَّذِينَ يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ مِنْ عَبِيدِهِ^(٧) .

والمطعمون لهم باب في الجنة لا يدخل منه سواهم ، فقد رُوِيَ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « من أطعَمَ مُؤْمِنًا حتى يُشْبِعَهُ مِنْ سَعَبٍ ، أَدْخَلَهُ اللهُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا مِنْ كَانَ مِثْلَهُ »^(٨) .

والمطعمونَ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَقَدْ رُوِيَ عن جابر بن

(١) رواه الطبراني في « الكبير » بإسناد حسن والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما .

(٢) حديث مرفوع رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد .

(٣) حديث مرفوع رواه الحاكم وصححه .

(٤) حديث مرفوع رواه البيهقي متصلًا ومرسلاً .

(٥) حديث مرفوع رواه الطبراني في « الأوسط » والحاكم .

(٦) حديث مرفوع رواه الترمذى وقال : حديث غريب .

(٧) حديث مرفوع رواه أبو الشيخ في الثواب مرسلاً .

(٨) رواه الطبراني في « الكبير » .

عبد الله رضي الله عنهمما قال : قال رسول الله ﷺ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ أَظَلَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ تَحْتَ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : الْوُضُوءُ فِي الْمَكَارِهِ ، وَالْمَشْيُ إِلَى الْمَسَاجِدِ فِي الظُّلْمِ ، وَإِطْعَامُ الْجَائِعِ »^(١) .

وقد أخبرنا ﷺ عن قصة عَابِدٍ من بني إسرائيل اعتزل لعبادة الله ستين سنة ، ثم خرج يوماً من صومعته فلقيته امرأة فراودته حتى قضى حاجته منها ، ثم نَدِمَ على ما فعل حتى أغميَ عليه ، وكان معه رغيفان ، فجاء سائلٌ جائعٌ فأعطاه العابدُ الرغيفَين ، ثم مات فَوَزِنَتْ عبادةً ستين سنةً بتلك الفاحشة ، فرَجَحَتْ الفاحشةُ بحسناه ، ثم وُضِعَ الرغيفُ أو الرغيفان مع حسناه ، فرَجَحَتْ حسناه ، فُغَفِّرَ له^(٢) .

وَتَنَالُ الْمَرْأَةُ أَجْرَ الصَّدَقَةِ إِذَا أَنْفَقَتْ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ ، مِمَّا لَا يَخْفَى عَلَى زَوْجِهَا عَادَةً .

فقد قال ﷺ : « إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ طَعَامِ بَيْتِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ ، كَانَ لَهَا أَجْرُهَا بِمَا أَنْفَقَتْ ، وَلِزَوْجِهَا أَجْرُهُ بِمَا اكْتَسَبَ ، وَلِلْخَادِمِ مِثْلُ ذَلِكَ ، لَا يَنْقُصُ بَعْضُهُمْ مِنْ أَجْرٍ بَعْضٍ شَيْئاً »^(٣) .

وفي رواية : « إِذَا تَصَدَّقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا ، كَانَ لَهَا أَجْرُهَا وَلِزَوْجِهَا مِثْلُ ذَلِكَ ، لَا يَنْقُصُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ أَجْرٍ صَاحِبِهِ شَيْئاً . لَهُ بِمَا كَسَبَ وَلَهَا بِمَا أَنْفَقَتْ »^(٤) .

وَمِنْ فَضَائِلِ الْإِكْرَامِ وَالتَّصْدِيقِ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُكْرِمُ

(١) رواه أبو الشيخ في الثواب وأبو القاسم الأصبهاني .

(٢) رواه ابن حبان في « صحيحه » .

(٣) رواه البخاري ومسلم واللَّفْظُ لَهُ . وأبو داود وابن ماجه والترمذى والنَّسائى وابن حبان في « صحيحه » .

(٤) رواه الترمذى وقال: حديث حسن .

المطعم لأجل من أطعمه ، وَيُشَفَّعُهُ فِيهِ بَعْدَ أَنْ يَصِيرَ مُسْتَحْقًا لِلنَّارِ .

ويحدثنا ابن القاسم عن هذه المنقبة في هذه القصة التي تمثل رجلاً عابداً وآخر مُسرفاً على نفسه سلكاً صحراءً ، فعطش العابدُ حتى سقط ، فجعل صاحبُه ينظر إليه ، وهو صَرِيعٌ فقال : والله إن مات هذا العبد الصالح عطشاً ومعي ماء ، لا أصيِّبُ من الله خيراً أبداً ، ولئن سقينه مائي لأموتن ، فتوَكَّلَ على الله وعزم ، فرَشَّ عليه من مائي وسقاهُ فضلَه ، فقام فَقَطَعَ المَفَازَةَ ، فِيوقَفُ الذِي بِهِ رَهْقُ الْحِسَابِ فِيؤْمِرُ بِهِ إِلَى النَّارِ ، فَتَسْوِقُهُ الْمَلَائِكَةُ فِيَرِي الْعَابِدَ ، فَيَقُولُ يَا فَلَانَ : أَمَا تَعْرِفُنِي ؟ فَيَقُولُ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا فَلَانُ الَّذِي آتَيْتُكَ عَلَى نَفْسِي يَوْمَ الْمَفَازَةِ ، فَيَقُولُ : بِلِي أَعْرِفُكَ ، فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكَةَ : قِفُوا ، فَيَقْفَوْنَ فِيَجِيُّهُ حَتَّى يَقْفَ فِيَدُو رَبِّهِ عَزْ وَجَلْ ، فَيَقُولُ يَا رَبَّ : قَدْ عَرَفْتَ يَدَهُ عَنِّي ، وَكَيْفَ آتَيْتَنِي عَلَى نَفْسِهِ ، يَا رَبَّ هَبْنَةُ لِي . فَيَقُولُ : هُوَ لَكَ ، فِيَجِيُّهُ فَيَأْخُذُ بِيَدِ أَخِيهِ فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ ^(١) .

قوله : « المفازة » : أي الصحراء .

وفي رواية عن ثابت البناي ، عن أنس رضي الله عنه ، عن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُشَرِّفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَهْلِ النَّارِ ، فَيُنَادِيهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَقُولُ : يَا فَلَانَ : هَلْ تَعْرِفُنِي ؟ فَيَقُولُ : لَا ، وَاللهِ مَا أَعْرِفُكَ ، مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا الَّذِي مَرَّزَتَ بِي فِي الدُّنْيَا فَاسْتَسْقَيْتَنِي شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ فَسَقَيْتُكَ ؟ قَالَ : قَدْ عَرَفْتُ ، قَالَ : فَاشْفَعْ لِي بِهَا عَنْ دِرِبِكَ . قَالَ : فَيَسْأَلُ اللهُ تَعَالَى جَلَّ ذِكْرُهُ ، فَيَقُولُ : إِنِّي أَشَرَّفْتُ عَلَى النَّارِ ، فَنَادَانِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهَا ، فَقَالَ لِي : هَلْ تَعْرِفُنِي ؟ قَلَّتْ : لَا ، وَاللهِ

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » .

ما أعرفكَ مَنْ أنت؟ قال : أنا الَّذِي مَرَرْتَ بِي فِي الدُّنْيَا فَأَسْتَشْقِيَتِي شَزِيزَةً
مِنْ مَاءٍ فَسَقَيْتُكَ ، فَأَشْفَعَ لِي عِنْدَ رَبِّكَ ، فَشَفَعَنِي فِيهِ ، فَيُشَفَّعَهُ اللَّهُ فَيَأْمُرُ بِهِ
فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ^(١) .

قوله : « يُشَرِّفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَهْلِ النَّارِ » : أَيْ يَطْلُعُ .

وَمِنْ فَضَائِلِ إِطْعَامِ الطَّعَامِ وَسَقِيِ الظَّمَانَ : أَنَّهُ يُغْنِي عَنِ كَثِيرٍ مِنِ
الْأَعْمَالِ الَّتِي قَدْ يَعْجِزُ عَنْهَا إِلَّا إِنْتَ .

فَقَدْ جَاءَ أَنَّ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يَقْرَبُنِي مِنِ
الْجَنَّةِ ، وَيَبْعَدُنِي مِنَ النَّارِ . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَوَّلُمَا أَعْمَلْتَكَ؟ » قَالَ : نَعَمْ ،
قَالَ : تَقُولُ الْعَدْلَ وَتُنْعَطِي الْفَضْلَ قَالَ : وَاللَّهِ لَا أُسْتَطِعُ أَنْ أَقُولَ الْعَدْلَ
كُلَّ سَاعَةً ، وَمَا أُسْتَطِعُ أَنْ أَغْطِيَ الْفَضْلَ . قَالَ : قَتَطْعِيمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْشِي
السَّلَامَ؟ قَالَ : هَذِهِ أَيْضًا شَدِيدَةً ، قَالَ : فَهَلْ لَكَ إِبْلٌ؟ قَالَ : نَعَمْ ،
قَالَ : فَانْظُرْ إِلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبْلِكَ وَسِقَاءً ، ثُمَّ اغْمِدْ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ لَا يَشَرِّبُونَ
الْمَاءَ إِلَّا غَبَيْبًا فَاسْقِهِمْ فَلَعْلَكَ لَا يَهْلِكُ بَعِيرُكَ وَلَا يَنْخِرُ سِقَاوُكَ حَتَّى تَجِبَ
لَكَ الْجَنَّةُ ، قَالَ : فَانْطَلِقْ أَعْرَابِيًّا يَكْبِرُ فَمَا اتَّخَرَقَ سِقَاوَهُ ، وَلَا هَلَكَ
بَعِيرُهُ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا^(٢) .

وَفِي رَوَايَةِ عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ
فَقَالَ : مَا عَمَلْتَ إِنْ عَمِلْتَ بِهِ دَخَلْتَ الْجَنَّةَ . قَالَ : « أَنْتَ بِبَلْدَيْنِ يُجْلِبُ
الْمَاءَ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَاشْتَرِ بَهَا سِقَاءً جَدِيدًا ، ثُمَّ اسْتَرِ فِيهَا حَتَّى
تُخَرِّقَهَا ، فَإِنَّكَ لَنْ تُخَرِّقَهَا حَتَّى تَبْلُغَ بَهَا عَمَلَ الْجَنَّةِ^(٣) .

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) رواه الطبراني والبيهقي وابن خزيمة في « صحيحه » مختصرًا .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » .

بل إنَّ الإنسان لينالُ الثواب العظيم والأجر الكريم ، إذا سقى بعيداً .

فقد جاء في الحديث : أنَّ رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : إني أنزعُ في حوضي حتى إذا ملأته لإبلٍ ، ورَدَ علىَ البعيرِ لغيري فسَقَيْتُه ، فهل في ذلك من أجرٍ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ في كلِّ ذاتٍ كبدَ أجرًا » ^(١) .

وفي رواية : أنَّ سُرَاقةَ بنَ جعْشَمَ قال : يا رسول الله الضالة ترُدُّ علىَ حوضي فهل لي فيها من أجر إن سقَيْتها؟ قال : اسقِها فإنَّ في كُلِّ ذاتٍ كبدَ حَرَاءَ أجرًا ^(٢) .

قوله : « أنزع » : أي أقاسي شَدائدَ ملئه وأتعب .

وقد شَكَرَ الله تعالى للرجل لِمَا سقى الكلب ، وغفر له ، قال رسول الله ﷺ : « بينما رَجُلٌ يمشي بطريق اشتَدَّ عليه الْحَرُّ فوجَدَ بَثْرًا ، فنزلَ فيها فشرب ، ثم خَرَجَ فإذا كَلْبٌ يَلْهُثُ يَأْكُلُ الثَّرَى من العطشِ ، فقال الرجل : لقد بلغَ هذا الكلبُ من العطشِ مثْلُ الذي كَانَ مِنِّي ، فنزلَ البَثْرَ فمَلأَ خُفَّةً ماءً ، ثم أَمسَكَه بِفِيهِ حتَّى رَقَيَ فسقى الكلبَ ، فشكَرَ اللهُ له ، فغفرَ له . قالوا : يا رسول الله ، إنَّ لَنَا في الْبَهَائِمِ أجرًا؟ فقال : في كُلِّ كَبِدٍ رُطْبَةً أجرًا ^(٣) » « وسقى الماء هو أعظمُ الصدقاتِ أجرًا » ^(٤) .

وهو بَاقٍ جَارٍ يَنْفَعُ الْمَيْتَ في قبره . قال ﷺ : « سبْعُ تجَرِي للعبدِ بعدَ موته وهو في قبره : من عَلِمَ عَلِمًا ، أو كَرِيَ نَهَرًا ، أو حَفَرَ بَثْرًا ، أو

(١) رواه أَحْمَد .

(٢) رواه ابن حبان في « صحيحه » وابن ماجه والبيهقي .

(٣) رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود وابن حبان في « صحيحه » .

(٤) حديث مرفوع رواه البيهقي .

غرسَ نَخْلًا ، أو بَنَى مَسْجِدًا ، أو وَرَثَ مُصْحَفًا ، أو تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَه
بَعْدَ مَوْتِهِ «^(١)» .

وَقَدْ قَالَ لِسَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا سُأْلَهُ عَمَّا يَتَصَدَّقُ بِهِ عَنْ أَمْهُ ،
فَقَالَ : « عَلَيْكَ بِالْمَاءِ »^(٢) .

وَيُؤْكِدُ ^{الله} فَضْلُ سَقِيِّ الْمَاءِ بِحَفْرِ الْآبَارِ ، وَتَسْيِيرِ إِيصالِهِ إِلَى مَنْ
لَا يَسْتَطِعُ ، وَالإِعْانَةُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ : « مِنْ حَفَرَ مَاءً لَمْ تَشَرَّبْ مِنْهُ كِبِدُ حَرَّى
مِنْ جَنْنٍ وَلَا إِنْسِنٍ وَلَا طَائِرٍ ، إِلَّا آجَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٣) .

وَنَفْعُ النَّاسِ بِالْمَاءِ مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ التَّدَاوِيِّ ، وَمِنْ أَجْلِ طُرُقِ دُفَعِ
الْبَلَاءِ ، وَإِزَالَةِ الْأَسْقَامِ .

فَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبْنَ الْمَبَارِكَ ، وَسَأَلَهُ
رَجُلٌ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قُرْحَةً خَرَجَتْ فِي رَكْبِيِّي مِنْذُ سَبْعِ سَنِينِ ، وَقَدْ
عَالَجْتُ بِأَنْوَاعِ الْعَلَاجِ ، وَسَأَلْتُ الْأَطْبَاءَ فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِهِ؟ قَالَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ
مَوْضِعًا يَخْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ الْمَاءَ ، فَاحْفَزْ هَنَاكَ بَثْرًا ، فَلَوْنِي أَرْجُو أَنْ تَنْبَعَ هَنَاكَ
عَيْنٌ ، وَيُمْسِكَ عَنْكَ الدَّمْ . فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَبَرَّأَ^(٤) .

* * *

(١) رواه البزار وأبو نعيم في « الحلية » .

(٢) حديث مرفوع رواه الطبراني في « الأوسط » .

(٣) رواه البخاري في « تاريخه » وابن خزيمة في « صحيحه » .

(٤) رواه البيهقي .

فَضْلُ الْقَرْضِ وَإِنْظَارِ الْمُغْسَرِ

وَمِنَ الْشَّرْفِ الَّذِي أَعْدَهُ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ : مَا جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى
مِنَ الْفَضْلِ وَالثَّوَابِ عَلَى الْقَرْضِ .

فَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ الْقَرْضَ كَعْتُقَ رَقْبَةَ ، قَالَ اللَّهُ : « مَنْ مَنَحَ مَيْنِيحةً لِبَنِ ،
أَوْ وَرِقِ ، أَوْ هَدَى زُقَاقًا ، كَانَ لَهُ مِثْلُ عَنْقِ رَقْبَةَ »^(١) .

وَمَعْنَى قَوْلِهِ : « مَنَحَ مَيْنِيحةً وَرِقِ » . إِنَّمَا يَعْنِي بِهِ قَرْضَ الدِّرْهَمِ ،
وَقَوْلُهُ : « أَوْ هَدَى زُقَاقًا » : إِنَّمَا يَعْنِي بِهِ هَدَايَةَ الطَّرِيقِ ، وَهُوَ إِرْشَادُ
السَّبِيلِ « وَمَيْنِيحةُ الْلَّبَنِ » : أَنْ يُعْطِيهِ نَافَةً أَوْ شَاءَ يَنْتَفِعُ بِلَبَنِهَا وَيُعَيِّدُهَا ،
وَكَذَلِكَ إِذَا أَعْطَاهُ لِيَنْتَفِعُ بِوَبَرِهَا وَصُوفَهَا زَمَانًا ، ثُمَّ يَرُدُّهَا .

وَالْقَرْضُ : صَدَقَةٌ^(٢) ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ أَنَّهُ رَأَى لِيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ
مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ : « الصَّدَقَةُ بِعِشْرِ أَمْثَالِهَا ، وَالْقَرْضُ بِشَمَانِيَّةِ
عَشَرَ »^(٣) .

وَذَلِكَ لِأَنَّ الصَّدَقَةَ قَدْ يَأْخُذُهَا الْفَقِيرُ وَهُوَ غَيْرُ مُحْتَاجٍ لَهَا ، أَمَّا الْقَرْضُ
فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ الْمَرْضَوَرَةِ وَالْحَاجَةِ . وَلَذَلِكَ كَانَ أَجْرُ الْمَقْرُضِ عَظِيمًا

(١) رواه أَحْمَدُ وَالْتَّرْمِذِيُّ ، وَاللَّفْظُ لَهُ ، وَابْنُ حَبَّانَ فِي « صَحِيحِهِ » ، وَقَالَ التَّرْمِذِيُّ :
حَدِيثُ حَسْنٍ صَحِيحٌ .

(٢) هُوَ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِ حَسْنٍ .

(٣) رواه الطبراني والبيهقي .

لِإِزَالَةِ هَذَا الْعَسْرِ الطَّارِئِ . وَلَهُذَا كَانَ يُؤْكَدُ فَضْلُ الْقَرْضِ بِقَوْلِهِ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِمًا قَرْضًا مَرْءَةً ، إِلَّا كَانَ كَصَدَقَتْهَا مَرْتَيْنِ » ^(١) .

وَالْقَرْضُ تِيسِيرٌ عَلَى الْمُعْسَرِ وَتَفْرِيْجٌ لِكُبُرِهِ وَقَضَاءٌ لِحَاجَتِهِ ، وَنَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ يَسَّرَ عَلَى مُغْسِرٍ ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » ^(٢) .

وَيَقُولُ : « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُبْرَيَّةً مِنْ كُبُرِ الدُّنْيَا ، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُبْرَيَّةً مِنْ كُبُرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُغْسِرٍ فِي الدُّنْيَا ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » ^(٣) .

وَفِي رَوَايَةٍ : « مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُبْرَيَّةً ، جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُعْبَتَيْنِ مِنْ نُورٍ عَلَى الصَّرَاطِ يَسْتَضِيْنِهِ بِضَرْبِ تَهْمَمَا عَالَمٌ لَا يُخَصِّيْهُمْ إِلَّا رَبُّ الْعِزَّةِ » ^(٤) .

وَمَعْنَى : « شُعْبَتَيْنِ » : أَيْ قَطْعَتِيْنِ مِنْ ضَوءٍ وَهَاجَ .

وَقَدْ جَاءَ فِي فَضْلِ إِنْظَارِ الْمُعْسَرِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَمِنْهَا : أَنَّهُ تَحْتَ ظَلَّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَنْظَرَ مُغْسِرًا ، أَوْ وَضَعَ لَهُ ، أَظَلَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظَلَّ عَرْشِهِ يَوْمًا لَا ظَلَّ إِلَّا ظَلَّهُ » ^(٥) . وَفِي رَوَايَةٍ : « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسَرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ ، أَظَلَّ اللَّهُ فِي ظَلَّهُ » ^(٦) .

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان في « صحيحه » والبيهقي مرفوعاً وموقاً .

(٢) رواه ابن حبان في « صحيحه » .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » وهو غريب .

(٥) رواه الترمذى .

(٦) رواه ابن ماجه والحاكم واللفظ له و قال : صحيح على شرط مسلم .

وَمَعْنَى : « وَضَعَ لَهُ » : أَيْ أَبْرَأْ ذِمْتَهُ وَسَامِحَهُ .

وَفِي رِوَايَةِ عَنْ أَبْيَ الْيَسِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسْمِعِهِ يَقُولُ : « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يَسْتَظِلُّ فِي ظَلِّ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَرَجُلٌ أَنْظَرَ مُغْسِرًا حَتَّى يَعْجَدَ شَيْنَتَا أَوْ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ بِمَا يَطْلُبُهُ يَقُولُ : مَا لِي عَلَيْكَ صَدَقَةً أَبْتَغَيْهَا وَجْهُ اللَّهِ ، وَيُخْرِقُ صَحِيفَتَهُ » ^(١) .

قَوْلُهُ : « وَيُخْرِقُ صَحِيفَتَهُ » : أَيْ يَقْطَعُ الْعُهْدَةَ الَّتِي عَلَيْهِ .

وَمِنْهَا : أَنَّهُ تُسْتَجَابُ دُعَوَتُهُ وَتُنَكَّشَفَ كُبْرَيْتُهُ ، وَلَا يُكْتَبُ عَلَيْهِ ذَنْبٌ حَتَّى يَتُوبَ ، وَيَقِيهَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَيْحَ جَهَنَّمَ ، وَكَانَ لَهُ كُلُّ يَوْمٍ مِثْلًا دِينَهُ صَدَقَةً ، وَهَذَا كُلُّهُ جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَقَدْ قَالَ : « مَنْ أَرَادَ أَنْ تُسْتَجَابَ دَعْوَتُهُ وَتُنَكَّشَفَ كُبْرَيْتُهُ ، فَلَيَفْرُجَ عَنْ مُغْسِرٍ » ^(٢) .

وَقَالَ : « مَنْ أَنْظَرَ مُغْسِرًا إِلَى مَيْسَرَتِهِ ، أَنْظَرَهُ اللَّهُ بِذَنْبِهِ إِلَى تَوْبَتِهِ » ^(٣) .

وَقَالَ : « مَنْ أَنْظَرَ مُغْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ ، وَقَاهُ اللَّهُ مِنْ فَيْحَ جَهَنَّمَ » ^(٤) .

وَفِي رِوَايَةِ : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ وَهُوَ يَقُولُ : « أَيُّكُمْ يَسِّرُهُ أَنْ يَقِيهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فَيْحَ جَهَنَّمَ؟ قَلَنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كُلُّنَا يَسِّرَهُ . قَالَ : مَنْ أَنْظَرَ مُغْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ ، وَقَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فَيْحَ جَهَنَّمَ » ^(٥) .

وَقَالَ : « مَنْ أَنْظَرَ مُغْسِرًا ، فَلَهُ كُلُّ يَوْمٍ صَدَقَةً قَبْلَ أَنْ يَحْلُّ الدَّيْنُ ،

(١) رواه الطبراني في « الكبير » بإسناد حسن .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب « اصطناع المعرف » .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في « الكبير » و« الأوسط » .

(٤) رواه أحمد بإسناد جيد .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « اصطناع المعرف » .

فِإِذَا حَلَّ الدِّينُ فَأَنْظُرْهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَلَهُ كُلُّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ ^(١) .

وقد أخبرنا بِاللهِ عن رجلٍ مِنْ كَانَ قَبْلَنَا مِنَ الْمُسْرِفِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ تَجَاوِزَ اللَّهُ عَنْهُ وَسَامِحُهُ ، لَأَنَّهُ كَانَ يُسَامِحُ النَّاسَ ، وَيَتَجَاوِزُ عَنْ دِينِهِمْ ، وَيَصْبِرُ عَلَيْهِمْ ، فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ .

يَقُولُ بِاللهِ : « إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ، وَكَانَ يُدَافِئُ النَّاسَ ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ : خُذْ مَا تَيْسَرَ ، وَاتْرُكْ مَا عَسَرَ وَتَجَاوِزْ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوِزُ عَنَّا ، فَلَمَّا هَلَكَ ، قَالَ اللَّهُ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غَلَامٌ ، وَكُنْتُ أُدَافِئُ النَّاسَ ، فِإِذَا بَعْثَتْهُ يَتَقَاضِي قَلْتُ لَهُ : خُذْ مَا تَيْسَرْ وَاتْرُكْ مَا عَسَرْ وَتَجَاوِزْ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوِزُ عَنَّا . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قَدْ تَجَاوِزْتُ عَنْكَ » ^(٢) .

وَفِي رَوَايَةٍ : أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ : « نَحْنُ أَحْقُّ بِذَلِكَ ، تَجَاوِزُوا عَنْهُ » ^(٣) .

* * *

(١) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه مسلم .

فَضْلُ الْعِفَةِ وَشَرْفُ الْاسْتِغْنَاءِ عَنِ النَّاسِ

وَمِنْ فَضَائِلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ : مَا جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْفَضْلِ لِمَنْ صَبَرَ عَلَى حَالِهِ ، وَكَفَّ نَفْسَهُ عَنِ الْحِرَامِ ، وَقَنَعَ بِالْيُسُرِ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَتَعْفَفَ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْعَمَلِ مَعَ الْاعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ نَزَّلَتْ بِهِ فَاقْتَلَهَا بِالنَّاسِ ، لَمْ تُسَدِّدْ فَاقْتُلْهُ ، وَمَنْ نَزَّلَتْ بِهِ فَاقْتَلَهَا بِاللَّهِ ، فَيُوْشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرْزَقُ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ »^(١) .

وَعَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ جَاءَ أَوْ اخْتَاجَ فَكَتَمَهُ النَّاسُ وَأَفْضَلَهُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، كَانَ حَقًا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ قُوَّةً سَنَةً مِنْ حَلَالٍ »^(٢) .

وَقَدْ أَخْبَرَ ﷺ أَنَّ مَا يَأْتِي إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ غَيْرِ شَرِهِ وَحْرَصِهِ ، فَهُوَ مُبَارَكٌ .

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ هَذَا الْمَالَ حَضِيرَةٌ حُلُوَّةٌ فَمَنْ أَعْطَيْنَا مِنْهَا شَيْئًا بِطِيبٍ نَفْسٍ مِنَا ، وَحُسْنٌ طُغْمَةٌ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ

(١) رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد إلا أنه قال فيه : « أَرْسَلَ اللَّهُ لَهُ بِالْغَنِيِّ إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ أَوْ غَنِيَ آجِلٍ » .

وَمَعْنَى يُوشِكُ : يَسْرُعُ .

(٢) رواه الطبرانى في « الصَّفِيرِ » وَ« الْأَوْسَطِ » .

شَرَهْ نَفْسٍ ، بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمِنْ أَغْطِيَنَاهُ مِنْهَا شَيْئاً بَغْيِرِ طَيْبِ نَفْسٍ مِنْهَا
وَحُسْنِ طُغْمَةٍ مِنْهُ وَشَرَهْ نَفْسٍ ، كَانَ غَيْرَ مُبَارَكٍ لَهُ فِيهِ ^(١) .

وَفِي رَوْاْيَةِ لَمْسِلِمَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّمَا أَنَا
خَازِنٌ ، فَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ ، فَمُبَارَكٌ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَغْطَيْتُهُ عَنْ
مَسْأَلَةٍ وَشَرَهْ نَفْسٍ ، كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ » .
وَأَخْبَرْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْمُتَعَفِّفَ مَحْبُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى .

فَعَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى
يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ . وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلَنْ يُكْرَمْ ضَيْفَهُ .
وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلَيَقُولُ خَيْرًا أَوْ لِيُسْكُنْ . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْغَنِيَّ الْحَلِيمَ الْمُتَعَفِّفَ ، وَيُنْعَذُ الْبَذِيَّ الْفَاجِرَ السَّائِلَ الْمُلْعَنَ » ^(٢) .

قَوْلُهُ : « بَوَائِقَهُ » ، مَهْلِكَاتُهُ وَضَرْرُهُ ، وَقَوْلُهُ : « الْبَذِيَّ » ، قَبِيحُ
اللِّسَانُ ، وَقَوْلُهُ « السَّائِلُ الْمُلْعَنُ » ، أَيْ كَثِيرُ السُّؤَالِ .

وَعَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَرِضْ عَلَيَّ
أَوْلُ ثَلَاثَةٍ يَذْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، وَأَوْلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ ، فَأَنَّمَا أَوْلُ ثَلَاثَةٍ
يَذْخُلُونَ الْجَنَّةَ : فَالشَّهِيدُ ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَخْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَّ لِسَيِّدِهِ ،
وَعَفِيفٌ مَتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ ^(٣) .

قَوْلُهُ : « نَصَحَّ لِسَيِّدِهِ » ، أَيْ أَدَى حُقُوقَ اللَّهِ وَحُقُوقَ سَيِّدِهِ ، وَحَفْظُ
مَالِهِ وَرَعْيُ الْأَمَانَةِ ، وَقَوْلُهُ : « ذُو عِيَالٍ » ، أَيْ لَهُ أَسْرَةٌ يُنْفَقُ عَلَيْهَا وَأَهْلُ
وَأَوْلَادٍ ، وَجَدَّ فِي عَمَلٍ وَقْنَعَ بِرَزْقِ اللَّهِ لَهُ .

(١) رَوَاهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي « صَحِيحِهِ » وَرَوَى أَحْمَدُ وَالْبَزَارُ مِنْهُ الشَّطَرُ الْآخِرُ نَحْوَهُ بِإِسْنَادٍ
حَسَنٍ . وَمِنْعِنِي [الشَّرِهِ] الْحَرْصُ .

(٢) رَوَاهُ الْبَزَارُ .

(٣) رَوَاهُ ابْنُ حَزِيرَةَ فِي « صَحِيحِهِ » .

وجاء في الأدعية المأثورة : « اللهم إني أسألك العفة والغنى ».
والمتعمق يدها علينا كما جاء في الحديث : « اليد العليا خيرٌ من اليد السفلة »^(١) .

قال عبد الوارث : اليد العليا المتعمقة .

والمتعمق المستغنى بالله القانع بما أعطاه مولاً ، يرضاه الله ويفتح له باب رحمته ، ويرزقه الله الغنى والسعادة ، ويملا قلبه إيماناً وقناعة .

قال عليه السلام : « مَن يَسْتَغْنِي بِعِنْدِهِ اللَّهُ ، وَمَن يَقْنَعْ يُقْنَعَهُ اللَّهُ »^(٢) .

وفي رواية : « وَمَنِ اسْتَعْفَتْ يُعْفَهُ اللَّهُ ، وَمَنِ يَسْتَغْنِي بِعِنْدِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْ اللَّهُ ، وَمَا أَعْطَى اللَّهُ أَحَدًا عَطَاءً هُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَوْسَعُ مِن الصَّبَرِ »^(٣) .

قوله : « من يتصبر » ، أي يعالج في الصبر ويتكلفه على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا .

وقوله : « يصبره الله » ، أي يرزقه الله الصبر . وقال بعضهم : من يطلب العفة عن السؤال ولم يظهر الفقر ، يصبره الله عفياً . ومن ترقى وأظهر الاستغناء عن الخلق ، ملا الله قلبه غنى .

وقد بشر عليه السلام القانع بالجنة فقال : « طُوبٍ لِمَنْ هُدِيَ لِلإِسْلَامِ وَكَانَ عِيشُهُ كَفَافًا وَقَيْعًا »^(٤) ، والكافف من الرزق ، ما كف عن السؤال مع القناعة .

« طُوبٍ » ، هي شجرة كبيرة في الجنة . وقيل : اسم من أسماء الجنة .

(١) رواه مالك والبخاري .

(٢) رواه البزار .

(٣) رواه مالك والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذى والنسائى .

(٤) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

كما بشر بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من قناع بالفلاح فقال : « قد أفلح مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافاً ، وَقَنَعَ اللَّهُ بِمَا أَتَاهُ » ^(١) .

ولذلك لم تكن كثرة المال هي مقياس القناعة ، ولا قلته هي مقياس الفقر ، ومن هنا يقول أبو ذر رضي الله عنه : قال لي رسول الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : « يا أبا ذرٍ : أَتَرِي كثرة المال هو الغنى؟ قلت : نَعَمْ يا رسول الله ، قال : أَفَتَرِي قِلَّةُ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرُ؟ قلت : نَعَمْ يا رسول الله . قال : إِنَّمَا الْغَنِيَّ عِنْ قُلْبِهِ ، وَالْفَقِيرُ فَقِيرُ الْقُلُوبِ » ^(٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ : « لِيَسْ الْغَنِيُّ عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ ، وَلَكِنَّ الْغَنِيَّ عَنِ التَّفَسِّرِ » ^(٣) .

ويخبرنا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَنَّ عَزَّ الْمُؤْمِنِ هُوَ اسْتَغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ ^(٤) ، وقد استعاد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من النفس التي لا تشبع ^(٥) ، وأخبرنا أَنَّ مَنْ أَصْبَحَ أَمِنًا فِي سِرِّهِ ، مَعْفَىٰ فِي بَدْنِهِ ، عَنْهُ قُوَّتْ يَوْمَهُ فَكَانَمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا ^(٦) . أَيْ فَكَانَمَا أُعْطِيَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا .

أَمَّا مَا يَأْتِي مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ ، فَهُوَ خَيْرٌ وَبَرَكَةٌ ، قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِعُمَرَ بْنَ الخطاب : « فَأَمَّا مَا كَانَ عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ يَرْزُقُكُمُ اللَّهُ » ^(٧) .
وَقَالَ لِعَائِشَةَ : « يَا عَائِشَةُ ، مَنْ أَغْطَاكِ عَطَاءً مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ،

(١) رواه مسلم والترمذى .

(٢) رواه ابن حبان في « صحيحه » .

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائي .

(٤) رواه الطبرانى في « الأوسط » بسنده حسن .

(٥) كما جاء في الحديث . « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قُلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تُشْبِعُ وَمِنْ دُعْوَةٍ لَا يَسْتَجَابُ لَهَا » . رواه مسلم وغيره .

(٦) رواه الترمذى وقال: حديث حسن غريب .

(٧) رواه مالك .

فأقبليه ، فإنما هو رزق عرضه الله إليك ^(١) .

وقال أيضاً في هذا الباب : « فإنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه » ^(٢) .

ولا يُظنَ الآخذ المحتاج المستحق بأنه مذموم مطروه أو ناقص ، فقد بشره ^{عليه السلام} بقوله : « ما المُغطى مِن سَعَةٍ بأفضلٍ من الآخذ إذا كان مُحتاجاً » ^(٣) .

وروى عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ^{صلوات الله عليه وسلم} : « ما الذي يُعطي بسعة بأعظم أجرًا من الذي يقبل إذا كان محتاجاً » ^(٤) .

أي ليس المتصدقُ من مالٍ وفيه وخيراتٍ كثيرةٍ أفضل عند الله من الفقير الذي يقبل الصدقة لله معتمداً على مولاً حاماً وشاكرًا لله ، فإن الله ربهما ، وأراد للأول الغنى ليختبره ، وأراد للثاني الفقر ليختبره سبحانه ، فَعَلَهُ لِحْكَمَةٍ .

قال تعالى : « وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَعَوَّافٍ فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ حَمِيرٌ بَصِيرٌ » [الشورى : ٢٧] « وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْفَتْنَةَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيُنَشِّرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الَّذِي أَعْلَمُ بِالْعِيْدِ » [الشورى : ٢٨] .

* * *

(١) رواه أحمد والبيهقي .

(٢) رواه أحمد بإسناد صحيح عن خالد بن علي الجهني .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » .

(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » ، وابن حبان في « الضعفاء » .

شرف الأمانة والوفاء بالوعد

ومن شرف هذه الأمة : ما جعله الله تعالى من الثواب والفضل لمن أنجز الوعد والأمانة .

فمن ذلك : أنه مضمون له الجنة ، كما جاء في الحديث الذي رواه عبادة بن الصامت ، عن رسول الله ﷺ : « اضمنوا لي ستًا أضمن لكم الجنة ؛ أضدُّقُوا إذا حدثتم ، وأُوذفُوا إذا وعدتم ، وأدُّوا إذا اثُمْتم »^(١) . الحديث .

ومما يدل على شرف الأمانة وفضلها والوفاء بالوعد ، ما جاء من التحذير الشديد عن الخيانة وخلف الوعيد كقوله ﷺ : « لا إيمان لمن لا أمانة له »^(٢) .

وفي رواية عن علي من حديث طويل : « إنه لا دين لمن لا أمانة له ، ولا صلاة له ولا زكاة له »^(٣) .

وكقوله ﷺ : « آية المُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اثْمَنَ خَانَ »^(٤) .

(١) رواه أحمد وابن حبان في « صحيحه » والحاكم والبيهقي .

(٢) رواه الطبراني عن ابن عمر .

(٣) رواه البزار .

(٤) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

ورواه أبو يعلى من حديث أنس أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ثلثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَحْجَ وَاعْتَمَرَ ، وَقَالَ إِنِّي مُسْلِمٌ » فذكر الحديث .

وكل قوله ﷺ : « إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُزْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءُ فَقِيلَ : هَذِهِ غَذَرَةُ فَلَانِ بْنِ فَلَانٍ »^(١) .

* * *

(١) رواه مسلم وغيره .

فَضْلُ اصْطَنَاعِ الْمَعْرُوفِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَقَضَاءِ حَوَائِجِ الْمَلْهُوفِينَ

وَمِنْ شَرْفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ : مَا جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا مِنَ الْفَضَائِلِ الْعَظِيمَةِ
وَالْمَزَايَا الْكَرِيمَةِ لِمَنْ صَنَعَ الْمَعْرُوفَ ، وَأَغَاثَ الْمَلْهُوفِينَ ، وَسَعَى فِي
قَضَاءِ حَوَائِجِ الْخَلْقِ وَمِنْفَعَةِ إِخْرَانِهِ ، وَاجْتَهَدَ فِي تَفْرِيْجِ كُبَرَاتِهِمْ وَسُترِ
عَيْوَبِهِمْ ، وَالشَّفَاعَةِ لَهُمْ ، وَإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَيْهِمْ ، وَإِجَابَةِ دُعَوَتِهِمْ ،
وَعِيَادَةِ مَرِيضَهِمْ وَالذَّبَّ عنْ أَعْرَاضِهِمْ ، وَنَصْرِ مَظْلُومَهِمْ ، وَرَحْمَةِ
ضَعِيفَهِمْ ، وَإِقَالَةِ عَثَرَتِهِمْ ، وَالسعي فِي الإِصْلَاحِ بَيْنَهُمْ .

وَكُلُّ هَذِهِ الْمَعْانِي مُؤَيَّدٌ بِالْأَحَادِيثِ النَّبُوَّيَّةِ وَالْأَثَارِ السُّنْنِيَّةِ الْوَارِدَةِ عَنْ
كِبَارِ الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

وَقَدْ جَمِعَ فِي ذَلِكَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ زَكِيُّ الدِّينِ عَبْدُ الْعَظِيمِ الْمَنْذُرِيِّ أَرْبَعِينَ
حَدِيثًا نَذَرَ بَعْضَهَا ، مَعَ بَيَانِ بَعْضِ مَعَانِيهَا وَنَزِيدُ عَلَيْهَا بَعْضَ مَا ظَفَرْنَا بِهِ .
فَمَنْ ذَلِكُ : أَنَّ السَّاعِيَ فِي نَفْعِ الْمُسْلِمِينَ هُوَ أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ ،
لَمَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ .

(١) عَنْ أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « الْخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ ،
فَأَحَبَّهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْقَعَهُمْ لِعِيَالِهِ »^(١) .

(١) رواه البزار والطبراني في « معجمه » .

ومعنى « عيال الله » ، فقراء الله . فالخلق كلهم فقراء الله وهو الذي يعلهم ، ويشهد لهاذا الحديث ما جاء في « مسند الشهاب » عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهمما عن النبي ﷺ أنه قال : « خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ » .

(٢) ومن ذلك : أنه من الآمنين من عذاب الله يوم القيمة .

لما جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهمما مرفوعاً : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ خَلْقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ ، يَفْزَعُ إِلَيْهِمُ النَّاسُ فِي حَوَائِجِهِمْ ، أَوْلَئِكَ الْأَمْنُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى »^(١) .

(٣) ومن ذلك : أنه يوضع له منبر من نور يوم القيمة .

كما روى في الحديث عن كثير بن عبد الله بن عمر بن عوف المزنبي ، عن أبيه ، عن جده رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ أَلَى - أَيْ حَلْفَ - عَلَى نَفْسِهِ أَلَا يَعْذِبُهُمْ بِالثَّارِ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، وُضِعَتْ لَهُمْ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ يُحَدِّثُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَالنَّاسُ فِي الْحَسَابِ »^(٢) .

وفي رواية : أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ مِنْ خَلْقِهِ وُجُونَهَا ، خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ يَرْغَبُونَ فِي الْآخِرَةِ ، وَيَعْدُونَ الْجُودَ مَتَجَرِّأً ، وَاللَّهُ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » .

ومن ذلك : أنَّ المصطفى ﷺ يقفُ عند ميزانه ، فإنْ رَجَحَ ، وَإِلَّا شفع له^(٣) .

(١) رواه الطبراني ، وهو حديث حسن .

(٢) رواه ابن حبان في غير « صحيحه » .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » .

ومن ذلك : أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ ذَنْبَهُ ، وَيَكْتُبُ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النُّفَاقِ ، وَبَرَاءَةً مِنَ النَّارِ^(١) .

ومن ذلك : أَنَّ اللَّهَ يُعِينُهُ عَلَى إِجَازَةِ الْصَّرَاطِ يَوْمَ دَحْضِ الْأَقْدَامِ ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَانَ وَضْلَالَةً لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ فِي مَبْلَغٍ بِرٌّ أَوْ تِسْنِيرٍ عَسِيرٍ ، أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى إِجَازَةِ الْصَّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ دَحْضِ الْأَقْدَامِ »^(٢) .

ومن ذلك : أَنَّ مِنْ أَغَاثِ مَلْهُوفًا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ حَسَنَةً ، وَاحِدَةً مِنْهَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهَا دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ ، وَثَتَانَ وَسَبْعُونَ لَهُ دَرَجَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٣) .

وَفِي رَوَايَةٍ : كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ مَغْفِرَةً .

ومن ذلك : « أَنَّ مِنْ فَرَجٍ عَنْ مُؤْمِنٍ كُبْرَيَّةً ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ شَعْبَيْنِ مِنْ نُورٍ يَسْتَضِيْنِهِ بِضَوْئِهِمَا عَالَمٌ لَا يُخْصِنُهُمْ إِلَّا رَبُّ الْعِزَّةِ »^(٤) .

ومن ذلك : أَنَّ مِنْ فَرَجٍ عَنْ مُؤْمِنٍ كُبْرَيَّةً ، فَرَجَ اللَّهُ لَهُ كُبْرَيَّةً مِنْ كُبْرٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

كما جاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ مَسْلِمَةَ بْنِ مُخْلَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ فَلَّ عَنْ مَكْرُوبٍ كُبْرَيَّةً فَلَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ كُبْرَيَّةً مِنْ كُبْرٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ »^(٥) .

(١) رواه المنذري في « الأربعين».

(٢) رواه الطبراني في «الصغير» و «الأوسط» ، وابن حبان في «صحبيه» كلاهما من رواية إبراهيم بن هشام الغساني .

(٣) رواه أبو يعلى والبزار والبيهقي في «تاريخه» ويشواهد في الباب يصير صالحًا .

(٤) رواه الطبراني في «الأوسط» .

(٥) رواه الطبراني ، وروى مسلم معناه .

ومن ذلك : أنَّ الله يُبَاعِدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ سَبْعَ خَنَادِقَ .

ومن ذلك : أنه يكون له من الأجر ، كمن خَدَمَ الله عمره .

ومن ذلك : أنه يكون له ثَوَابُ المجاهِدين في سَبِيلِ الله ، وأنَّ له بكل خطوةٍ بخطوها سبعين حسنة ، وكُفُرُ عنِّه سَبعين سَيِّنة ، فإنْ قُضِيَتْ حاجتهُ على يديه ، خَرَجَ مِنْ ذَنْبِهِ كَيْوَمَ ولدَتْهُ أُمُّهُ ، فإنْ مَاتَ فِي خَلَالِ ذَلِكَ ، دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

ومن ذلك : أنه يُظْلَمُ خَمْسَةً وَسَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكًا ، يَدْعُونَ لَهُ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ .

ومن ذلك : أنَّ إِدْخَالَ السُّرُورِ عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ مُوجَاتِ الْمَغْفِرَةِ ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ ، وَأَنَّ اللَّهَ يَسْتَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَرْضِي لَهُ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ .

ومن ذلك : أنَّ فَعْلَ الْمَعْرُوفِ هُوَ أَفْضَلُ الصَّدَقَاتِ .

كما جاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ سَمْرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ الْلُّسَانِ» ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا صَدَقَةُ الْلُّسَانِ؟ قَالَ : الشَّفَاعةُ ، تَفْكُكُ بَهَا الْأَسِيرَ وَتَخْقِنُ بَهَا الدَّمَ ، وَتَجْرِي بَهَا الْمَعْرُوفُ إِلَى أَخِيكَ وَتَذَفَّعُ عَنْهُ كَرِيْهَتَهُ»⁽¹⁾ .

وَيَشَهُدُ لِهَذَا الْحَدِيثِ مَا جَاءَ فِي «اصْطَنَاعِ الْمَعْرُوفِ» لِلْخَرَائِطيِّ عَنْ سَمْرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ مَرْفُوعًا :

(1) رواه الطبراني في «مكارم الأخلاق» .

«مَا مِنْ صَدَقَةٍ أَفْضَلُ مِنْ صَدَقَةِ اللِّسَانِ ، قَالَ : وَكَيْفَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الشَّفَاعَةُ ، تَحْقِّنُ بِهَا الدَّمَ وَتَجْرِي بِهَا الْمَعْرُوفَ إِلَى آخَرَ ، وَتَدْفَعُ بِهَا الْمَكْرُوَهَ عَنْ آخَرَ» .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا عَشْرَةً ، أَقَالَ اللَّهُ عَشْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ هُمْ مَفَاتِيحُ الْخَيْرِ ، فَطُوبِي لَهُمْ وَحْسَنَ مَآبٍ .

جاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : «أَنَا اللَّهُ قَدَّرْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، فَطُوبِي لِمَنْ جَعَلْتُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدِيهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلْتُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدِيهِ»^(٢) .

جاءَ فِي «سِنَنِ أَبْنِ مَاجِهِ» مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا :

«إِنَّ هَذَا الْخَيْرَ خَزَانٌ ، لِتِلْكَ الْخَزَانَ مَفَاتِيحُ ، فَطُوبِي لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ مِغْلَافًا لِلشَّرِّ ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِغْلَافًا لِلخَيْرِ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ» .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ تَحْفَظُ الْعَبْدَ مِنَ الْأَفَاتِ وَالْعَوَارِضِ ، وَتَدْفَعُ عَنْهُ الشَّرِّ وَالْبَلَاءَ .

جاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «إِنَّ صَدَقَةَ الشَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وَإِنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ تَقِيِّ مَصَارِعَ السُّوءِ ، وَإِنْ صِلَةَ الرَّحِيمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ وَتَنْهَى الْفَقْرَ ، وَأَكْثَرُ مِنْ قَوْلِهِ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ

(١) رواه ابن حبان والطبراني وأبو داود وابن ماجه .

(٢) رواه الطبراني .

داء ، أذنها هم ^(١) .

ومن ذلك : أن إصلاح ذات البين ، أفضل من نوافل الصيام والصلة والصدقة ^(٢) .

ومن ذلك : أن الله سبحانه وتعالى ينشر له يوم القيمة ذكرًا على رؤوس الأشهاد يشهدُهُ المخاصُّ والعامُ .

جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُنادى مُنَادٍ يوم القيمة : لا يَقُولُ الْيَوْمَ أَحَدٌ إِلَّا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ يَدٌ ، فَنَقُولُ الْخَلَائِقُ : سُبْحَانَكَ ، بَلْ لَكَ الْيَدُ ، فَيَقُولُ ذَلِكَ مَرَارًا ، فَيَقُولُ : بَلِي مَنْ عَفَّا فِي الدُّنْيَا بَعْدَ قُدْرَةٍ » ^(٣) .

وجاء في « مكارم الأخلاق » للطبراني عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً :

« إِذَا وَقَفَ الْعَبْدُ لِلْحِسَابِ يَنْادِي مُنَادٍ : لِيَقُمْ مَنْ أَجْرَهُ عَلَى اللَّهِ ، فَيُقَالُ : وَمَنْ أَجْرَهُ عَلَى اللَّهِ؟ فَيَقُولُ : الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ ، فَقَامَ كَذَا وَكَذَا ، فَدَخَلُوهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ » .

فهذه الأحاديث منها ما هو صحيح ، ومنها ما هو حسن ، ومنها ما هو دون ذلك ، وبعضها يجبر بعضاً ، وهي كلها تدل على فضل المعرفة والإحسان ، وهناك أحاديث كثيرة في هذا المعنى ، تركناها واقتصرنا على هذه ، وفضل الله واسع والله ذو الفضل العظيم .

* * *

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » .

(٢) رواه أبو داود والترمذى ، وهو حديث صحيح .

(٣) رواه أبو منصور الديلمى في « مسند الفردوس » .

فضلُ مُكافأةِ صَاحِبِ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ

الإسلام دين الوفاء :

ومن فضائل هذه الأمة : أن الإسلام يغرسُ في قلوب أبنائه الوفاء وحفظ الجميل ومعرفته لأصحابه ، وذلك بشكرهم والدعاء لهم ، والإقرار بالاعتراف بفضلهم .

وقد أمرنا بذلك ﷺ فقال : « وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَاعْذُوْهُ ، حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ »^(١) .

وفي رواية : « مَنْ اضطَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَجَازَوْهُ ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ مُجَازَاتِهِ فَادْعُوْهُ لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّ قَدْ شَكَرْتُمْهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ يُحِبُّ الشَاكِرِينَ »^(٢) .

وفي رواية : « مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلِيْجَزِّ بِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلِيْجَنِّ ، فَإِنَّ مَنْ أَنْتَنِي فَقَدْ شَكَرَ ، وَمَنْ كَتَمْ فَقَدْ كَفَرَ ، وَمَنْ تَحْلَى بِمَا لَمْ يَعْطَ كَانَ كَلَابِسِ ثَوَّبَيْ زُورِ »^(٣) .

وفي رواية : « مَنْ أَوْلَيَ مَعْرُوفًا ، أَوْ أَسْدِيَ إِلَيْهِ مَعْرُوفًا ، فَقَالَ : لِلَّذِي أَسْدَاهُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الْفَنَاءِ » .

(١) رواه أبو داود والنسائي .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط .

(٣) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن غريب .

وفي رواية : « إذا قال الرجل : جزاك الله خيراً ، فقد أبلغ في الثناء »^(١) .

والشاكِر للمعْرُوف المثني على أهله خيراً ، هو أشَكَرُ النَّاسِ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ أَشَكَرَ النَّاسِ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى ، أَشَكَرُهُمْ لِلنَّاسِ » .

وفي رواية : « لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ »^(٢) .

وَيُقَابِلُهُ الْجَاهِدُ الَّذِي لَا يَثْمِرُ فِيهِ الْخَيْرَ ، وَلَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ لِأَهْلِهِ ، فَهُوَ أَيْضًا جَاهِدٌ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى .

فَعَنِ النَّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ ، وَالْتَّحْدِثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ وَتَرْكُهَا كُفْرٌ ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ ، وَالْفُرْقَةُ عِذَابٌ »^(٣) .

وَالْدُّعَاءُ كَافِي فِي تَحْقِيقِ الثَّنَاءِ ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَنْسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ الْمَهَاجِرُونَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذَهَبَ الْأَنْصَارُ بِالْأَجْرِ كُلِّهِ ، مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَحْسَنَ بِذَلِّ لَكَثِيرٍ وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَةً فِي قَلِيلٍ مِنْهُمْ ، وَلَقَدْ كَفَرُنَا الْمُؤْنَةُ ، قَالَ : « أَلَيْسَ تُشْتَنُونَ عَلَيْهِمْ بِهِ وَتَدْعُونَ لَهُمْ ? قَالُوا : بَلِّي ، قَالَ : فَذَاكَ بِذَاكَ »^(٤) .

* * *

(١) رواه الطبراني في « الصغير » .

(٢) رواه أحمد والطبراني .

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد بساند لا يأس به . ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب « اصطناع المعروف » .

(٤) رواه أبو داود والنسائي واللخظ له .

شرف الصائمين من هذه الأمة

ومن الشرف الذي ادخله الله تعالى لهذه الأمة : تلك الفضائل العظمى والمناقب الكبرى التي يختص بها الصائم من أفراد هذه الأمة ، وقد جمعت من تلك المناقب جملة صالحة سنذكر أهمها مع الدليل .

اختص الله الصائمين : بباب في الجنة يدخلون منه يوم القيمة إظهاراً لشرفهم وفضلهم ، ينادي مُنادٍ على رؤوس الأشهاد : أين الصائمون ، فيراهم القاصي والداني ، وتمتد إليهم الأبصار وترثب الأعناق ويتمنى مُتمناً أن لو كان معهم وفي ركبهم الميمون ، ويتحسر مُتحسراً على ما فاته في الدنيا من فرصة العمل والجُدُّ ، وما ضاع عليه من أوقات ثمينة وساعات عديدة ، يُصوّر عليه هذا المشهد فيقول : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ : الرَّئَانُ ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ : أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُولُونَ ، فَإِذَا دَخَلُوا ، أُغْلِقَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ » ^(١) .

واختص الله سبحانه وتعالى الصائمين أيضاً : بأن جعل صومهم لهم حصناً حصيناً من النار ، وستراً يقي صاحبه مما يؤذيه من الشهوات

(١) أخرجه أحمد والشیخان عن سهل بن سعد .

يقول عليه السلام : « الصَّيَامُ جَنَّةٌ وَحِضْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ »^(١) .

ثُمَّ يُبَيِّنُ لَنَا عليه السلام حقيقة هذا الصَّوم الذي يحفظ صاحبه من النار ، فيقول : « الصَّيَامُ جَنَّةٌ مِنَ النَّارِ كَجَنَّةٍ أَحَدُكُمْ مِنَ الْقَتَالِ مَا لَمْ يَخْرُقْهَا بِكَذِبٍ أَوْ غَيْرَةٍ »^(٢) .

وَكَانَهُ يَقُولُ : إِنَّ الْمَرَادَ بِالصَّيَامِ هُنَا ، صَيَامٌ مِنْ سَلِيمٍ صِيامُهُ مِنَ الْمَعَاصِي قُوَّلًا وَفَغْلًا ، وَلَذِكَ حَثَ الصَّائِمَ أَنْ يَلْتَزِمَ مَسْلِكَ الْفَضْلِيَّةِ ، وَيَبْتَعِدَ عَنْ دَوَاعِي الرَّذِيلَةِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ بِالصَّيَامِ الَّذِي هُوَ جَنَّةٌ فَيَقُولُ : « الصَّيَامُ جَنَّةٌ مِنَ النَّارِ ، فَمَنْ أَضْبَغَ صَائِمًا فَلَا يَجْهَلُ يَوْمَئِذٍ ، وَإِنْ امْرُؤٌ جَهَلَ عَلَيْهِ فَلَا يَشْتَمُهُ وَلَا يَسْبُهُ ، وَلَيَقُولُ : إِنِّي صَائِمٌ »^(٣) .

وَأَخْتَصَ اللَّهُ الصَّائِمَ أَيْضًا : بِأَنَّ جَعْلَ تَغْيِيرَ فَمِهِ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، فَقَالَ : « وَلَخَلْوَفُ فِيمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ » . وَالْخَلْوَفُ تَغْيِيرُ الْفَمِ مِنَ الصَّوْمِ .

وَأَخْتَصَ اللَّهُ الصَّائِمَ : بِأَنَّ جَعْلَ لَهُ فِي صِيَامِهِ فَرْحَتِينِ ، فَإِذَا أَفْطَرَ فَرَحَ ، وَإِذَا لَقِيَ اللَّهَ فَرَحَ ، فَفَرَحَهُ بِفَطْرِهِ تَبَيِّنُ صَادِقُّ عَنْ شُكْرِهِ التَّامُ لِرَبِّهِ الَّذِي وَفَقَهَ لِإِتَامِ صَوْمِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَمَكَنَّهُ بِوَاسِطَةِ تَامِ صَحَّتِهِ وَقُوَّتِهِ ، فَأَدَى عِبَادَةُ يَوْمِهِ كَامِلَةً غَيْرَ نَاقِصَةَ ، فَهُوَ فِي فَرَحَهِ هَذَا فِي عِبَادَةِ لِأَنَّ الشَّكْرَ عِبَادَةُ وَذَكْرٍ ، وَفَرَحَةُ بِلِقَاءِ اللَّهِ اطْمَثَانٌ بِوَعْدِ اللَّهِ وَيَقِينٌ جَازِمٌ بِقَبْوِ الْعَمَلِ بِمَشَاهِدَةِ عَظِيمِ الْثَّوَابِ عَلَيْهِ ، يَقُولُ عليه السلام عَنِ ذَلِكَ : « وَإِنَّ لِلصَّائِمِ فَرْحَتِينِ ؛ إِذَا أَفْطَرَ فَرَحَ ، وَإِذَا لَقِيَ اللَّهَ فَرَحَ »^(٤) .

(١) رواه أحمد والبيهقي في « الشعب » .

(٢) رواه أحمد والنسائي وأبي ماجه .

(٣) رواه النسائي .

(٤) رواه مسلم في « الصحيح » .

واختصَ الله الصائمُ : بأن جعلَ له في صومِه الصِّحةَ والشِّفاءَ من كثِيرٍ من الأمراض ، ففي الحديث : « صُومُوا تَصْحُوا »^(١) .

وأخرج البيهقي عن عليٍّ كرم الله وجهه قال ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ نَبِيًّا مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَنَّ أَخْبِرَ قَوْمَكَ أَنَّهُ لَنْ يَسْمَعَ بِصُومٍ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِي ، إِلَّا أَضَحَّخْتُ لَهُ جِسْمَهُ وَأَغْظَمْتُ لَهُ أَجْرَهُ » .

وَسِرُّ ذلك : أنَّ للصوم تأثيراً عجيباً في حفظ الأعضاء الظاهرة ، وقوى الجوارح الباطنة وحمايتها من التخليل الجالب للمواد الفاسدة واستفراغ المواد الرديئة ، وذلك من أكبر العون على التقوى كما قال تعالى : « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمْلَكُمْ تَنَقُّلُونَ » [البقرة : ١٨٣] .

واختصَ الله الصائمُ : بابعاد وجهه عن النار ، فلا ترى عينيه أيَّ مَشَهِدٍ من مشاهد النار . يقول ﷺ : « مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، بَعْدَ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا »^(٢) .

وفي رواية النسائي عن عقبة بن عامر : « بَاعْدَ اللَّهُ مِنْهُ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ » .

وما اختصَ الله سبحانه وتعالى به الصائمُ : ما ورد في القرآن من فضائلهم التي قال كثير من العلماء في كثير منها : إِنَّ الْمَرَادَ بِهَا الصائمون . منها قوله تعالى : « أَلَّا تَكُونُوا مِنَ السَّتِّحُونَ » [التوبه : ١١٢] ، فُسْرُ بالصائمين لأنهم ساحروا إلى الله عز وجل ، أي وصلوا إليه بسبب خروجهم عن مألفاتهم ومقاساتهم عناء الجوع والعطش .

(١) رواه ابن الشَّنْبَرِيُّ وَأَبُو نَعِيمَ .

(٢) أخرجه أحمد والشیخان والنسائي عن أبي سعيد الخدري وعند ابن ماجه عن أبي هريرة .

ومنها قوله تعالى : « إِنَّمَا يُوَفَّ الْأَصْنَافُ لِمَنْ يَعْمَلُ حِسَابًا » [الزمر : ١٠] ، قيل : الصابرون هم الصائمون ، لأنَّ الصبر اسمٌ من أسماء الصوم ، فحيثُنَذ يفرغ للصائم من خزائنِ الفضل والجود والكرم ما لا يُحصيه الحساب ولا يقدُّره إِلَّا رَبُّ الْأَرْيَابِ .

ومنها قوله تعالى : « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرْبَةٍ أَعْيُنُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » [السجدة : ١٧] ، قيل : عملهم الذي جوزوا عليه بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، هو الصوم .

واختص الله تعالى الصائم : بأن جعل حاله كُلُّه عبادةً وطاعةً ، فهو إن صمت عن فُضول الكلام في طاعة ، وإن نَام ليتقوى على القيام في طاعة أيضاً . رُوِيَّ عنِ رَبِّكُلِّ الْكَلَامِ : « صَمَتُ الصَّائِمَ تَسْبِيْخَ وَنَوْمَهُ عِبَادَةً وَدُعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ وَعَمَلُهُ مُضَاعَفٌ » ^(١) .

ففي فطوره له فرحةُ الشكر وهي عبادة ، وله في ذلك الوقت دعوة مستجابة كما ثبت في الحديث : « لِلصَّائِمِ عِنْدَ إِفْطَارِهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ » ^(٢) .

ولا يخلو أن يدخل في ذلك الوقت ضمن الذين أسعدهم الله فكتبهم من العتقاء من النار في تلك الساعة كما ثبت في الحديث « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتْقَاءَ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ » ^(٣) . وسحوره بركة ، كما ثبت ذلك في الحديث الشريف وصومه بعد ذلك ثوابه الجنة .

واختص الله الصائم : بأن جعل لمن فطره من الثواب الجزيل ما لا ينقص من ثواب الصائم نفسه . وفي سبيل إكرام الصائم جعل هذا الثواب ولو كان على لُقْمَةِ خبز ، أو شربة ماء .

(١) رواه الديلمي عن ابن عمر . وأخرجه ابن منده وسنده ضعيف .

(٢) أخرجه ابن ماجه والحاكم وأبو داود الطيالسي والبيهقي .

(٣) رواه ابن ماجه وأحمد والطبراني والبيهقي .

فقال عليه السلام : « مَنْ فَطَرَ صَائِمًا فِي رَمَضَانَ مِنْ كَسْبٍ حَلَالٍ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ لِيَالِيِّ رَمَضَانَ كُلُّهَا وَصَافَحَهُ جِبْرِيلُ لَيْلَةَ الْقُدْرِ وَمَنْ صَافَحَهُ جِبْرِيلُ تَكْثُرُ دُمُوعُهُ وَيَرْقُ قَلْبُهُ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْدَهُ ؟ قَالَ : فَلَقْمَةُ خُبْزٍ قَالَ : أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْدَهُ ؟ قَالَ : فَمَذْدَقَةٌ مِنْ لَبَنٍ قَالَ : أَفَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْدَهُ ؟ قَالَ : فَشَرَبَةٌ مِنْ مَاءٍ » ^(١) .

واختص الله الصائم : بأنه إذا أكل وعنه جماعة مفطرون وهو يشهد وينظر لا يمنعه من الأكل معهم إلا حرمة الصيام ، فإنه تصلني عليه الملائكة .

ففي الحديث : « أَنَّ الصَّائِمَ إِذَا أَكَلَ عِنْدَهُ ، لَمْ تَرَنْ تُصَلِّي عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ طَعَامِهِ » ^(٢) .

فضائل الصوم مطلقاً كثيرة

فمنها : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَضَافَ ثَوَابَهُ إِلَيْهِ دُونَ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ ، فَقَالَ : « الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ » ^(٣) .

فاختص الصوم عن بقية الأعمال بإضافته إلى الله تعالى إضافة تشريف إعلاناً بأأن ثوابه وصل غاية تقصـر العقول عن إدراـكها .

قال العـلـامـةـ السـيـدـ مـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ الـحـسـيـنـيـ فـيـ «ـ شـرـحـ الـإـحـيـاءـ »ـ :ـ قـيـلـ :ـ وـسـبـبـ إـضـافـتـهـ إـلـيـهـ تـعـالـىـ ،ـ أـنـهـ لـمـ يـعـبـدـ بـهـ أـحـدـ سـوـاـهـ ،ـ فـلـمـ تـعـظـمـ الـكـفـارـ فـيـ عـصـرـ مـعـبـودـاـ لـهـمـ بـالـصـيـامـ ،ـ وـإـنـ كـانـوـاـ يـعـظـمـونـهـ

(١) أخرجه أبو يعلى وأصحاب السنن الأربعـةـ وابن حبانـ فـيـ «ـ الـضـعـفـاءـ »ـ .ـ

(٢) أخرجهـ أـحـمـدـ وـالـترـمـذـيـ .ـ

(٣) وـهـوـ حـدـيـثـ صـحـيـحـ ثـابـتـ .ـ

بصورة الصلاة والسجود ، والصدقة والذكر ، وغير ذلك . حكاه النووي
في « شرح مسلم » .

قال العراقي في « شرح الترمذى » : ونقضه بعضهم بأرباب الاستخدامات ، فإنهم يصُومون للكواكب . قال : وليس هذا بنقض صحيح لأنَّ أرباب الاستخدامات لا يعتقدون أنَّ الكواكب آلهة ، وإنما يقولون : إنها فعالةٌ ب نفسها ، وإن كانت عندهم مخلوقة^(١) . اهـ .

قلت : ولا شك أنهم مع كُلِّ ذلك مشركون بالله ، لا شك في ذلك
والعياذ بالله .

وأيضاً لأنَّ في الصوم إشارةً إلى سرِّ صمدَيْهِ تعالى دون سائر العبادات ، وأيضاً لأنَّ الاستغناء عن الطعام وسائر الشهوات ، من صفاتِه تعالى ، والصوم فيه نوعٌ يوافقها ، فلذلك أضافه تعالى إليه ، ومن ثمَّ قال القرطبي : معناه أنَّ أعمال العباد مناسبةٌ لأحوالهم ، إلا الصوم فإنه مناسبٌ لصفةِ من صفاتِ الحق ، فكأنه تعالى يقول : إنَّ الصائم يتقرَّبُ إلى بأمر هو من صفاتي .

وأيضاً فإنَّ الصوم فيه تركُ جميع حُظوظِ النفس وشهواتها الأصلية التي جُبِلت على الميل إليها الله تعالى ، ولا يوجد ذلك في عبادة أخرى ، إلا ترى أنَّ الإحرام بالحج أو العمرة وإن حُرِمَ معه كثيرٌ من المُباحات كالطيب والنساء والصيد واللباس ، إلا أنه لا يحرُم معه الأكل والشرب الذي به قوامُ الحياة . وهذا وإن كان حُرِمَ في الصلاة ، إلا أنه لوقت محدود لا يتجاوز خمس دقائق .

ومن الشرف الذي اختص الله به الصائمين : أنَّ صيامهم يُشفعُ لهم يوم القيمة .

(١) إتحاف السادة شرح «الإحياء» (٤/٣١٧) .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهمما أنَّ رسول الله ﷺ قال : « الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعُانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». يَقُولُ الصَّيَامُ : أَيْ رَبُّ ! مَنْعَتْهُ الطَّعَامَ وَالشَّهْوَةَ فَشَفَعَنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : مَنْعَتْهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَعَنِي فِيهِ . قَالَ : فَيُشَفَعُانِ »^(١) .

وَمِنَ الْشَّرْفِ الَّذِي اخْتَصَ اللَّهُ بِهِ الصَّائِمِينَ : أَنَّ صُومَهُمْ تَطْوِعاً يَعْدِلُ مِلْءَ الْأَرْضِ ذَهَبًا .

عَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَنْ أَنْ رَجُلًا صَامَ يَوْمًا تَطَوَّعًا ثُمَّ أُغْطِي مِلْءَ الْأَرْضِ ذَهَبًا ، لَمْ يَسْتَزِفْ ثَوَابَهُ دُونَ يَوْمِ الْحِسَابِ »^(٢) .

وَمِنَ الْشَّرْفِ الَّذِي اخْتَصَ اللَّهُ بِهِ الصَّائِمِينَ : أَنَّ اللَّهَ قَضَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ مُعْطِشَ نَفْسِهِ لَهُ فِي يَوْمِ شَدِيدِ الْحَرَّ كَانَ حَقًا عَلَيْهِ تَعَالَى أَنْ يُرُوِّيَهُ يَوْمَ عَطَشِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَقَدْ جَاءَ : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا مُوسَى عَلَى سَرَيَّةٍ فِي الْبَحْرِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ قَدْ رَفَعُوا الشَّرَاعَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلَمَةٍ ، إِذَا هَاتَفُ فَوْقَهُمْ يَهْتَفُ : يَا أَهْلَ السَّفِينَةِ ، قَفُوا أَخْبِرُكُمْ بِقَضَاءِ قَضَاهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى : أَخْبَرْنَا إِنْ كُنْتَ مُخْبِرًا .

قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَضَى عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ مُعْطِشَ نَفْسِهِ لَهُ فِي يَوْمِ صَائِفٍ ، سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْعَطَشِ »^(٣) .

وَفِي رَوَايَةٍ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَضَى عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ مُعْطِشَ نَفْسِهِ لَهُ فِي

(١) رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله محتاج بهم في الصحيح ، ورواه ابن أبي الدنيا ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٢) رواه أبو يعلى والطبراني .

(٣) رواه البزار بإسناد حسن من حديث ابن عباس .

يُوْمَ حَارًّا ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرَوِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(١) . قَالَ الرَّاوِي : وَكَانَ أَبُو مُوسَى يَتَوَخَّى الْيَوْمَ الشَّدِيدَ الْحَرَّ الَّذِي يَكَادُ إِلَّا إِنْسَانٌ يَنْسُلُخُ فِيهِ حَرًّا ، فَيَصُومُهُ .

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الصَّوْمَ زَكَاةُ الْجَسَدِ .

عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ ، وَزَكَاةُ الْجَسَدِ الصَّوْمُ وَالصَّيَامُ نِصْفُ الصَّبَرِ »^(٢) .

وَمِنَ الْشَّرْفِ الَّذِي اخْتَصَ اللَّهُ بِهِ الصَّائِمِينَ : أَنَّ الصَّيَامَ فِي رَمَضَانَ سَبِيلٌ لِغَفْرَانِ الذَّنْبِ .

عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقُدْرِ إِيمَانًا وَأَخْتِسَابًا غُفْرَانَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَأَخْتِسَابًا غُفْرَانَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »^(٣) .

وَمِنَ الْشَّرْفِ الَّذِي اخْتَصَ اللَّهُ بِهِ الصَّائِمِينَ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَصَهُمْ فِي رَمَضَانَ بِخَمْسٍ خَصَالٍ لَمْ يُعْطِهِنَّ الْأَمْمَ السَّابِقِينَ .

فَقَدْ جَاءَ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أُغْطِيَتِي أُمَّتِي خَمْسَ خَصَالٍ فِي رَمَضَانَ لَمْ تُعْطَهُنَّ أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ : خَلُوفُ فِي الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْجِنَّاتُ حَتَّى يُفْطِرُوا ، وَيُرِيَّنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ جَتَّهُ ثُمَّ يَقُولُ : يُؤْشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقِوْا عَنْهُمُ الْمُؤْنَةَ وَيَصِيرُوا إِلَيْكِ ، وَتُصَدَّدُ فِيهِ مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ فَلَا يَخْلُصُوا فِيهِ إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةِ ، قَيْلَ :

(١) رواه ابن أبي الدنيا .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه مختصرًا .

يا رسول الله ، أهي ليلة القدر؟ قال : لا ، ولكن العامل إنما يُوفى أجره
إذا قضى عمله «^(١)» .

ومن الشرف الذي اختص الله به الصائمين : أنه جعل لهم صيامهم
رمضان كفارةً لذنبهم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الصَّلَواتُ
الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمْضَانَ ، مُكَفَّرَاتُ
مَا يَنْهَا إِذَا اجْتَنَبَتِ الْكَبَائِرُ » رواه مسلم .

* * *

(١) رواه أحمد والبزار والبيهقي .

شرفُ الْحُجَّاجِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ

فضائلُ الْحَاجِ وَشَرْفُهُ :

وَمِنْ الشَّرْفِ الَّذِي أَدْخَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ : تِلْكَ الْفَضَائِلُ الْعَظِيمُ
وَالْمَنَاقِبُ الْكَبِيرُ الَّتِي يَخْتَصُّ بِهَا الْحَاجُ مِنْ أَفْرَادِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَقَدْ
جَمِعْتُ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاقِبِ جُمْلَةً صَالِحةً ، وَسَنَذْكُرُ أَهْمَهَا مَعَ الدَّلِيلِ :

الْأُولُّ : أَنَّ الْحَاجَ حَجَّةٌ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ . عَنْ عُمَرِ بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ قَالَ : « فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي ، أَتَيَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَلَتْ :
أَبْسُطْ يَمِينَكَ فَلَا يَأْغُلُكَ ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ ، قَالَ : فَقَبضْتُ يَدِي ، قَالَ : مَا لَكَ
يَا عُمَرُ ، قَالَ : قَلْتُ : أَرَدْتُ أَنْ أَشْرِطَ ، قَالَ : تَشْرِطُ بِمَاذَا؟ قَالَ :
أَنْ يُغْفَرَ لِي ، قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ
تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ، وَأَنَّ الْحُجَّةَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ »^(١) .

الثَّانِي : أَنَّ الْحَاجَ مُجَاهِدٌ . وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « جِهَادُ الْكَبِيرِ وَالْمُسْعِفِ وَالْمَرْأَةِ ، الْحُجَّةُ
وَالْعُمْرَةُ »^(٢) .

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ سَلِيمَانَ ، عَنْ جَدِّهِ أَمِّ أَبِيهِ قَالَتْ : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الإِيمَانِ مِنْ حَدِيثٍ طَوِيلٍ ، وَهَذَا جُزْءٌ مِّنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ .

النبي ﷺ قال : إِنِّي أُرِيدُ الْجَهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ : حُجَّ الْبَيْتَ ^(١) .
وعن عمر أنه قال : إِذَا وَضَعْتُمُ السُّرُوجَ ، فَشُدُّوا الرِّحَالَ لِلْحَجَّ
وَالْعُمْرَةَ ، فَإِنَّهَا أَحَدُ الْجَهَادِينَ ^(٢) .
الثالث : أَنَّ الْحَاجَ مِنْ وَفْدِ اللَّهِ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وَفْدُ اللَّهِ
ثَلَاثَةٌ : الْغَازِيُّ ، وَالْحَاجُّ ، وَالْمُعْتَمِرُ » ^(٣) .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « الْحُجَّاجُ وَالْعُمَارُ
وَفْدُ اللَّهِ ، إِنَّ سَالِلِ الْأَعْطُوا ، وَإِنْ دَعَوا أُجِيبُوا ، وَإِنْ أَنْفَقُوا أُخْلَفُ
عَلَيْهِمْ . وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ ، مَا أَهْلَ مُهِلٌّ وَلَا كَبَرٌ مُكَبِّرٌ عَلَى
شَرْفِ مِنَ الْأَشْرَافِ ، إِلَّا أَهْلٌ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَكَبَرٌ بِتَكْبِيرِهِ ، حَتَّى يَنْقَطِعَ مَبْلَغُ
الْتَّرَابِ » ^(٤) .

الرابع : أَنَّ الْحَاجَ مُجَابُ الدَّعْوَةِ :
- تَقْدِيمُ فِي الْفَصْلِ آنَفَا طَرْفُهُ مِنْهُ - :

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « خَمْسُ دُعَوَاتٍ لَا تُرْدَدُ :
دُعَوَةُ الْحَاجَ حَتَّى يَصْدُرَ ، وَدُعَوَةُ الْغَازِيِّ حَتَّى يَرْجِعَ ، وَدُعَوَةُ الْمَظْلُومِ

(١) أخرجه سعيد بن منصور .

(٢) أخرجه أبو ذر الھروي .

(٣) أخرجه النسائي .

وأخرجه ابن حبان في « التقاسيم والأنواع » ، بتقديم بعض اللفظ وزاد في
بعض طرقه : « دُعَاهُمْ فَأَجَابُوا » ، رواه حماد بن سلمة من حديث ابن عمر وذكر
هذه الزيادة وزاد : « فَسَالُوهُ فَأَعْطَاهُمْ » وذكره ابن الحاج في منسكه .

(٤) أخرجه تمام الرازي في « فوائد » . وأخرجه ابن الجوزي في كتاب « مثير الغرام
الساكن » من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال في آخره : حتى يبلغ
منقطع التراب .

حتى يُنصرَ ، ودُعوة المريض حتى يُبَرأ ، ودُعوة الأخ لأخيه بالغَيْبِ ،
أَسْرَعْ هُؤُلَاءِ إِجَابَةَ دَغْوَةَ الْأَخِ لأخيه بالغَيْبِ » .

حَدِيثٌ صَحِيفٌ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ جَبَيرٍ ، عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ . وَلَذِكْرِ
كَانَ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَطْلُبُ مِنَ الْحَاجِ الدُّعَاءَ ، وَهَذِهِ السُّنَّةُ الْمَطْلُوبَةُ فَعَلَهَا
عَمَرٌ ، فَإِنَّهُ لَمَّا اسْتَأْذَنَ فِي الْعُمْرَةِ فَأَذِنَ لَهُ . قَالَ لَهُ : « لَا تَنْسَنَا مِنْ
دُعَائِكَ ، أَوْ أَشِرِّكُنَا فِي دُعَائِكَ »^(١) .

الخامس : أَنَّ الْحَاجَ نَفَقَتُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ .

عَنْ بُرِيْدَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « النَّفَقَةُ فِي الْحَجَّ ، كَالنَّفَقَةِ فِي
سَبِيلِ اللهِ ، الدِّرْهَمُ بِسِبْعَمِائَةِ ضَعْفٍ »^(٢) .

السادس : أَنَّ الْحَاجَ دَرَهْمَهُ بِأَرْبَعِينِ أَلْفِ أَلْفِ .

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِذَا خَرَجَ الْحَاجُ مِنْ بَيْتِهِ
كَانَ فِي حِرْزِ اللهِ ، فَإِنْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ سُكَّهَ وَقَعَ أَجْرَهُ عَلَى اللهِ ، وَإِنْ
بَقِيَ حَتَّى قَضَى سُكَّهَ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَإِنْفَاقُ الدِّرْهَمِ
الْوَاحِدِ فِي ذَلِكَ الْوَجْهِ ، يَغْدِلُ أَرْبَعِينُ أَلْفَ أَلْفَ فِيمَا سِوَاهُ »^(٣) .

السابع : أَنَّ الْحَاجَ نَفَقَتُهُ مَخْلُوفَةً .

ثَبَّتَ فِي الْحَدِيثِ : « الْحُجَّاجُ وَالْعُمَارُ وَفَدُوا إِلَيْهِ إِنْ سَأَلُوا أَعْطُوا وَإِنْ
دَعَوا أُجِبُوا وَإِنْ أَنْفَقُوا أُخْلِفُ عَلَيْهِمْ »^(٤) .

وَفِي رَوَايَةَ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ لِمَلَائِكَتِهِ : « وَأَخْلِفُوا لَهُمْ
مَا أَنْفَقُوا » .

(١) رواه أبو ذر الھرئي.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شِبَّةَ وَأَحْمَدَ فِي مُسْنَدِيهِمَا .

(٣) ذَكْرُهُ فِي « الْقَرْبَى » .

(٤) أَخْرَجَهُ تَمَامُ الرَّازِيِّ .

الثامن : عن أبي أمامة ووائلة بن الأسعق قالا : قال رسول الله ﷺ : « أربعة حَقٌّ على اللهِ عز وجلَّ عَوْنَاهُمْ : الغَازِيُّ ، وَالْمَتَزَوْجُ ، وَالْمُكَاتَبُ ، وَالْحَاجُّ ». .

الناس : عن أبي موسى الأشعري قال : « الحاج يشفع في أربعينائة من أهل بيته »^(١) .

وفي رواية المنذري : « مَنْ جَاءَ حَاجَّاً يُرِيدُ وِجْهَ اللَّهِ ، عُفِرَ لَهُ وَشَفَعَ فِيمَنْ دَعَاهُ » .

العاشر : أنَّ الحاج مغفُورٌ له .

عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « ما من مُحِّرٍ يُضَحِّي الله يَوْمَهُ يُلْبِي
حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ ، إِلَّا غَابَتْ بِذُنُوبِهِ فَعَادَ كَمَا وَلَدَتْهُ أَمْهُ »^(٢) .

وفي الحديث عن جابر رضي الله عنه : «إذا كان يوم عرفة فإنَّ الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول : انظروا إلى عبادي أتونني شُغناً غُبراً ، اشهدوا أنِّي غفرت لهم ذُنوبِهم ، فتقول الملائكة : يا رب فلان يزهق يعني يأتي المحارم - قال : يقول الله عز وجل : قد غفرت لهم »^(٣) .

وَهَذِهِ الْمَغْفِرَةُ عَامَّةٌ حَتَّى لِلْتَّبِعَاتِ ، فَقَدْ رُوِيَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا لِأَمْمَهُ عَشِيَّةَ عِرَفَةَ بِالْمَغْفِرَةِ فَأُجِيبَ : « إِنِّي غَفَرْتُ لَهُمْ مَا حَلَّا
الْمَظَالِمُ ، فَإِنِّي أَخِذُ لِلْمَظْلُومِ مِنْهُ » ، قَالَ : أَيْ رَبَّ ، إِنْ شَتَّ أُعْطِيَتِ الْمَظْلُومَ
الْجَنَّةُ ، وَغَفَرْتَ لِلظَّالِمِ فَلِمْ يُجْبَتْ عَشِيَّةُ عِرَفَةَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ بِالْمُزْدَلْفَةِ
أَعْدَ الدُّعَاءَ ، فَأُجِيبَ إِلَيْهِ مَا سَأَلَ . قَالَ : فَضَّحَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَوْ

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مسنده».

۲) درواه این ماجه .

٣) أخرجه البغوي في «شرح السنة».

قال : تبسم ، فقال له أبو بكر وعمر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها ، فما الذي أضحكك أضحك الله سينك ؟ قال : إن عدو الله إبليس لما علِم أن الله عز وجل قد استجاب دعائى ، وغفر لأمتي ، أخذ التراب فجعل يخنثه على رأسه ويدعى بالوين والثبور ، فأضحكني ما رأيت من جزعه ^(١) .

قلت : ولكن لا بد من تقييد هذا الكلام ؛ بأن المراد بذلك : هو من تنوى على أداء الحقوق لأربابها ، ولكنه عاجز عن ذلك الوقت ، فهذا تشملة الرحمة الإلهية بإذن الله وفضله . أمّا الظالم إذا تمكّن من الأداء ولم يؤد أو إذا كان عاجزاً لكنه مصمم على عدم الأداء ، فالظاهر أنه لا تشملة الرحمة .

الحادي عشر : أنه يغفر لمن يستغفر له الحاج .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم اغفر للحاج ، ولمن استغفر له الحاج » ^(٢) .

وعن مجاهد قال : قال عمر رضي الله عنه : يغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج بقية ذي الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وعشر من شهر ربيع الأول ^(٣) .

ولذلك كان ابن عمر يقول : إذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه ، ومرأة أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته ^(٤) .
فكانوا يحبون أن يدخلوا في هذه الخصوصية .

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) رواه البيهقي وصححه الحاكم .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « مصنفه » ، وذكر هذا الخضراوي في « العقد الشمين » ٣١ .

(٤) رواه أحمد في « مسنده » .

الثاني عشر : أنَّ الحاج يُباهي الله به الملائكة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « إِنَّ اللَّهَ يُباهي بِأَهْلِ عِرْفَاتٍ أَهْلَ السَّمَاءِ »^(١) .

الثالث عشر : أنَّ الحاج من أَهْلِ الجنة .

عن جابر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « الْحَجَّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ » ، قيل : وما بِرُورٌ؟ قال : « إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَطِينَبُ الْكَلَامِ » . وفي رواية : « إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ »^(٢) ، والمعنى : أنه لا يقتصر فيه على تكفير بعض الذُّنُوب ، بل لا بد أن يبلغ به الجنة .

ولا غَرابةً بعد هذه الخصائص والمزايا التي امتاز بها الحاج في أن يحرص المسلم كُلَّ الحرص وتشتد رغبته ويعظم طلبه ويجهد في حضور هذه المشاهد وإدراك هذه الخصائص ، ولو كان من أهل الأعذار الذين قد قضوا فَرِضَتْهُمْ وأكثروا من التطوع بهذا النُّسُك الشَّرِيفِ .

قال بعضهم :رأيْتُ في الطواف كهلاً وقد أجهدتهُ العبادة وبيده عصا وهو يطوف معتمداً عليها ، فقال لي : في كم تقطعون هذا الطريق؟ قُلْتُ : في شهرين فقال : فهل تحجرون كُلَّ عام؟ فسكت فسألته : وكم بينكم وبين هذا البيت؟ قال : مسيرة خمس سنين ، فقلت : والله هذا هو الفَضْلُ الْمُبِينُ وَالْمَحْبَةُ الصَّادِقَةُ ، فصحيحك وأنشاً يقول :

رُزْ منْ هَوَيْتَ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ وَحَالَ مِنْ دُونِهِ حُجَّبٌ وَأَسْنَارٌ
لَا يَمْنَعُكَ بُعْدٌ عَنْ زِيَارَتِهِ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارُ

(١) رواه ابن حبان وأحمد .

(٢) رواه أحمد والطبراني في «الأوسط» بسناد حسن .

وعن شقيق البلخي رحمه الله قال : رأيت في طريق مكة مقعداً يزحف على الأرض ، فقلت له : من أين أقبلت؟ قال : من سمرقند ، قلت : وكم لك في الطريق؟ فذكر أعواماً تزيد على العشرة . فرفعت طرفني أنظر إليه متعجباً ، فقال : يا شقيق ، مالك تنظر إليَّ متعجباً؟ .

قلت : أتعجب من ضعف مهجتك ويعود سفرك! فقال : يا شقيق ، أما بعد سفري فالسوق يقويه ، وأما ضعف مهجتي فمولاها يحملها . يا شقيق ، أتعجب من عبدي يحمله المولى اللطيف ، وأنشأ يقول :

أزوركم والهوى صعب مسالكة والسوق يحمل والأمال تُسعده
ليس المحب الذي يخشى مهالكة كلاً ولا شدة الأسفار تُبعده

* * *

فضل تلاوة القرآن وشرف القراء من هذه الأمة

ومن شرف هذه الأمة المحمدية : ما أعده الله تعالى من الثواب العظيم والفضل الجسيم على تلاوة القرآن الكريم ، وما اختص به حملة هذا الكتاب من مناقب عديدة ومزايا حميدة .

فمنها : أن القارئ له بكل حرف حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها بفهمها أو بغير فهم .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قرأ حزفاً من كتاب الله تعالى ، فله به حسنة ، والحسنة بعشرين أمثالها . لا أقول : ألم حزف ، ولكن ألف حزف ، ولا م حزف ، وميم حزف » ^(١) .

قال الإمام النووي : أعلم أن المذهب المختار الصحيح الذي عليه من يعتمد من العلماء : أن قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل وغيرهما من الأذكار . اهـ .

يعني لما في الحديث : « وفضل كلام الله على سائر الكلام ، كفضل الله على خلقه » ^(٢) .

(١) رواه الترمذى وغيره .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث غريب .

ومنها : أَنَّ الْقَارِئَ يُلْبِسُ اللَّهَ وَالْدِيْهِ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . روى أبو داود عن سهل بن معاذ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِهِ أَلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ضَمَوْهُ أَخْسَنُ مِنْ ضَمَوْهُ الشَّمْسِ فِي بَيْوَتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيْكُمْ ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلْتُ بِهِ » .

ومنها : أَنَّ الْمَاهِرَ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكَرَامِ الْبَرَّةِ . عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكَرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَسَعَّ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌ ، لَهُ أَجْرًا » ^(١) .

يعني : أَنَّ الْقَارِئَ الَّذِي يَقْرَأُ بِدُونِ تَلْعِثْ وَمَشْقَةٍ ، هُوَ مَعَ السَّفَرَةِ السَّابِقِينَ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ بِكُلْفَةٍ وَمَشْقَةٍ ، فَلَهُ أَجْرًا .

ومنها : أَنَّ الْقَارِئَ فِي الدُّنْيَا لَا يَزَالُ يَتَرَقَّى فِي الْمَنَازِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . روى الترمذى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ : إِقْرَأْ وَأَزْقَ وَرَتَلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتَّلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنْ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ أَخِرِ آيَةِ تَقْرُؤُهَا » .

ومنها : أَنَّ الْقَارِئَ لَا يَهُولُهُ الْفَزْعُ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . روى الطبرانى بإسناد لا يأس به ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يَهُولُهُمُ الْفَزْعُ الْأَكْبَرُ وَلَا يَتَالُهُمُ الْحِسَابُ هُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْنِكِ حَتَّىٰ يُفَرَّغَ مِنْ حِسَابِ الْخَلَاقِ : رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ أَبْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَأَمَّ بِهِ قَوْمًا وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ ، وَدَاعٌ - أَيْ مُؤَذِّنٌ - يَدْعُونَ إِلَى الصَّلَوَاتِ أَبْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَعَنْدَ أَخْسَنَ فِيمَا بَيْتَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ وَفِيمَا بَيْتَهُ وَبَيْنَ مَوَالِيهِ » .

(١) متفق عليه .

ومنها : أَهْلُ الْقُرْآنَ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ تَعَالَى . عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ أَهْلِنَّ مِنَ النَّاسِ . قَالُوا : مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَهْلُ الْقُرْآنِ ، هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ » .

ومنها : أَنَّ الْقُرْآنَ مَأْدِبٌ اللَّهُ تَعَالَى ، فَمَنْ دَخَلَهُ فَهُوَ آمِنٌ . عن ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « افْرُوْوا الْقُرْآنَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ قَلْبًا وَعَنِ الْقُرْآنِ ، وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدِبٌ اللَّهُ ، فَمَنْ دَخَلَ فِيهِ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَلَيُثْبِشَ » ^(١) - أي فليستبشر .

وعنه رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدِبٌ اللَّهُ فَاقْبِلُوهُ مَأْدِبَتَهُ مَا أَسْتَطَعْتُمْ ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ وَالثُّورُ الْمُبِينُ وَالشَّفَاءُ النَّافِعُ ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَتَجَاهَ لِمَنْ اتَّبَعَهُ ، لَا يَزِيقُ فَيَسْتَعْتَبَ وَلَا يَغُرِّ فَيَقُومُ ، وَلَا تَنْقِضِي عِجَابَهُ وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ ، أَتَلُوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلَاقِتِهِ كُلُّ حَرْفٍ عَشَرَ حَسَنَاتٍ . أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ : أَلَمْ حَزْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَزْفٌ ، وَلَامٌ حَزْفٌ ، وَمِينٌ حَزْفٌ » ^(٢) .

ومنها : أَنَّ الْبَيْتَ الَّذِي يُقْرَأُ فِي الْقُرْآنِ ، تَحْضُرُ الْمَلَائِكَةُ وَيَتَسْعَ عَلَى أَهْلِهِ . رَوَى الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوُزِيُّ بِإِسْنَادِهِ ، عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « الْبَيْتُ إِذَا قُرِئَ فِيهِ الْقُرْآنُ ، حَضَرَتُهُ الْمَلَائِكَةُ وَتَنَكَّبُتُهُ الشَّيَاطِينُ - أي تباعدت عنه - وَاتَّسَعَ عَلَى أَهْلِهِ ، وَكَثُرَ خَيْرُهُ وَقَلَ شَرُّهُ . وَإِنَّ الْبَيْتَ إِذَا لَمْ يُقْرَأْ فِيهِ الْقُرْآنُ ، حَضَرَتُهُ الشَّيَاطِينُ وَتَنَكَّبَتُهُ - أي تباعدت - عَنْهُ الْمَلَائِكَةُ وَضَاقَ عَلَى أَهْلِهِ ، وَقَلَّ خَيْرُهُ وَكَثُرَ شَرُّهُ » .

قال : وفي الباب عن أبي هريرة موقوفاً ، وعن ابن سيرين . اهـ وأثرـ أبي هريرة رواه الدارمي .

(١) رواه الدارمي .

(٢) رواه الحاكم وصححه الدارمي .

ومنها : أن تلاوة القرآن جلاءُ القلوب . رُوِيَ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن هذه القُلُوبَ تَضَدُّ كَمَا يَضْدُدُ
الْحَدِيدُ إِذَا أَصَابَهُ الْمَاءُ ، قيل : يا رسول الله ، وما جَلَّ وَهَا ؟ قال : كَثْرَةُ
ذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَتِلَاءُ الْقُرْآنِ »^(١) .

ومنها : مَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَقَدْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ . عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُحِبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَلَيَنْظُرْ ، فَإِنْ كَانَ
يُحِبُّ الْقُرْآنَ ، فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ »^(٢) .

ومنها : أن القرآن هو الذكر الحكيم . وَرُوِيَ عن عَلِيٍّ رضي الله تعالى
عنه قال : أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « أَمَّا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةً .
قَلَّتْ : فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى ، فِيهِ نَبَأٌ
مَا قَبْلَكُمْ وَخَبْرٌ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ . هُوَ الْفَضْلُ لَنَسَ بِالْهَمْزَلِ ،
مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ
تَعَالَى ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتَّيْنُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ ، وَهُوَ الصَّرَاطُ
الْمُسْتَقِيمُ ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ ، وَلَا يُشَعِّي
مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِيْهُ ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ
تَنْتَهِ الْجُنُونُ إِذَا سَمِعْتَهُ حَتَّى قَالُوا : إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَابًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ
فَأَمَّا بِهِ . مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدْلًا ،
وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدَى إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ »^(٣) .

ومنها : أن المواظبة على متابعة الختمات أحب الأعمال إلى الله تعالى : روى الترمذى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رَجُلٌ :

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » .

(٢) رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٣) رواه الترمذى والدارمى وفي السند مقال .

يا رسول الله ، أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ ، فقال : الحال المُرْتَجِل . قال : وما الحال المُرْتَجِل؟ قال : الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حَلَّ أَرْتَجَلَ ، أي كلما خَتَمَ خَتَمَةً ، شَعَّ في غيرها . ولذلك يُسْتَحْسَنُ إذا خَتَمَتْ خَتَمَةً أن تُسْتَبَعَها بالفاتحة وفاتحة سورة البقرة إلى قوله تعالى : **«وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»** [البقرة : ٥] .

ومنها : أن القرآن يُشَفِّعُ لقارئه . عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«إِفْرُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ»** ^(١) .

وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **«الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفِّعٌ ، وَمَا حَلَّ مُصَدِّقٌ مِنْ جَعْلِهِ أَمَامَهُ قَادِهُ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقِهُ إِلَى النَّارِ»** ^(٢) .

وَشَفَاعَةُ الْقُرْآنِ قَدْ تَكُونُ بِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ ، وَقَدْ تَكُونُ بِرْفَعِ الدَّرَجَاتِ وَالتَّحْلِيةِ بِالْكَمَالَاتِ .

فَالْأَوَّلُ : يَدْلُلُ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ التَّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدُ وَغَيْرِهِمَا عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **«إِنَّ سُورَةَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ، وَهِيَ **«تَبَرَّكَ الَّذِي بَيَّدَوْهُ الْمُلْكُ»** [الْمُلْكُ : ١] .**

وَالثَّانِي : يَدْلُلُ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ التَّرْمِذِيُّ وَحَسَنَةُ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ : **«يَجِيءُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ الْقُرْآنُ : يَا رَبَّ حَلْمِي ، فَبَلَّسْتُ تَاجَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ : يَا رَبَّ زِدْهَ ، فَبَلَّسْتُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ . ثُمَّ يَقُولُ : يَا رَبَّ أَرْضَ عَنْهُ ، فَبَيَّضَتْ عَنْهُ . فَيَقَالُ لَهُ : اقْرَا وَأَزْقَ وَيَزْدَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً»** .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « قال الصيام : رب إني منعْتُ الطعام والشراب بالنهار فشَفَعْنِي ، ويقول القرآن : رب إني منعْتُ النَّوْمَ بالليل فشَفَعْنِي فيه فَيُشَفَّعُانَ » ^(١) .

ومنها : أن قراءة القرآن تُطَيِّب رائحة القارئ .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ المؤمنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، مَثَلُ الْأَتْرَجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ . وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، مَثَلُ التَّمَرَّةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلُوٌّ . وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، مَثَلُ الرَّيْنَحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ . وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَنِسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمٌ مُرٌّ » ^(٢) .

والْأَتْرَجَةُ : ثمرة جامدة لطيف الطعم والرائحة وحسن اللون .

ومنها : فَضْلُ القراءة في الصلاة على غيرها . رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ قال : « قراءةُ القرآن في الصلاة ، أفضَلُ من قراءةُ القرآن في غيرِ الصلاة ، وقراءةُ القرآن في غيرِ الصلاة ، أفضَلُ من التسبيح والتکبیر ، والتسبيح أفضَلُ مِن الصدقة - أي النافلة - ، والصدقة أفضَلُ من الصوم - أي النفل - والصوم جُنَاحٌ » ^(٣) .

ومنها : مُضاعفةُ القراءة في المصحف على غيرها . رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال : « قراءةُ الرِّجْلِ في غيرِ المصحف ألفُ درجة ، وقراءةُ في المصحف تُضَعَّفُ على ذلك إلى ألفي درجة » ^(٤) .

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم .

(٣) رواه البهقي في « الشعب » على ضعف في إسناده .

(٤) رواه الطبراني والبيهقي على ضعف في سنته .

وروى ابن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا دخل البيت ، نَشَرَ المصحفَ فَقَرَأَ فِيهِ .

وروى الإمام أحمد في « الزهد » عن عثمان رضي الله عنه أنه قال : ما أحب أن يأتي علىَّ يَوْمٌ ولا لَيْلَةً إِلَّا أَنْظُرْتُ فِي كِتَابِ الله تَعَالَى - يعني القراءةَ فِي المصحفِ .

وروى ابن سعد أنه قيل لنافع : ما كان يَضْنِعُ ابنَ عَمِّهِ فِي مَنْزِلَهُ؟ فقال : لَا تُطِيقُونَهُ ، الْوُضُوءُ لِكُلِّ صَلَاةٍ ، وَالْمَسْحُوفُ فِيمَا بَيْنَهُمَا .

قال الإمام النووي : قراءةُ القرآن في المصحفِ أَفْضَلُ من القراءة عن ظهر قلب ، لأنَّ النظر في المصحفِ عِبَادَةٌ مَطْلُوبَةٌ ، فتَجْتَمِعُ القراءةُ والنَّظَرُ . هكذا قاله القاضي حسين من أصحابنا ، وأبو حامد الغزالى ، وجماعاتٌ من السلفِ .

ثُمَّ بَيْنَ الإمامِ النَّوْوِيِّ أَنَّهُ لَوْ قِيلَ بِالتَّفْصِيلِ ، لَكَانَ الْقَوْلُ حَسَنًا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَخْتَلِفُ بِالْخِتَالِفِ الْأَشْخَاصِ ، فَأَيْتَهُ القراءَتَيْنِ أَقْرَبُ إِلَى الْخُشُوعِ وَالْتَّدْبِيرِ ، فَهِيَ أَفْضَلُ . قَالَ : وَالظَّاهِرُ أَنَّ كَلَامَ السَّلْفِ وَفَعْلَهُمْ ، مَحْمُولٌ عَلَى هَذَا التَّفْصِيلِ .

وأخرج البيهقي بسنده حسین عن ابن مسعود أنه قال : أَدِينُوا النَّظَرَ فِي الْمَسْحُوفِ .

وَمِنْهَا : أَنَّ الْقَارِئَ يُقَدَّمُ عَلَى غَيْرِهِ شَرْعًا .

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « يَوْمُ الْقُومَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله تَعَالَى »⁽¹⁾ .

(1) رواه مسلم.

وروى البخاري وغيره أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان جَمِيعَ بَيْنِ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قُتْلَى أَحَدٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : « أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْذَا لِلْقُرْآنِ ؟ » . فَإِنْ أُشِيرَ إِلَى أَحَدِهِمَا ، قَدَّمَهُ فِي الْلَّهِدْ .

وَعَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عَمَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَشَارِرِهِ ، كَهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَانًا .

وَمِنْهَا : إِكْرَامُ أَهْلِ الْقُرْآنِ مِنْ تَعْظِيمِ شَعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمِنْ إِجْلَالِهِ تَعَالَى ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ » [الحج : ٣٢] . اسْتَدَلَ الْإِمَامُ النَّوْيِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى وُجُوبِ إِكْرَامِ أَهْلِ الْقُرْآنِ ، لِأَنَّهُم مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى ، كَمَا يَجُبُ تَعْظِيمُ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ هُمْ حَمْلُهُ دِينَ اللَّهِ تَعَالَى وَشَعَائِرِهِ ، وَلَا يَجُوزُ إِيذاؤُهُمْ .

وَقَدْ نَقَلَ الْإِمَامُ النَّوْيِيُّ عَنِ الْإِمَامِيْنِ الْكَبِيرَيْنِ أَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّهُمَا قَالَا : إِنْ لَمْ يَكُنْ الْعُلَمَاءُ أُولَيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى ، فَلِيَسْ اللَّهُ تَعَالَى وَلِيًّا .

كَمَا نَقَلَ أَيْضًا عَنِ الْحَافِظِ أَبْنِ عَسَكِرٍ أَنَّهُ قَالَ : أَعْلَمُ يَا أَخِي وَفَقَنَا اللَّهُ تَعَالَى وَإِيَّاكَ لِمَرْضَاتِهِ وَجَعَلَنَا مِنْ يَخْشَاهُ وَيَتَقِيهِ حَقَّ تُقَاتَهُ : أَنَّ لُحُومَ الْعُلَمَاءِ مَسْمُومَةٌ ، وَعَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذِهِ أَسْتَارِ مُنْتَقِصِيهِمْ مَعْلُومَةٌ ، وَأَنَّ مِنْ أَطْلَقِ لِسَانَهُ فِي الْعُلَمَاءِ بِالثَّلْبِ ، أَبْتَلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى قَبْلَ مَوْتِهِ بِمَوْتِ الْقَلْبِ « فَلَيَعْدَدْ أَلَّذِينَ يَحَالُونَ عَنْ أَشْرَفَهُ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةً أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » [النُّور : ٦٣] .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ تَعَالَى ، إِكْرَامَ ذِي الشَّيْءَيْنِ الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْعَاجِفِي عَنْهُ ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُفْسِطِ » ^(١) .

(١) رواه أبو داود.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : « أَمْرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُتَرَّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ »^(١) .

وَمِنْهَا : فَضْيَلَةُ اسْتَظْهَارِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْمِنَاتِ الإِلَهِيَّةِ الَّتِي خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا هَذِهِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ دُونَ سَائِرِ الْأُمَّمِ ، فَقَدْ جَعَلَ قُلُوبَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أُوْعِيَّةً لِكَلَامِهِ ، وَصُدُورَهَا مَصَاحِفَ لِحَفْظِ آيَاتِهِ لَا يَغْسِلُهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ تَيَارُ الْمَاءِ وَلَا يَمْحُوُهُ مِنْ صُدُورِهِمْ كَيْدُ الْأَعْدَاءِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « بَلْ هُوَ مَا يَتَّبِعُ مَا يَنْتَهِ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْعَلُهُ دِيَارَتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ » [العنكبوت : ٤٩] .

وَفِي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ » عَنْ عِيَاضِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهَلْتُمْ مَا عَلِمْنِي يَوْمِي هَذَا ؛ كُلُّ مَا لِي نَحْلَتْهُ - أَعْطَيْنِي - عَدْلًا حَلَالٌ . وَإِنِّي خَلَقْتُ عَبْدَيِّي حُنْفَاءَ كُلَّهُمْ - أَيْ عَلَى الْمَلَةِ الْحَنِيفَيَّةِ - وَإِنَّهُمْ أَتَهُمُ الشَّيَاطِينُ فَأَجْنَحَتُهُمْ عَنِ دِينِهِمْ وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَخْلَقْتُ لَهُمْ ، وَأَمْرَتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْنِي بِهِ سُلْطَانًا ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقْتَهُمْ عَرَبُهُمْ وَعَجَمُهُمْ ، إِلَّا بَقَيَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَالَ : إِنَّمَا بَعْثَتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ » الْحَدِيثُ .

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَسْتَظْهَرَهُ فَأَخْلَأَ حَلَالَهُ وَحَرَمَ حَرَامَهُ ، أَذْخَلَهُ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ وَشَفَعَهُ فِي عَشَرَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، كُلُّهُمْ قَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ النَّارُ »^(٢) .

وَرُوِيَ عَنْهُ ﷺ : « مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى حِفْظَ كِتَابِهِ فَظَنَّ أَنَّ أَحَدًا أَعْطَيَ

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه الترمذى .

أفضلَ ممَّا أُغْطِيَ ، فقدَ غَلَطَ » - وفي رواية - : « فقدَ صَغَرَ أَعْظَمَ النَّعْمَ »^(١) .

وفي « مسند الفردوس » عن عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ عَنْهُ مرفوعاً : « إِنَّ حَمَلَةَ الْقُرْآنَ فِي ظِلِّ اللهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، مَعَ أَنْبِيَاهُ وَأَصْفِيَاهُ » الحديث .

قال في « شرح المُنْبِيَةِ » : إِنَّ حِفْظَ مَا تَجُوزُ بِهِ الصَّلَاةَ فَرْضٌ عَيْنٌ عَلَى كُلِّ مُكْلَفٍ ، وَحِفْظُ فَاتِحةِ الْكِتَابِ وَسُورَةِ وَاجِبٍ ، وَحِفْظُ سَائرِ الْقُرْآنِ فَرْضٌ كَفَائِيَةٌ وَسُنْنَةٌ عَيْنٌ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ النَّفْلِ اهـ .

وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما أن يفرض لحفظ القرآن في البصرة ما يفي بحاجتهم .

ومنها : أَنَّ أَهْلَ الْقُرْآنِ مَنْ يَعْلَمُ أَوْ يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ هُمْ خَيْرُ النَّاسِ . عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَمَهُ » وفي رواية : « إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَمَهُ »^(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاقْرَأُوهُ فَإِنَّ مِثْلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقِرَأَهُ وَقَامَ بِهِ - أَيْ فِي اللَّيْلِ - كَمِثْلِ جَرَابِ مَخْشُوْرِ مِسْكَانِ يَقْرُؤُهُ رِيحُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ . وَمِثْلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَرَقَدَ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ ، كَمِثْلِ جَرَابِ أُوكَيَ عَلَى مِسْكَانِ - أَيْ مُلَىءَ مِسْكَانًا وَرُبِطَ عَلَيْهِ »^(٣) .

ومنها : أَنَّ مَنْ عَلِمَ وَلَدَهُ الْقُرْآنَ فَقَدْ حَازَ خَيْرًا عَظِيمًا لَا يُسَاوِيهِ خَيْرٌ ، وَنَالَ أَجْرًا كَرِيمًا لَا يُوازِيهُ أَجْرًا .

(١) رواه البهقي والبخاري في تاريخه .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه الترمذى وغيره .

عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أَدْبُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى ثَلَاثٍ خَصَالٍ : حُبُّ نِسَيْكُمْ ، وَحُبُّ أَهْلِ بَيْتِهِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، فَإِنْ حَمَلَهُ الْقُرْآنَ - حَفْظَتَهُ - فِي ظَلَّ اللَّهِ يَوْمَ لَا ظَلَّ مَعَ أَنْبِيَاهُ وَأَصْفِيَاهُ »^(١) .

وَرُوِيَّ عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مِنْ عَلَمَ أَبْنَاهُ الْقُرْآنَ نَظَرًا - أَيْ فِي الْمَصْحَفِ - غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنِبِهِ وَمَا تَأْخَرَ ، وَمَنْ عَلَمَهُ إِيَّاهُ ظَاهِرًا - أَيْ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ - بَعْثَةُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لِيَنْلَهَا الْبَذْرِ ، وَيَقَالُ لِأَبِيهِ : أَفْرَا ، فَكُلُّمَا قَرَا آيَةً رَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ الْأَبَّ بِهَا دَرَجَةً ، حَتَّى يَتَشَهَّيَ إِلَى آخِرِ مَا مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ »^(٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال : « مَا مِنْ رَجُلٍ يُعْلَمُ وَلَدَهُ الْقُرْآنَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا تُرْجَمَ أُبُوُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِتَاجٍ فِي الْجَنَّةِ ، يَعْرِفُهُ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِتَعْلِيمِ وَلِدِهِ الْقُرْآنَ فِي الدُّنْيَا »^(٣) .

عَنْ بَرِيْدَةَ رضي الله عنه قال : كُنْتُ جَالِسًا عَنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : « تَعْلَمُوا الْبَقَرَةَ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَزَكَّهَا حَسْرَةٌ وَلَا يَسْتَطِعُهَا الْبَطْلَةُ ، ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : تَعْلَمُوا الْبَقَرَةَ وَأَلَّا عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا الْزَّهْرَاءِيْنِ ، يُظْلَانُ صَاحِبَيْهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ فِرَقَانِ مِنْ طَيْرِ صَوَافَّ ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَشْقَى عَنْهُ قَبْرَهُ كَالْرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُنِي ؟ فَيَقُولُ : مَا أَغْرِفُكَ ، فَيَقُولُ : أَنَا صَاحِبُ الْقُرْآنِ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ وَأَشَهَّتُ لِيَنْلَكَ ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ - أَيْ يَبْتَغِي رِبْحَهَا - وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ

(١) رواه الديلمي وابن النجاشي على ضعف في سنته .

(٢) رواه الطبراني قال الهيثمي : وفيه من لم أعرفه .

(٣) رواه الطبراني على ضعف فيه .

تجارة أعظمَ رِبْحًا . فَيُغْطِي - أي صاحب القرآن - المُلْكَ بِيَمِينِهِ وَالْخُلْدَ بِشَمَالِهِ ، وَيُوَضِّعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ وَيُكْسِي وَالْدَاهِ حُلَّاتِينَ لَا تَقُومُ لَهُمَا - أي لا تُقْدِرُ بِهِمَا - الدُّنْيَا ، فيقولان : يَمَ كُسِّيْنَا هَذَا؟ فيقال : بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ - وفي رواية الطبراني - بِتَعْلِيمِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ ، ثُمَّ يُقال - أي للقاريء - : أَفَرَا وَأَصْعَدْتِ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغَرَفِهَا ، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ هَذَا كَانَ أَوْ تَزَيِّلَأَ^(١) .

وَمِنْهَا : نَزْوَلُ السَّكِينَةِ وَالْمَلَائِكَةِ لِقْرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، سِيمَا فِي الْلَّيلِ .

فَعَنْ أَسِنَدِ بْنِ حُضِيرٍ قَالَ : بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ الْلَّيلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَفَرَسُهُ مَرْبُوْطٌ عَنْهُ ، إِذْ جَاءَتِ الْفَرَسُ - أي اضطَرَبتْ - فَسَكَّتَ فَسَكَّنَتْ ، فَقَرَأَ فَجَاءَتْ ، فَسَكَّتَ فَسَكَّنَتِ الْفَرَسُ ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَاءَتِ الْفَرَسُ . وَكَانَ أَبُوهُ يَحْبِي قَرِيبًا مِنْهَا فَانْصَرَفَ فَأَخْرَهُ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مِثْلُ الْظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ . فَلَمَّا أَضْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « وَتَذَرِّي مَا ذَاكَ »؟ قَالَ : لَا . قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَّتِ لِصَوْتِكَ ، وَلَوْ قَرَأَتِ لَا صَبَحَتْ يَنْتَظِرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ - أي لَا تَخْتَفِي مِنْهُمْ -^(٢) .

وَمِنْهَا : أَنَّ الدُّعَاءَ يَسْتَجَابُ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ . فَقَدْ رَوَى الطَّبَرَانِي مَرْفُوعًا : « مِنْ خَتْمِ الْقُرْآنِ ، فَلَهُ دَغْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ » .

وَفِي « الشَّعْبِ » مِنْ حَدِيثِ أَنْسٍ مَرْفُوعًا : « مِنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَهَمَ الرَّبُّ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ، فَقَدْ طَلَّبَ الْخَيْرَ مَكَانَهُ » .

وَمِنْهَا : انتِصَارُ الْقُرْآنِ لِلْعَالَمِ بِهِ ، وَمُجَادَلَتِهِ عَنْهُ ، فَهُوَ لِهِ حُجَّةٌ .

(١) رواهُ أَحْمَدُ وَرَجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيفَ . وَرَوَى أَبْنُ مَاجِهَ طَرْفَأَ مِنْهُ . قَالَ الْهَيْشَمِيُّ .

(٢) رواهُ الْبَخَارِيُّ .

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهمَا عن النبي ﷺ قال : « يُؤْتَى بِرَجُلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُمَثَّلُ لَهُ الْقُرْآنُ ، قَدْ كَانَ يُضَيِّعُ فِرَائِصَهُ وَيَتَعَدَّى حُدُودَهُ ، وَيُخَالِفُ طَاعَتَهُ وَيَرْكِبُ مَعَاصِيهِ فَيَقُولُ : أَيُّ رَبٌ ، حَمَلْتَنِي أَيَّاتِي بِفَيْشَ حَامِلِي ، تَعَدَّى حُدُودِي وَضَيَّعَ فِرَائِصِي ، وَتَرَكَ طَاعَتِي وَرَكِبَ مَعْصِيَتِي ، فَمَا يَزَالَ يَقْذِفُ عَلَيْهِ بِالْحُجَّاجِ حَتَّى يُقَالُ : فَشَانِكَ بِهِ ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ فَمَا يُفَارِقُهُ حَتَّى يَكُبُّهُ عَلَى مَنْخَرِهِ - أَيْ عَلَى وَجْهِهِ - فِي النَّارِ . وَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ كَانَ يَحْفَظُ حُدُودَهُ - أَيْ حُدُودَ الْقُرْآنِ - وَيَعْمَلُ بِفِرَائِصِهِ وَيَعْمَلُ بِطَاعَتِهِ ، وَيَجْتَبُ مَعْصِيَتِهِ فَيَصِيرُ خَصْمًا دُونَهُ فَيَقُولُ : أَيُّ رَبٌ ، حَمَلْتَ أَيَّاتِي خَيْرَ حَامِلٍ ، أَتَقْنَى حُدُودِي وَعَمِلَ بِفِرَائِصِي وَاتَّبَعَ طَاعَتِي وَاجْتَبَ مَعْصِيَتِي ، فَلَا يَزَالُ يَقْذِفُ لَهُ بِالْحُجَّاجِ حَتَّى يُقَالَ لَهُ : فَشَانِكَ بِهِ ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ فَمَا يَزَالُ بِهِ حَتَّى يَنْكُسُوهُ حُلَةُ الْإِسْتَبْرَقِ ، وَيَضَعُ عَلَيْهِ تَاجُ الْمُلْكِ ، وَيَسْقِيَهُ بِكَأسِ الْمُلْكِ »^(١) .

وَعَنْ أَبِي مَالِكَ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الْطَّهُورُ شَطَرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلاً الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلَّانُ أَوْ تَمَلاً مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّيْرِ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُوُ ، فَبَاعِثُ نَفْسَهُ فَمُغْتَفِقُهَا ، أَوْ مُزِيقُهَا »^(٢) .

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثَلَاثَةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْقُرْآنُ لَهُ ظَهُورٌ وَبَطْنٌ يُحَاجِجُ الْعِبَادَ ، وَالْأَمَانَةُ ،

(١) قال في « مجمع الزوائد » رواه البزار وفيه ابن إسحاق وهو ثقة ولكنه مدلس وبقية رجاله ثقات أهـ ورواه ابن أبي شيبة وابن الصّيرين كما في [منتخب الكنز] .

(٢) رواه مسلم .

والرَّجِمُ تُنَادِي : أَلَا مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَمَنْ قَطَعَنِي
قَطَعَهُ اللَّهُ «^(١) .

فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ؛ وَقَفَ الْقُرْآنُ مَوْقِفَ الْاحْتِاجَاجِ ، فَإِمَّا أَنْ يَحْتَاجَ
لِلْعَبْدِ وَذَلِكَ إِذَا عَمِلَ بِهِ ، وَإِمَّا أَنْ يَحْتَاجَ عَلَى الْعَبْدِ وَذَلِكَ إِذَا خَالَفَ مَا جَاءَ
بِهِ الْقُرْآنُ .

قَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ : إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَائِنٌ لَكُمْ أَجْرًا ، وَكَائِنٌ
عَلَيْكُمْ وِزْرًا ، فَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ وَلَا يَتَبَعَنُكُمُ الْقُرْآنُ ، مَنْ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ - أَيِ
عَمِلَ بِهِ - هَبَطَ بِهِ عَلَى رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ اتَّبَعَهُ الْقُرْآنُ - بَأْنَ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ -
رُجَّ في قَفَاهُ فَقَدَّهُ فِي النَّارِ » .

* * *

(١) رواه البغوي في « شرح السنة » ورواه الحكيم الترمذى و محمد بن نصر .

شرف الذاكرين من هذه الأمة

ومن الشرف الذي أخره الله لهذه الأمة : ما أعده الله تعالى للذاكرين من الفضل والثواب بذكرهم ، وقد جمعت جملة صالحة من ذلك ، نذكرها إن شاء الله فيما يأتي :

الأول : أن العبد يستفيد بالذكر خصوصية لا أشرف منها عنده ولا أعز منها لديه ، وهي معينة الحق سبحانه وتعالى ، وذكرة له في الملا الأعلى ، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكره في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكره في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هزولة »^(١) .

وهو يستفيد هذا المقام بمجرد إقباله وأشتغاله بالذكر ، يقول الله تعالى : « أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفاته »^(٢) .
والذكر أحب الأعمال إلى الله تعالى ، قال معاذ بن جبل : إن آخر كلام فارقني عليه رسول الله ﷺ أن قلت : أشي الأعمال أحب إلى الله

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٢) رواه ابن ماجه وابن حبان .

قال : « أَن تَمُوتُ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ »^(١) .

وَالذِّكْرُ خَيْرٌ أَعْمَالِنَا وَأَزْكَاهَا عِنْدَ رَبِّنَا ، وَأَقْوَى الْأَسْبَابِ لِرَفْعِ درجاتِنَا ، وَخَيْرٌ مِّنْ قَتْالِ الْأَعْدَاءِ بِلَا إِخْلَاصٍ ، يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَا أَنْبَتُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيْكِكُمْ وَأَرْفَعُهَا فِي درجاتِكُمْ وَخَيْرٌ مِّنْ إِنْفَاقِ الْذَّهَبِ وَالْوَرْقِ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِّنْ أَنْ تُلْقُوا عَدُوَّكُمْ فَتُضْرِبُوْا أَعْنَاقَهُمْ وَيُضْرِبُوْا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا : بَلِي . قَالَ : ذِكْرُ اللَّهِ ، قَالَ مَعَاذُ بْنُ جَبَلَ : مَا شَيْءَ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ »^(٢) .

وَالذِّكْرُ يَصْقُلُ الْقُلُوبَ وَيَجْلُوْهَا وَيُنْجِي مِنْ عَذَابِ اللَّهِ . قَالَ ﷺ : « إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ صَقَالَةً ، وَإِنَّ صَقَالَةَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللَّهِ ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ . قَالُوا : وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ : وَلَا أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ »^(٣) .

وَقَالَ ﷺ : « مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، قِيلَ : وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ : وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِلَّا أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ »^(٤) .

وَالذِّاكِرُ هُوَ أَفْضَلُ الْعِبَادِ دَرْجَةً وَأَعْلَى رُتْبَةً ، فَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَيُّ الْعِبَادِ أَفْضَلُ دَرْجَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ : الْذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا ، قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَنْ الْغَازِيُّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ : لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ فِي الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَنْكُسِرَ

(١) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ له ، والبزار إلا أنه قال : « أَخْبَرَنِي بِأَفْضَلِ الْأَعْمَالِ وَأَقْرَبَهَا إِلَى اللَّهِ » ورواه أيضاً ابن حبان في « صحيحه » .

(٢) رواه أحمد بإسناد حسن وابن أبي الدنيا والترمذى وغيرهم .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي من رواية سعيد بن سنان واللفظ له .

(٤) رواه الطبراني في « الصَّفَرِ » و« الْأَوْسَطِ » ورجالهما رجال الصحيح .

وَيَخْتَصِبَ دَمًا ، لَكَانَ الْذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا أَفْضَلَ مِنْهُ دَرْجَةً » رواه الترمذى
وقال : حديث غريب ، ورواه البيهقى مختصراً قال : قبل :
« يا رسول الله ، أئِ النَّاسِ أَعْظَمُ دَرْجَةً؟ قال : الْذَّاكِرُونَ اللَّهَ » .

وَالذِّكْرُ يُهَذِّبُ الْأَخْلَاقَ وَيَرْفَقُ الْطَّبَاعَ ، فَيُرِبِطُ عَلَى قَلْبِ الْخَائِفِ حَتَّى
يُبَيِّنَهُ فِي مِيَادِينِ الْجَهَادِ ، وَيُصْلِحَ حَالَ الْعَاجِزِ عَنِ الْعِبَادَةِ حَتَّى يَنْشَطَ
لِذِكْرِ اللَّهِ ، وَيُصْلِحَ حَالَ الْبَخِيلِ ، فَيُصِيرُ كَرِيمًا مُحَمَّدًا بِبَرَكَةِ الذِّكْرِ .

قال ﷺ : « مَنْ عَجَزَ مِنْكُمْ عَنِ اللَّيلِ أَنْ يُكَابِدَهُ ، وَبَخِلَ بِالْمَالِ أَنْ
يُنْفَقَهُ ، وَجَبَّنَ عَنِ الْعَدُوِّ أَنْ يُجَاهِدَهُ ، فَلَيُكْثِرْ ذَكْرَ اللَّهِ » ^(١) .

وَذِكْرُ اللَّهِ وَقَايَةٌ مِنْ وَسَاوِسِ الْخَنَّاسِ ، وَحَصْنٌ مَتِينٌ مِنَ الْوَقْعَةِ فِي
الْمَعَاصِي ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ نَبِيَّنَا ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى
يَحْيَى بْنِ زَكْرِيَا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ وَيَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا
بِهِنَّ ، فَكَانَهُ أَبْطَأَ بِهِنَّ فَأَتَاهُ عِيسَى فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ أَمْرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ
تَعْمَلَ بِهِنَّ وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ ، فَإِمَّا أَنْ تُخْبِرُهُمْ وَإِمَّا أَنْ
أُخْبِرَهُمْ .

فَقَالَ : يَا أَخِي ، لَا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخَافُ إِنْ سَبَقْتَنِي بِهِنَّ أَنْ يُخْسِفَ بِي أَوْ
أُعَذَّبَ .

قَالَ : فَجَمِعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجَدُ وَقَعَدُوا
عَلَى الشُّرُفَاتِ ، ثُمَّ خَطَبُهُمْ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ
أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَمْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ ، أُولَاهُنَّ : لَا تَشْرِكُوا بِاللَّهِ
شَيْئًا ، فَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ ، كَمَثَلَ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ

(١) رواه الطبراني والبزار واللفظ له ، وفي سنته أبو يحيى القنات ويقيمه محتاج بهم في
الصحيح . ورواه البيهقى من طريقه أيضاً .

بذهبِ أو ورقِ ثم أسكنه داراً فقال : أعمل وازفع إلى ، فجعلَ يَعْمَلَ ويزفع إلى غير سيده ، فلما يرضي أن يكون عبداً كذلك ، فإن الله خلقكم ورزقكم فلا تُشرِكوا به شيئاً ، وإذا قُمْتُم إلى الصلاة فلا تلتقطوا فإن الله يُقبل بوجهه إلى وجه عبده ما لم يلتقط ، وأمركم بالصيام ، ومثل ذلك : كمثل رجلٍ في عصابة معه صرعة مسلك كلُّهم يُحبُّ أن يجد ريحها ، وإن الصيام أطيب عند الله من ريح المِسْنَك ، وأمركم بالصدقة ، ومثل ذلك : كمثل رجل أسرة العدُو فأُنْتَقُوا يَدَهُ إلى عُنْقِه وَقَرْبُوه ليضرِّبوا عُنْقَه ، فجعلَ يقول : هل لكم أن أُنْدِي نفسي مِنْكم . وجعل يعطي القليل والكثير حتى فدَى نفسه . وأمركم بذكر الله كثيراً ، ومثل ذلك : كمثل رجل طَلَبَه العدُو سِراغاً في أثره حتى أتى حضناً حصيناً فأخْرَزَ نفسه فيه ، وكذلك العبد لا ينجو من الشَّيْطَان إِلَّا بذكر الله ^(١) الحديث .

وقال عليه السلام : « إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعُ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ حَسْنَ ، وَإِنْ نَسِيَ التَّقْمِيلَ قَلْبَهُ » ^(٢) .

والذَاكِرُ سَابِقٌ لغيره ، يأتي يوم القيمة مُعززاً مُبَجِلاً . قال رسول الله عليه السلام : « سبق المُفَرِّدون . قالوا : وما المُفَرِّدون يا رسول الله؟ قال : الذاكرون الله كثيراً » ^(٣) .

وروى الترمذى ولفظه : يا رسول الله ، وما المُفَرِّدون قال : « الْمُسْتَهْتَرُون بِذِكْرِ اللَّهِ ، يَضْعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَتْقَالَهُمْ ، فَيَأْتُونَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَاً فَأَخْفَا » .

وَذِكْرُ اللَّهِ أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي تَجْلِبُ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَتَعْطِي

(١) رواه الترمذى والنسائى والحاكم وقال : صحيح على شرط البخارى ومسلم ، قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبيهقى .

(٣) رواه مسلم .

الذَّاكِرُ الثُّقَّةُ التَّامَةُ ، وَتُحَلِّيهُ بِالْاسْتِقَامَةِ وَحُبُّ الْخَيْرِ وَالسَّدَادِ فِي عَمَلِهِ ،
وَالصَّوَابُ فِي تَفْكِيرِهِ .

عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « أَرْبَعٌ مِنْ أَعْطِيهِمْ
فَقَدْ أُعْطِيَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ : قَلْبًا شَاكِرًا ، وَلِسَانًا ذَاكِرًا ، وَبَدْنًا عَلَى
الْبَلَاءِ صَابِرًا ، وَزَوْجَةً لَا تَبْغِي حَوْبًا فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ »^(١) .

وَذِكْرُ اللَّهِ يُوَصِّلُ إِلَى الدَّرَجَاتِ السَّامِيَّةِ فِي الْجَنَّةِ ، وَيَرْفَعُ الذَّاكِرَ إِلَى
أَعْلَى عَلَيْنِ ، وَهُوَ فِي الْفُرُشِ الْمُمَهَّدَةِ .

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :
« لَيَذْكُرَنَّ اللَّهُ أَقْوَامٌ فِي الدُّنْيَا عَلَى الْفُرُشِ الْمُمَهَّدَةِ ، يُدْخِلُهُمُ الْدَّرَجَاتِ
الْعُلَى »^(٢) .

وَذِكْرُ اللَّهِ يُنْبِرُ الْقَلْبَ وَيُحَيِّيهُ وَيُزِيلُ رَانَهُ ، وَيَهْدِيهُ إِلَى الْحَقِّ وَيَجْعَلُ
الذَّاكِرَ حَيًّا ، وَغَيْرُ الذَّاكِرِ قَلْبُهُ خَرَبٌ وَمُظْلَمٌ وَهُوَ مَيْتٌ .

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَثَلُ الذِّي يَذْكُرُ
رَبَّهُ وَالذِّي لَا يَذْكُرُ اللَّهَ ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيْتِ »^(٣) .

وَالذَّاكِرُونَ يَتَبَاهَنُونَ بِهِمْ أَمَامَ السَّفَرَةِ الْبَرَّةِ ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِهِمْ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ
مَلَائِكَةً يَطْوِفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا
يَذْكُرُونَ اللَّهَ ، تَنَادَوْا : هَلْمُوا إِلَى حَاجَتِكُمْ ، فَيَحْفَوْنَهُمْ بِأَجْنَحَتِهِمْ إِلَى
السَّمَاءِ الدُّنْيَا . قَالَ : فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ : مَا يَقُولُ عَبَادِي؟
قَالَ : يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ وَيَكْبُرُونَكَ وَيَحْمُدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ ، قَالَ :

(١) رواه الطبراني بإسناد جيد .

(٢) رواه ابن حبان في « صحيحه » من طريق دزاج عن أبي الهيثم .

(٣) رواه البخاري ومسلم إلا أنه قال : « مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ » .

فيقول : هل رأَوْنِي ؟ قال : فيقولون : لا والله يا رب ، ما رأَوْك قال : فيقول : كيف لورأَوْنِي ؟ قال : يقولون : لورأَوْك كانوا أشدَّ لك عبادةً وأشدَّ لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبِّيحاً قال : فيقول : فما يسأَلونِي ؟ قال : يقولون : يسأَلونَك الجنةَ قال : فيقول : وهل رأَوها ؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأَوها قال : فيقول : فكيف لورأَوها ؟ قال : يقولون : لا أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصاً ، وأشدَّ لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة قال : فمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قال : يَتَعَوَّذُونَ من النار قال : فيقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها ، قال : فيقول : فكيف لورأوها ؟ قال : يقولون : لورأوها كانوا أشدَّ منها فراراً ، وأشدَّ لها مخافة قال فيقول : أشهدكم أني قد غَفَرْتُ لهم . قال : يقول ملَكُ من الملائكة : فيهم فلانٌ ليس منهم ، إنما جاء لحاجةٍ قال : هُمِ القوم لا يُشْقِي بهم جَلِيسِهِم «^(١)» .

وروى مسلم بلفظ قال : «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةَ سَيَارَةٍ فُضْلًا يَتَغَوَّنُ مَجَالِسَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ ، قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحْفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنَحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلُؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِذَا نَفَرَّقُوا ، عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ قال : فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ، مَنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ : جَئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكْبِرُونَكَ وَيَهْلِكُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ قال : فَمَا يَسْأَلُونِي ؟ قالوا : يسأَلونَكَ جِئْتَكَ . قال : وهل رأَوا جِئْتِي ؟ قالوا : لا يا رب . قال : وكيف لورأَوا جِئْتِي ؟ قالوا : ويَسْتَجِيرُونَكَ ، قال وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونِي ؟ قالوا : مِنْ نَارِكَ يا رب . قال : وهل رأَوا نَارِي ؟ قالوا : لا يا رب . قال : فكيف لورأَوا نَارِي ؟ قالوا : ويَسْتَغْفِرُونَكَ . قال :

(١) رواه البخاري.

فيقول : قد غَفَرْتُ لَهُمْ وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا ، وَأَجْرَتُهُمْ مَا اسْتَجَارُوا ،
قال يَقُولُونَ : رَبُّهُمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ ، إِنَّمَا مَرَّ فِلْسَهُمْ ، قَالَ :
فَيَقُولُ : وَلَهُ غَفَرْتُ ، هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيلُهُمْ » .

وَالَّذِي كَرِهُونَ يَسْعَدُ الْعَاصِي بِصَحْبَتِهِمْ ، وَيَنْعَمُ الشَّقِيقُ بِمَحْبَبِهِمْ ،
وَيَتَجَلَّ اللَّهُ عَلَى الْفَاجِرِ الَّذِي يَوْدُهُمْ وَيَحْضُرُ مَجَالِسَهُمْ ، وَلَوْ سُأْلَ شَيْئاً
مِنْ عَرْضِ الدُّنْيَا يُعْطَاهُ ، لَمَّا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى :
« هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيلُهُمْ » .

وَالَّذِي كَرِهُونَ يَضْمِنُونَ الْغُفْرَانَ ، وَيَعْتَقِدُونَ بِرِضَا اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا ، وَلَا
يَنْصَرِفُونَ عَنِ الْذِكْرِ إِلَّا إِذَا امْتَلَأَتْ صَحَافَتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وَيَتَجَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
بِإِنْعَامِهِ ، لَمَّا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِمَلَائِكَتِهِ :
« أَشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ » .

وَالَّذِي كَرِهُونَ فِي درَجَاتِ سَامِيَّةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ ، يَوْدُ
النَّبِيُّونَ وَالْمُجَاهِدُونَ أَنْ يُدْرِكُوهُمْ مَبْالِغَةً فِي إِرْضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ ،
تَتَلَالُّ وُجُوهُهُمْ نُوراً وَنُفُوسُهُمْ بَشْرًا وَسُرُورًا .

عَنْ عُمَرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
« عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ - وَكَلَّا يَدِيهِ يَمِينَ - رَجُالٌ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءٍ وَلَا شُهَدَاءَ ،
يَغْشَى بِيَاضِ وُجُوهِهِمْ نَظَرُ النَّاظِرِينَ ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشَّهَدَاءُ بِمَقْعَدِهِمْ
وَقُرْبَهُمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ : هُمْ جُمَاعٌ
مِنْ نَوَازِعِ الْقَبَائِلِ يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، فَيَتَنَقَّلُونَ أَطَايِبَ الْكَلَامِ كَمَا
يَنْتَقِي آكِلُ التَّمْرِ أَطَايِبَهُ » ^(١) .

وَعَنْ أَبِي الْدَرَدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ أَقْوَامًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي وُجُوهِهِمْ النُّورُ عَلَى مَنَابِرِ الْتَّلْوِيْنَ ،

(١) رواه الطبراني وإسناده مقارب لا بأس به .

يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء قال : فجثا أعرابيٌ على ركبتيه فقال : يا رسول الله ، حِلَّهُمْ لَنَا تَغْرِفُهُمْ . قال : هم المتابّلُون في الله ، من قَبَائِلَ شَتَّى وَبِلَادِ شَتَّى ، يجتمعون على ذكر الله يذكرونَه ^(١) .

وَالَّذِي كَرُونَ تحيط بهم الملائكة وتعمّهم الرحمة ، ويعلّوهم الوارق والرضوان ، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا يقعدُ قومٌ يذكرون الله ، إِلَّا حَقَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشَّيْتُهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَنَزَّلْتُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ ، وَذَكَرْهُمُ اللَّهُ فَيَمْنَعُنَّهُمُ الْمُنْعَنَّةَ » ^(٢) .

وَالَّذِي كَرُونَ تُشارِكُهُمُ الْمَلَائِكَةُ فِي عِبَادَتِهِمْ ، فَيَجْلِسُونَ مَعَهُمْ وَيَفْعَلُونَ كَمَا يَفْعَلُونَ ، وَيَقُولُونَ كَمَا يَقُولُونَ ، ثُمَّ يَصْعُدُونَ بِعَمَلِهِمْ ، كَمَا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا مَرَّ بَعْدَ اللَّهِ بْنِ رَوْاهَةَ وَهُوَ يُذَكَّرُ أَصْحَابَهُ : « أَمَّا إِنْكُمُ الْمَلَأُ الَّذِينَ أَمْرَنِي اللَّهُ أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَكُمْ . ثُمَّ تَلَاهُ هَذِهِ الْأَيَّةُ : « وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفَدْوَةِ وَالْعَشَّيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَقْدِمْ عَيْنَاهُمْ تُرِيدُ زَيْنَةَ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَلَا تُطِعِ مَنْ أَغْفَلَنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَأَتَّبَعَهُو نَهَيَهُ وَكَاتَ أَمْرَهُ فَرْطَا » [الكهف : ٢٨] ، أَمَّا إِنَّهُ مَا جَلَسَ عُدُّتُكُمْ إِلَّا جَلَسَ مَعَهُمْ عُدُّتُهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، إِنْ سَبَحُوا اللَّهُ تَعَالَى سَبَحُوهُ ، إِنْ حَمَدُوا اللَّهَ حَمَدُوهُ ، إِنْ كَبَرُوا اللَّهَ كَبَرُوهُ ، ثُمَّ يَصْعُدُونَ إِلَى الرَّبِّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّنَا : عَبْدُكَ سَبَحُوكَ فَسَبَخْنَا وَكَبَرُوكَ فَكَبَرْنَا ، وَحَمَدُوكَ فَحَمَدْنَا فَيَقُولُ رَبِّنَا جَلَّ وَعْلا : يَا مَلَائِكَتِي أُشَهِّدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَيَقُولُونَ : فِيهِمْ فُلَانٌ وَفُلَانُ الْخَطَّاءِ ، فَيَقُولُ : هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ ^(٣) .

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن .

(٢) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه .

(٣) رواه الطبراني في « الصغير » .

والذَّاكِرُونَ مَجَالِسُهُمْ هِيَ رِيَاضُ الْجَنَّةِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ سَرَّا يَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ تَحِلُّ وَتَقْفَ عَلَى مَجَالِسِ الذِّكْرِ فِي الْأَرْضِ ، فَارْتَعَوْا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ . قَالُوا : وَأَيْنَ رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : مَجَالِسُ الذِّكْرِ ، فَاغْدُوَا أَوْ رُوْحُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ ، وَذَكْرُهُ أَنْفُسُكُمْ ، مَنْ كَانَ يَحْبُّ أَنْ يَعْلَمْ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ ، فَلَيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْ حَيْثُ مَنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ » ^(١) .

وَمِنَ الْشَّرْفِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لِلذَّاكِرِينَ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ . قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : سَيَعْلَمُ أَهْلُ الْجَمْعِ مَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ ، فَقَلِيلٌ : وَمَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَهْلُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ » ^(٢) .

وَمِنَ الْشَّرْفِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لِلذَّاكِرِينَ : أَنَّهُ لَا تَدْخُلُ قُلُوبَهُمُ الْحَسْرَةُ وَلَا الْأَسْنَى عَلَى أُوقَاتِهِمُ الَّتِي مَلَوْهَا بِالذِّكْرِ . لِمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : « لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوْا اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا » ^(٣) .

وَمِنَ الْشَّرْفِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لِلذَّاكِرِينَ : أَنَّهُمْ أَهْلُ الشَّكْرِ . لِمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ إِذَا ذَكَرْتَنِي شَكَرْتَنِي ، وَإِذَا نَسِيْتَنِي كَفَرْتَنِي » ^(٤) .

(١) رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح الإسناد .

(٢) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان في « صحيحه » والبيهقي وغيرهم .

(٣) رواه الطبراني عن شيخه محمد بن إبراهيم الصوري . ورواه البيهقي بأسانيد أحدهما جيد .

(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » .

ومن الشرف الذي جعله الله للذاكرين : أنهم هم المجاهدون ، وأنهم هم الصالحون . لما جاء في الحديث أنَّ رجلاً سأَلَ النبي ﷺ فقال : « أيُّ المجاهدين أَعْظَمُ أَجْرًا؟ » قال : أَكْثَرُهُمْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَكْرُهُ . قال : فَإِنَّ الصَّالِحِينَ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ » قال : أَكْثَرُهُمْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَكْرُهُ » ، ثُمَّ ذَكَرَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالحِجَّةَ وَالصَّدَقَةَ ، كُلُّ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « أَكْثَرُهُمْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَكْرُهُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ : يَا أَبَا حَفْصٍ ، ذَهَبَ الْذَاكِرُونَ بِكُلِّ خَيْرٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَجَلٌ »^(١) .

ومن الشرف الذي جعله الله للذاكرين : أنهم هم الملهمون . لما جاء في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال : « مَا مِنْ يَوْمٍ وَلِيَلَةٍ إِلَّا وَلَهُ عَزُّ وَجَلُ فِيهِ صَدَقَةٌ يَمْنَأُ بِهَا عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عَبَادِهِ ، وَمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ بِأَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُلْهِمَهُ ذِكْرَهُ »^(٢) .

ومن فضائل الذاكرين المشتغلين بالذكر بلا انقطاع ، ما جاء في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال : مَرَرْتُ لِيَلَةً أَسْرِي بِي بِرَجْلٍ مُغَيَّبٍ فِي نُورِ الْعَرْشِ . قُلْتُ : مَنْ هَذَا ، أَهْذَا مَلَكٌ؟ قَيْلَ : لَا . قُلْتُ : نَبِيٌّ؟ قَيْلَ : لَا . قُلْتُ : مَنْ هُوَ؟ قَالَ : هَذَا رَجُلٌ كَانَ فِي الدُّنْيَا لِسَانُهُ رَطِبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَقَلْبُهُ مَعْلَقٌ بِالْمَسَاجِدِ ، وَلَمْ يَسْتَسِبِّ لِوَالَّدِيهِ »^(٣) .

ومن شرف هذه الأمة المحمدية : ما جعله الله لها من الفضل والثواب الدُّنْيوي والآخروي لمن يأتي بالأذكار والأدعية النبوية .

فمن ذلك : أنَّ من قال حين يُصْبِحُ أو يُمْسِي :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَخْتُ أَشْهِدُكَ وَأَشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ

(١) رواه أحمد والطبراني .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلاً .

خليقك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأنَّ سيدنا محمدًا عبدك ورسولك ، أعتق الله ربُّعه من النار ، ومن قالها مرتين ، أعتق الله نصفه من النار ، ومن قالها ثلاثة ، أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار ، ومن قالها أربعاً ، أعتقه الله من النار »^(١) .

وفي رواية : « من قالها أربعاً عَذْوَةً وأربعاً عَشِيَّةً ثم مات ، دخل الجنة »^(٢) .

ومن ذلك : أنَّ من قال ثلاثة حين يُمسى : « أَمْسَيْنَا وَأَمْسَيْتُ الْمُلْكَ لِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلُّهُ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ الَّذِي يُفْسِدُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَّا وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكِهِ ، حُفِظَ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَكَاهِنٍ وَسَاحِرٍ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَإِذَا قَالَهَا حَينَ يُصْبِحُ حُفِظَ كَذَلِكَ حَتَّى يُمسَى »^(٣) .

ومن ذلك : أنَّ فاتحة الكتاب وأية الكرسي والآياتين من آل عمران « شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكُوكَهُ وَأَوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَكِيمُ إِنَّ الَّذِينَ يَنْدَدُونَ إِلَيْهِ الْأَيْسَنَمُ » [آل عمران : ١٩-٢١] و « قُلِّ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّلُ مَنْ تَشَاءُ يُبَدِّكُ الْغَيْرَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَهُنَّ بِكَرِيمٌ تُولِّي لِلْأَيْلَلِ فِي الْأَنْهَارِ وَتُولِّي لِلْأَنْهَارِ فِي الْأَيْلَلِ وَتُخْرِجُ الْأَعْيَ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْأَعْيَ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حُسْنِي » [آل عمران : ٢٦-٢٧] .

هُنَّ مَعْلَقَاتٌ بِالْعَرْشِ مَا بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابُ ، قُلْنَ : يَا رَبُّ تُهْبِطُنَا إِلَى أَرْضِكَ وَإِلَى مَنْ يَغْصِبُكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِنِّي حَلَّتُ لَا يَقْرَؤُكُنَّ أَحَدٌ

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواها ابن عساكر .

(٣) أخرجه ابن السنى .

من عبادي دُبِرَ كُلُّ صلاةٍ إِلَّا جعلتُ الجنةَ مَأْوَاهُ على ما كان منه ، وإِلَّا
أنسَكتُه حظِيرَةَ الْقُدْسِ ، وإِلَّا نظرتُ إِلَيْهِ بعئْنِي المَخْتُونَةَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ
نَظَرَةً ، وإِلَّا قضيَتُ لَهْ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ حَاجَةً أَدَنَاهَا الْمَغْفِرَةُ ، وإِلَّا أَعْذَتُه
مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ وَنَصْرَتُهُ عَلَيْهِ ^(١) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّهُ مَنْ عَبَدَ يَقُولُ فِي صَبَاحٍ كُلُّ يَوْمٍ ، وَمَسَاءً كُلُّ لَيْلَةٍ :
«بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ أَسْنِمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ وَهُوَ
الْسَّمِينُ الْعَلِيُّمُ» ثَلَاثَ مَرَاتٍ ، إِلَّا لَمْ يَضُرِّهِ شَيْءٌ وَلَمْ تُصْبِهِ فَجَاءُهُ بِلَاءً ^(٢) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ، وَحِينَ يُمْسِي : «أَعُوذُ
بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» لَمْ يَضُرِّهِ شَيْءٌ ^(٣) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَآيَةَ الْكَرْسِيِّ ، لَا يَقْرُؤُهُمَا عَبْدٌ فِي
دَارٍ ، فَتُصْبِيَهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَيْنُ إِنْسِيٍّ أَوْ جَنِّ ^(٤) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ، وَحِينَ يُمْسِي ثَلَاثَ مَرَاتٍ ،
رَضِيَتْ بِاللَّهِ رَبِّنَا وَبِالْإِسْلَامِ دِيَنَا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولًا ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ
يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٥) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ حَسَنَيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، أَمَانُ كُلِّ خَائِفٍ ^(٦) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَاتِ الْعَشْرَ أَوْلَ النَّهَارَ ، لَمْ يَقْرِبْهُ شَيْطَانٌ

(١) أَخْرَجَهُ أَبْنُ السَّنْدِيِّ .

(٢) أَخْرَجَهُ أَبْنُ دَاؤِدَ وَغَيْرِهِ .

(٣) رِوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ . وَرِوَاهُ التَّرمِذِيُّ وَقَالَ : «ثَلَاثَةٌ» وَقَالَ : «مَنْ قَالَهُ وَكُلَّهُ بِسَبْعِينَ
أَلْفِ مَلَكٍ يَصْلُوْنَ عَلَيْهِ فَإِنْ ماتَ ماتَ شَهِيدًا» .

(٤) رِوَاهُ الدِّيلِمِيِّ وَغَيْرِهِ .

(٥) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ هَكُذا جَمِيعُ بَيْنِهِمَا الْحَافِظُ السِّيُوطِيُّ فِي «الْكَلْمُ الْطَّيِّبُ»
وَرِوَايَةُ أَبِي دَاؤِدَ رَسُولًا فَقْطَ .

(٦) أَخْرَجَهُ أَبْنُ نَعِيمَ .

حتى يُensiء ، وإن قرأها حين يُensiء لم يُقْرِنْهُ شيطانٌ حتى يُضِّبِّح ، ولا يرى شيئاً يُنكرُهُ في أهله وما لِه ، وإن قرأها على مجنونٍ أفاقَ وَهُنَّ : أول سورة البقرة إلى المفلحون ، وأية الكرسي ، والآياتان بعدها ، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة^(١) .

ومن ذلك : « أَنَّ مَنْ قَرَأَ فِي لَيْلَةٍ هَذِهِ الْآيَاتِ الْثَلَاثَ وَالثَلَاثَيْنَ لَمْ يَضُرُّهُ فِي تَلْكَ الْلَيْلَةِ سَبْعُ ضَارِّ ، وَلَا لَصُّ طَارِّ ، وَعُزُوفِيَّ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَا لِهِ حَتَّى يُضِّبِّحُ »^(٢) . وَهُنَّ : أول سورة البقرة إلى المفلحون ، وأية الكرسي ، وأية آياتان بعدها ، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة .

و : « إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُقْسِمُ لَيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ » [الأعراف : ٥٤] إلى « إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » [الأعراف : ٥٦] .

و « قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ » [الإسراء : ١١٠] إلى آخر سورة الإسراء ، و « وَالصَّافَاتِ صَافَا ① فَالْتَّبِعَرَتْ تَبَرَا » [الصافات : ٢-١] إلى « إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَأَرِبَّ » [الصافات : ١١] .

و « يَنْمَسِرُ الْمِنْ وَالْإِلَيْنِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفَذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَنْفَذُوا » [الرحمن : ٣٣] إلى « يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَافِلٌ مِنْ نَارٍ وَخَمَّاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ » [الرحمن : ٣٥] .

و « لَوْ أَنَزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ » [الحشر : ٢١] إلى آخر سورة الحشر . و « وَإِنَّهُ تَعْلَمُ جَدُّ رَبِّنَا مَا أَخْذَ صَرْبَجَةً وَلَا وَلَدًا ② وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِينَاهُ عَلَى اللَّهِ شَطَطَأً » [الجن : ٤٢] .

(١) رواه البيهقي .

(٢) أخرجه ابن النجار .

وَرَبَّنَا لَا تُغْرِيَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا وَهَبْتَ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿١﴾

آل عمران : ٨ .

ومن ذلك : أنَّ من قال : « لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَقْرَئُ رُبُّنَا وَيَفْنِي كُلِّ شَيْءٍ ، عُوفِيَّ مِنَ الْهَمَّ وَالْحَزْنِ »^(١) .

ومن ذلك : « أَنَّ من قال : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَابْنُ أُمِّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرِيمَ وَرُوحُهُ مِنْهُ ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ ، أَذْخِلْنِي اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الشَّمَانِيَّةِ أَيُّهَا شَاءَ »^(٢) .

ومن ذلك : أَنَّ من قال : « سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، ثَلَاثَ مَرَاتٍ فِي مَجْلِسِ ذِكْرِكَ ، كَانَ كَالْطَّابِعِ يُطْبِعُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ قَالَهُ فِي مَجْلِسٍ لِغُوِّ ، كَانَتْ كَفَارَةً لَهُ »^(٣) .

ومن ذلك : أَنَّ من قال حين يُصْبِحُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يَحْيِي وَيَمْتِي وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمْوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، عَشْرَ مَرَاتٍ ، كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ قَالَهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سَيِّئَاتٍ ، وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ درَجَاتٍ ، وَكُنَّ لَهُ كِعْتَقِ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَكُنَّ لَهُ مَسْلَحَةً مِنْ أُولِي النَّهَارِ إِلَى آخِرِهِ ، وَلَمْ يَعْمَلْ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ .

(٢) أَخْرَجَهُ الشِّيْخَانُ .

(٣) أَخْرَجَهُ النَّسَانِيُّ وَغَيْرُهُ .

يُوْمَئِذٍ عَمَلًا يُقَاتِلُهُنَّ ، فَإِنْ قَالُوهَا حِينَ يُمْسِي فَكَذَلِكَ «^(١) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ مَنْ قَالَ : « اللَّهُمَّ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ إِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَنِّي أَشَهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَكُلُّنِي إِلَى نَفْسِي تُقْرِبُنِي مِنَ الشَّرِّ وَتَبْعَدُنِي مِنَ الْخَيْرِ ، وَإِنِّي لَا أُتَقْرِبُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ فَاجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْدًا تُوْفِّنِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَلَائِكَتِهِ : إِنَّ عَبْدِي عَبْدٌ عَنْدِي عَهْدًا فَأُؤْفُوهُ إِيَاهُ ، فَيُدْخِلُهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ »^(٢) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكَرْسِيِّ وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقْرَةِ عِنْدَ الْكَرْبَلَةِ ، أَغَاثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٣) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ مَنْ قَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِهِ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حُوْلَّ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فِي يَوْمٍ أَوْ فِي لَيْلَةٍ أَوْ فِي شَهْرٍ شَهْرٌ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَوْ فِي تَلْكَ الْلَّيْلَةِ أَوْ فِي ذَلِكَ الشَّهْرِ ، عُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ »^(٤) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ مَنْ قَرَأَ حَمْ (١) تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرَ الدَّسْبِ وَقَابِلَ التَّوْبَ شَدِيدَ الْعِقَابِ ذِي الْأَطْوَلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ » غَافِرٌ : ٣٣ . ، وَآيَةَ الْكَرْسِيِّ حِينَ يُضْبِحُ ، حُفِظَ بِهِمَا حَتَّى يُمْسِي ، وَمِنْ قَرَأَهُمَا حِينَ يُمْسِي حُفِظَ بِهِمَا حَتَّى يُضْبِحَ^(٥) .

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِرْ جَالِ الصَّحِيفَ .

(٣) أَخْرَجَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الصَّنْعَانِ .

(٤) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ .

(٥) أَخْرَجَهُ التَّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ .

ومن ذلك : أَنَّ مِنْ عَلَيْهِ دَيْنٌ وَلَوْ كَانَ مِثْلَ أَحَدٍ ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ فَارْجِعْ
اللَّهُمَّ كَاشِفَ الْغُمَّ مُجِيبَ دُعَوَةِ الْمُضْطَرِّينَ ، رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَرَحِيمَهُمَا ، أَنْتَ تَرْحَمُنِي فَازْهَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِنِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ
سَاكَ ، لِقَضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »^(١) .

ومن ذلك : أَنَّ كَلْمَاتِ مِنْ قَالَهُنَّ أَوْلَ نَهَارَهُ لَمْ تُصِبْهُ مُصِيبَةٌ حَتَّى
يُمْسِيَ ، وَمِنْ قَالَهُنَّ آخِرَ النَّهَارَ لَمْ تُصِبْهُ مُصِيبَةٌ حَتَّى يُصْبِحَ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ
رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَلَيْكَ تَوَكِّلُ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، مَا شَاءَ اللَّهُ
كَانَ وَمَا لَمْ يَشأْ لَمْ يَكُنْ ، لَا حُوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، أَعْلَمُ
أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِمًا »^(٢) .

ومن ذلك : أَنَّ مِنْ قَرَا : « شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكُوكُهُ وَأَوْلَى
الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَهِيرُ الْحَكِيمُ ^{١٩} إِنَّ الَّذِينَ عَنْدَ اللَّهِ
الْأَسْلَمُ » [آل عمران : ١٩١٨] وَأَنَا أَشْهُدُ بِمَا شَهَدَ اللَّهُ بِهِ وَأَسْتَوْدِعُ اللَّهَ هَذِهِ
الشَّهَادَةَ ، وَهِيَ لِي عِنْدِهِ وَدِيْعَةٌ ، جِيءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقِيلَ : عَنْدِي هَذَا
عِهْدٌ إِلَيَّ عِهْدًا وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ أَوْفَى بِالْعِهْدِ ، أَذْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ »^(٣) .

ومن ذلك : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَلَا أَعْلَمُكَ كَلْمَاتٍ
إِذَا قُلْتَهُنَّ غُفِرَتْ ذُنُوبُكَ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبِيدَ الْبَحْرِ أَوْ مِثْلَ عَدْدِ الدَّرْرِ مَعَ أَنَّهُ
مَغْفُورٌ لَكَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيمُ الْعَظِيمُ ،
سَبَّحَنَ اللَّهَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ »^(٤) .

(١) رواه الحاكم وغيره .

(٢) أخرجه ابن السنى .

(٣) رواه أبو الشيخ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد .

ومن ذلك : أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لابن عباس رضي الله عنهمَا : « إِذَا أَتَيْتَ سُلْطَانَا مَهِينًا تَخَافُ أَنْ يَسْطُوْ بِكَ فَقُلْ : إِنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ إِنَّ اللَّهَ أَعَزُّ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعًا ، إِنَّ اللَّهَ أَعَزُّ مَا أَخَافُ وَأَحَذَرُ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ مَنْ شَرَّ عَبْدِهِ فَلَانَ (وَيُسَمَّى مَنْ يَخَافُ شَرَّهُ) وَجَنُودُهُ وَأَتَابَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَ ، اللَّهُمَّ كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّهِمْ ، جَلَّ ثَنَاؤُكَ وَعَزَّ جَارُكَ وَتَبَارَكَ أَسْمُكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ »^(١) .

ومن ذلك : أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : أَلَا أَعْلَمُكَ دُعَاءً تَدْعُ بِهِ ، فَلَوْ كَانَ عَلَيْكَ أَمْثَالُ الْجَبَالِ مِنَ الدِّينِ قَضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى . قَالَ مَعَاذٌ : قَلْتُ : بَلِيْ . قَالَ : ﴿ قُلْ اللَّهُمَّ مَلِكَ الْمَلَكَوْنَ تُؤْتِيَ الْمَلَكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْعِيَ الْمَلَكَ مَمَنْ تَشَاءُ وَتُعِزِّزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ تُولِّيَ الْأَيْلَلِ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِّيَ الْنَّهَارَ فِي الْأَيَّلَلِ وَتُغْرِيَ الْعَيْنَ مِنَ الْمَيْتِ وَتُغْرِيَ الْمَيْتَ مِنَ الْعَيْنِ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حَسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٢٦-٢٧] رَحْمَنَ الدِّينَ وَالْآخِرَةَ وَرَحِيمَهُمَا ، تُغْطِيَ مِنْ تَشَاءُ مِنْهُمَا وَتَمْنَعُ مِنْ تَشَاءُ ، ازْهَمَنِي رَحْمَةً تُغْنِيَنِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سُواكَ . اللَّهُمَّ أَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ وَاقْضِ عَنِّي الدِّينَ وَتَوَفَّنِي فِي عِبَادِتِكَ وَجَهَادِ فِي سَبِيلِكَ »^(٢) .

ومن ذلك : أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَّ بِهِ أَجَابَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ قُلْ اللَّهُمَّ مَلِكَ الْمَلَكَوْنَ تُؤْتِيَ الْمَلَكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْعِيَ الْمَلَكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزِّزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ تُولِّيَ الْأَيْلَلِ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِّيَ الْنَّهَارَ فِي الْأَيَّلَلِ وَتُغْرِيَ الْعَيْنَ مِنَ الْمَيْتِ وَتُغْرِيَ الْمَيْتَ مِنَ الْعَيْنِ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حَسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٢٦-٢٧] »^(٣) .

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ بِسَنْدٍ صَحِيحٍ .

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ .

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ .

ومن ذلك : أنَّ من قال كُلَّ يومٍ مِرَّةً : سُبْحَانَ الْقَاتِمَ الدَّائِمَ ، سُبْحَانَ الْحَيِّ الْقَيُومَ ، سُبْحَانَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبُّوْخَ قَدْوَسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ ، سُبْحَانَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، لَمْ يَمُثِّحْ حَتَّى يُرَى مَكَانَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، أَوْ يُرَى لَهُ »^(١) .

ومن ذلك : أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « كَلِمَتَانِ حَفِيفَتَانِ عَلَى الْلِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ »^(٢) .

ومن ذلك : ما جاءَ فِي قَصَّةِ قَبِيْصَةِ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : كَبِيرَتْ سِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَقَ جَلْدِي ، وَضَعُفَتْ قُوَّتِي ، وَهَنَّتْ عَلَى أَهْلِي ، وَعَجَزَتْ عَنِ أَشْيَاءِ كُنْتُ أَعْمَلُهَا فَعَلِمْتِي كَلِمَاتٍ يَتَفَعَّنِي اللَّهُ يَهْنَ فَأَوْجِزْ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يَا قَبِيْصَةُ ، قُلْ ثَلَاثَ مَرَاتٍ إِذَا صَلَيْتَ الْغَدَاءَ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ لَا حُولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ إِنْ قُلْتَ ذَلِكَ ، أَمِثْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ الْعَمَّ وَالْجُذَامِ وَالْبَرْصِ ، وَقُلْ : اللَّهُمَّ اهْدِنِي مِنْ عَنْدِكَ ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ ، وَأَسْبِغْ عَلَيَّ رَحْمَتَكَ وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ »^(٣) .

ومن ذلك : أنَّ مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ وَقَدِدَ فِي مُصَلَّاهُ وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ أَوْلِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ ، وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ مَلَكًا يَسْبِّحُونَ اللَّهَ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »^(٤) .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَكِرٍ .

(٢) أَخْرَجَهُ الشِّبَخَانُ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ السَّنِيِّ .

(٤) أَخْرَجَهُ الدِّيلَمِيِّ .

ومن ذلك : أنَّ من قال في ذُبُرِ الصلاة بعد ما يُسلِّمُ هؤلاء الكلمات ، كتبها ملَكٌ في رَقٍ فَخَتَمَ بخاتَمٍ ، ثم رفعها إلى يوم القيمة ، فإذا بعثَ اللهُ العبدَ مِنْ قبرِه ، جاءهُ الملَكُ ومعهُ الكتابُ فيقولُ : أَينَ أهْلُ الْعَهْوَدِ حَتَّى تُدْفَعَ إِلَيْهِمْ .

والكلمات هي : اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ، إني أعهُدُ إليك في هذه الحياة الدنيا بأنَّك أنت الله لا إله إلا أنت وحْدَك لا شريكَ لك ، وأنَّ محمداً عبدُك ورسولك فلا تكُلني إلى نفسي فإنك إن تكُلني إلى نفسي تُقْرِنِي من الشر وتباعدني من الخير ، وإنِّي لا أُتُقْرِنُ إِلَّا بِرَحْمَتِك فاجعلْ رحمتك لي عهداً عندك تؤديه إلى يوم القيمة ، إنك لا تخلفُ الميعاد ^(١) .

ومن ذلك : أنَّ من قرأ هذه الآيات أو حملَها لو نَزَلَ عليه العذابُ مثلَ أَحَدٍ ، لرفعه الله عنه ببركتها : « قُلْ لَنَّ يُعَصِّبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا » [التوبَة : ٥١] إلى قوله : « إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ » ^(٢) [التوبَة : ٥٩] .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال : « سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوْبُ إِلَيْهِ ، مَنْ قَالَهَا كُتُبَتْ كَمَا قَالَهَا ، ثُمَّ عُلِقَتْ بِالْعَرْشِ لَا يَنْهَا ذَنْبُ عَمَلِهِ صَاحِبُهَا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهِيَ مُخْتَوِمَةٌ » ^(٣) .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال : « مَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ إِذَا عَسَرَ عَلَيْهِ أَمْرٌ مَعِيشَتِهِ أَنْ يَقُولَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ : بِسْمِ اللَّهِ عَلَى نَفْسِي وَمَالِي وَدِينِي ،

(١) أخرجه الحكيم .

(٢) نقله الشرجي في فوائد़ه .

(٣) أخرجه البزار .

اللهم رضُّني بقضاءِكِ وبارِكْ لي فيما قَدَرْتَ لي ، حتى لا أَحِبَّ تعجِيلَ
ما أَخْرَتْ ، ولا تأخِيرَ ما عَجَلتْ «^(١)» .

ومن ذلك : أَنَّ من لزِم قِرَاءَةَ : «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ
أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّهُ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُلْ حَسْنُوا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» [التوبَة : ١٢٩١٢٨] ، لم يمت هذمًا ولا غرقًا ، ولا حَرْقًا
وَلَا ضَرْبًا بِحَدِيدَةٍ «^(٢)» .

ومن ذلك : أَنَّ من قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي :
حسبِي اللَّهُ ، سَبْعَ مَرَاتٍ ، كَفَاهُ اللَّهُ مَا أَهْمَمَهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا
وَالآخِرَةِ «^(٣)» .

ومن ذلك : أَنَّ من قَالَ : «فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُلْ حَسْنُوا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» [التوبَة : ١٢٩] بَعْدِ صَلَاةِ الصَّبَرِ سَبْعَ
مَرَاتٍ ، كَفَاهُ اللَّهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَادِقًا فِي تَوْكِلِهِ ، وَإِنْ قَالَهَا مَسَاءً
فَكَذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ .

ومن ذلك : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْسَأَ فِي عُمْرِهِ وَيُنْصَرَ
عَلَى عَدُوِّهِ وَيُوَسَّعَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ وَيُؤْزَقَ مِنْتَهَى السُّوءِ فَلِيَقُلْ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ
يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ : سَبْحَانَ اللَّهِ مِلْءُ الْمِيزَانِ وَمُنْتَهَى الْعِلْمِ وَمُبْلَغُ الرِّضَا
وَزِنَةُ الْعَزْشِ» «^(٤)» .

(١) رواه ابن السنى .

(٢) أخرجه العراقي في تخریج أحادیث الإحياء .

(٣) أخرجه ابن السنى .

(٤) أخرجه الدیلیمی .

ومن ذلك : أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لِعائشةَ رضيَ اللهُ عنْهَا : « يَا عائشَةً ، أَلَا أَعْلَمُكَ كَلْمَاتٍ تَعْدِلُ أَوْ تَفْضُلُ تَسْبِيحَ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ تَقُولِينَ : سَبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ أَصْعَافَ مَا يَسْتَحِيْهُ جَمِيعُ خَلْقِهِ ، وَكَمَا يُحِبُّ وَيُرْضِي ، وَكَمَا يُنْبَغِي لَهُ »^(١) .

ومن ذلك : أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لِبَعْضِ بَنَاتِهِ : « قُولِيَّ حِينَ تُضْبِحِينَ سَبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحْاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ، فَإِنَّ مِنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُضْبِحُ حُفْظَهُ حَتَّى يُنْسِيَ ، وَمِنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُنْسِي حُفْظَهُ حَتَّى يُضْبِحَ »^(٢) .

ومن ذلك : دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا بِهَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ : « لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سَبْحَانُكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، لَمْ يَذْعُ بِهَا مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قُطُّ إِلَّا أَسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ »^(٣) .

ومن ذلك : أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « إِذَا نَزَلَ بِأَحْدِكُمْ هُمْ ، أَوْ غَمْ ، أَوْ سَقَمْ فَلِيَقُلْ : اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، ثَلَاثًا »^(٤) .

ومن ذلك : أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لِأَنَسٍ رضيَ اللهُ عنْهُ : « إِذَا طَلَبْتَ حَاجَةً فَأَحِبَّتَ أَنْ تَنْجَحَ فَقُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَكِيمُ سَبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، كَانُوكُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُسُوْا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغُ فَهُنَّ يُهَلَّكُ إِلَّا

(١) أَخْرَجَهُ الدَّارِقَطْنِيُّ .

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ .

(٣) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ .

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ .

القَوْمُ الْفَاسِقُونَ ، كَانُوكُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُسُوكُمْ إِلَّا عَيْشَيْةً أَوْ ضُحَاحَا ، اللَّهُمَّ
 إِنِّي أَسأَلُكَ مُؤْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ وَالسَّلَامَةَ
 مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، اللَّهُمَّ لَا تَدْعُ لِي ذَنْبًا إِلَّا غَفْرَتَهُ ، وَلَا هَمًا إِلَّا فَرَجْتَهُ ، وَلَا
 دِينًا إِلَّا قَضَيْتَهُ ، وَلَا حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا قَضَيْتَهَا بِرَحْمَتِكَ
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتِلُفُونَ ،
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ سَبَحَانَ اللَّهِ رَبِّ
 السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَزْلِ الْعَظِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ
 كَاشِفَ الْغَمَّ مُفْرِجَ الْهَمَّ مُجِيبَ دُعَّوَةِ الْمُضطَرِّينَ إِذَا دَعَوْكَ ، رَحْمَنَ الدُّنْيَا
 وَالآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا فَازْحَفْنِي فِي حَاجَتِي هَذِهِ بِقَضَائِهَا وَنِجَاحِهَا ، رَحْمَةً
 تُغْنِيَنِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِواكَ ، اللَّهُمَّ يَا مُؤْسِنَ كُلِّ وَحِيدٍ ، وَيَا صَاحِبَ
 كُلِّ فَرِيدٍ ، وَيَا قَرِيبًا غَيْرَ بَعِيدٍ ، وَيَا شَاهِدًا غَيْرَ غَائِبٍ ، وَيَا غَالِبًا غَيْرَ
 مَغْلُوبٍ ، يَا حَيًّا يَا قَيُومً يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ ، اللَّهُمَّ أَسأَلُكَ بِاسْمِكَ بِاسْمِكَ بِسَمِّ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْقَيْوُمِ
 الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ، وَأَسأَلُكَ بِاسْمِكَ بِاسْمِكَ بِسَمِّ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَيِّ الْقَيْوُمِ الَّذِي عَنَتْ لَهُ الْوُجُوهُ وَخَسَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ وَوَجَلَتْ لَهُ
 الْقُلُوبُ أَنْ تُصْلِيَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَقْضِيَ حَاجَتِي - وَيَسْمَى حَاجَتِهِ -
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدِنَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَسِّيرَةً يَا سَيِّدَنَا
 يَا مُحَمَّدُ ، إِنِّي تَوَجَّهُ إِلَيْكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضِيَ - وَيَسْمَى
 حَاجَتِهِ - اللَّهُمَّ فَشْفُعْنِي فِيَ وَشْفَعْنِي فِي نَفْسِي «^(١) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنْ مَنْ حَفِظَ عَشَرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ ، عُصِّمَ مِنْ
 فِتْنَةِ الدَّجَالِ^(٢) .

(١) رواه الطبراني .

(٢) رواه مسلم وغيره .

وكذلك من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف^(١) .

ومن ذلك : أَنَّ من قال حين يُصلِّي الْغَدَاةَ : سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ رِضَا نَفْسِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ زِنَةَ عَزِيزِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِثْلُ ذَلِكَ ، فَذَلِكَ خَيْرٌ لِمَنْ أَنْ يَجْمِعَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَيَذَّأْبُ الْمَلَائِكَةُ يَكْتُبُونَ وَلَا يُخْضُونَ مَا قَالَ^(٢) .

ومن ذلك : ما جاء أَنَّ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا فَقَالَ : « وَالَّذِي بَعَثْنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا ، مَا عِنْدِي قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّ أَعْلَمُكَ شَيْئًا أَتَانِي بِهِ جَبَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، هَذِهِ هَدِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْكَ لَمْ يُعْطِهَا أَحَدٌ قَبْلَكَ ، لَا يَدْعُو بِهَا مَلْهُوفٌ وَلَا مَكْرُوبٌ وَلَا عَبْدٌ خَائِفٌ مِنْ سُلْطَانِ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ : اللَّهُمَّ يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادٌ لَهُ ، يَا سَنَدَ مَنْ لَا سَنَدٌ لَهُ ، يَا ذُخْرَ مَنْ لَا ذُخْرٌ لَهُ ، يَا غِيَاثَ مَنْ لَا غِيَاثٌ لَهُ ، يَا كَرِيمَ الْعَفْوِ يَا حَسَنَ التَّعْجَلِ يَا كَاشِفَ الْبَلَاءِ يَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ يَا عَوْنَ الْضُّعْفَاءِ يَا مُنْقِذَ الْغَرَقَى يَا مُنْجِي الْهَلْكَى ، يَا مُحْسِنُ يَا مُجَمِّلُ يَا مُنْعِمُ يَا مُفَضِّلٍ ، أَنْتَ الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ الْلَّيْلِ وَنُورُ النَّهَارِ وَضُوءُ الْقَمَرِ وَشُعَاعُ الشَّمْسِ وَدَوِيُّ الْمَاءِ وَخَفِيقُ الشَّجَرِ ، يَا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَكَ يَا رَبَّ يَا رَبَّ ، ثُمَّ تَدْعُو بِحاجَتِكَ ، فَلَا تَقُومُ مِنْ مَقَامِكَ حَتَّى تُقْضِي لَكَ وَلَا تَعْلَمُهَا السُّفَهَاءُ »^(٣) .

ومن ذلك : أَنَّ من قرأ مِنْ « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ » [المؤمنون : ١] عَشْرَ آيَاتٍ ، بَنِي اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ^(٤) .

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) أخرجه ابن عساكر .

(٣) أخرجه أبو الفتح المقدسي .

(٤) رواه ابن ماردويه .

ومن ذلك : أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَنْسِطُ كَفَيْهِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِلَهِي وَإِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ، وَإِلَهَ جَرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُشَجِّبَ دُعَوَتِي فَلَأَنِّي مُضطَرٌ ، وَتُغَصِّمَنِي فِي دِينِي فَلَأَنِّي مُبْتَلٌ ، وَتَنَالَنِي بِرَحْمَتِكَ فَلَأَنِّي مُذْنِبٌ ، وَتَنْفِيَ عَنِي الْفَقْرَ فَلَأَنِّي مِسْكِينٌ ، إِلَّا كَانَ حَقًا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرُدَّ بِدِيهِ خَاتَمَتِينَ » ^(١) .

ومن ذلك : أنَّ مَنْ قَالَ حِينَ يُضَبِّحُ : « فَسْبَحْنَ اللَّهَ حِينَ تَسْوُتْ وَحِينَ تُضَبِّحُونَ ^(١) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِيشَيَا وَحِينَ تُظَهَّرُونَ ^(٢) يَخْرُجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتَ وَيَخْرُجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ وَيَخْرُجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ يَخْرُجُونَ » [الروم : ١٧-١٩] أَدْرَكَ مَا فَاتَهُ فِي يَوْمِهِ ذَلِكُ ، وَمَنْ قَالَ حِينَ يُضَبِّحُ أَدْرَكَ مَا فَاتَهُ فِي لِيلِتِهِ ^(٢) .

وَفِي رَوَايَةٍ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُضَبِّحُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ : « فَسْبَحْنَ اللَّهَ حِينَ تَسْوُتْ » [الروم : ١٧] إِلَى آخِرِهَا ، لَمْ يَفْتَهُ خَيْرٌ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلَمْ يُذْرِكْهُ يَوْمَهُ شَرٌّ ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُضَبِّحُ مِثْلَهُ » ^(٣) .

ومن ذلك : أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « مَا أَصَابَ مُسْلِمًا قُطُّ هُمْ وَلَا حُزْنٌ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ ، وَابْنُ أُمِّكَ فِي قَبْضَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِعِدْكَ ماضٍ فِي حُكْمِكَ ، عَذْلٌ فِي قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِّيَتْ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْتَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ حَتَّى كَذَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رِبَيعَ قَلْبِي وَنُورَ

(١) أَخْرَجَهُ أَبْنُ السَّنْدِيِّ .

(٢) رَوَاهُ أَبْرَارُ دَادُودَ .

(٣) رَوَاهَا الْحَافِظُ أَبْنُ حَجْرٍ .

بصري وجلاء حُزْنِي وذهاب هُمّي وغمّي ، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هُمَّهُ وَأَبْدَلَهُ
مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَجَأً »^(١) .

ومن ذلك : ما جاء في قصّة رجُلٍ جاء إلى النبي ﷺ فسلمَ ، فلما
جلَسَ قال : الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركاً فيه ، كما يُحِبُّ رَبُّنا أن
يُخْمَدَ وَيَنْبَغِي له ، فقال رسول الله ﷺ : « كَيْفَ قَلْتَ ؟ فَرَدَ عَلَيْهِ كَمَا
قَالَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ ابْتَدَرَهَا عَشْرَةُ أَمْلَاكٍ كُلُّهُمْ
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَكْتُبَهَا ، فَمَا دَرَوْا كَيْفَ يَكْتُبُونَهَا لِكَثْرَةِ ثَوَابِهَا حَتَّى رَفَعُوهَا
إِلَى ذِي الْعَزَّةِ فَقَالُوا : اكْتُبُوهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي ، وَعَلَيَّ جَزَاؤُهُ بِهَا »^(٢) .

ومن ذلك : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِذَا شَجَاكَ شَيْطَانٌ أَوْ سَلَطَانٌ فَقُلْ :
يَا مَنْ يَكْفِي عَنْ كُلِّ أَحَدٍ وَلَا يَكْفِي عَنْهُ أَحَدٌ ، يَا أَحَدَ مَنْ لَا أَحَدَ لَهُ ،
يَا سَنَدَ مَنْ لَا سَنَدَ لَهُ ، انْقَطِعْ الرَّجَاءُ إِلَّا مِنْكَ نَجَّنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ ، وَأَعْنِي
عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ مَا قَدْ نَزَّلَ بِي بِجَاهِ وَجْهِكَ الْكَرِيمَ ، وَبِحَقِّ سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ ﷺ أَمِينٌ أَمِينٌ »^(٣) .

ومن ذلك : أَنَّ مَنْ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَوَاضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لِعِزَّتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ
لِمُلْكِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَشَلَّمَ كُلُّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِهِ ، يَطْلُبُ مَا عَنْدَ اللَّهِ ،
كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا أَلْفَ حَسَنَةٍ وَرَفَعَ لَهُ بِهَا أَلْفَ درجةً ، وَوُكِّلَ بِهِ سَبْعُونَ الْفَ
مَلِكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »^(٤) .

ومن ذلك : ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال : « لَمَا أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى

(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْرِ جَالِ ثَقَاتٍ .

(٣) أَخْرَجَهُ الدِّيلِمِيُّ .

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ .

الأرضِ ، جاءَ الْكَعْبَةَ وَصَلَّى رَكْعَتِينَ ، فَأَلْهَمَهُ اللَّهُ هَذَا الدُّعَاءُ : اللَّهُمَّ إِنِّي
تَعْلَمُ سَرِيرَتِي وَعَلَانِيَتِي فَأَقْبِلُ مَعْذِرَتِي ، وَتَعْلَمُ حَاجَتِي فَأَغْطِنِي سُؤْلِي ،
وَتَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي فَأَغْفِرُ لِي ذَنْبِي ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا يُبَاشِرُ قَلْبِي
وَيُقِنِّا صَادِقًا حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يُصِيبُنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَ لِي وَرَضِّنِي بِمَا قَسَمْتَ
لِي . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : يَا آدَمُ ، قَدْ قَبَّلْتُ تُوبَتِكَ وَغَفَرْتُ لَكَ ذَنْبَكَ ، وَلَمْ
يَدْعُنِي أَحَدٌ بِهَذَا الدُّعَاءِ إِلَّا غَفَرْتُ لَهُ ذَنْبَهُ ، وَكَفَنِتُهُ الْمُهِمَّ مِنْ أُمُرِهِ ،
وَزَجَّرْتُ عَنِ الشَّيْطَانَ وَاتَّجَرْتُ لَهُ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تَاجِرٍ ، وَأَقْبَلْتُ إِلَيْهِ الدُّنْيَا
رَاغِمًا وَإِنْ لَمْ يُرِدْهَا «^(١)» .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِذَا تَخَوَّفَ أَحَدُكُمُ السُّلْطَانَ فَلِيَقُلْ :
اللَّهُمَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ
فُلَانَ بْنَ فَلَانٍ وَشَرِّ الْجَنِّ وَالْإِنْسَنِ وَأَتَبَاعِهِمْ ، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ
أَنْ يَطْعُنِي ، عَزْ جَارُكَ وَجَلْ ثَنَاؤُكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ »^(٢) .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ مَنْ قَرَأَ خَوَاتِيمَ الْحَشَرَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ، فَقُبِضَ فِي
ذَلِكَ الْيَوْمِ أَوِ اللَّيْلَةِ ، فَقَدْ أَفْجَبَ الْجَنَّةَ^(٣) .

وَمِنْ ذَلِكَ : مَا جَاءَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَإِذَا هُوَ
بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَقُولُ لَهُ : أَبُو أَمَامَةَ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا أَمَامَةَ ، مَا لِي أَرَاكَ
جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتٍ صَلَاةً؟ » قَالَ : هُمُومٌ لَزِمَّتِي وَدِيُونٌ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : أَفَلَا أَعْلَمُكَ كَلَامًا إِذَا قَلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّكَ وَقَضَى
عَنْكَ ذَنْبَكَ ، قَلْتُ : بِلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا
أَمْسَيْتَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجَزِ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ .

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ .

(٣) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

والكسلٍ ، وأعوذ بك من الجُبن والبُخل ، وأعوذ بك من غَلَبةِ الدِّين وفَهْرِ الرجالِ ^(١) .

ومن ذلك : أنَّ من قال حين يُصبح وحين يُمْسي : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا أَسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنْبَ إِلَّا أَنْتَ فَمَا مِنْ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ ^(٢) .

ومن ذلك : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « أَلَا أَعْلَمُكَ مَا عَلِمْتَنِي جَبْرِيلُ ، إِذَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ إِلَى بَخِيلٍ شَحِيقٍ أَوْ سُلْطَانٍ جَائِرٍ أَوْ غَرِيمٍ فَاحْشِ تَخَافُ فُخْشَهُ ، فَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَبِيرُ ، وَأَنَا عَبْدُكَ الْفَسِيفُ الْذَّلِيلُ الَّذِي لَا حَوْلَ لَهُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ ، اللَّهُمَّ سَخِّرْ لِي فَلَانَا كَمَا سَخَّرْتَ فَرْعَوْنَ لِمُوسَى ، وَلَيَنْ لِي قَلْبَهُ كَمَا لَيَنَّتِ الْحَدِيدَ لَدَاؤَدَ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِإِذْنِكَ ، نَاصِيَّتُهُ فِي قَبْضَتِكَ ، قَلْبُهُ فِي يَدِكَ ، جَلَّ ثَنَاءً وَجَهِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ » ^(٣) .

ومن ذلك : أَنَّ من قال عَشَرَ كَلِمَاتٍ عِنْدَ دُبُّرِ كُلِّ صَلَاةِ غَدَاءٍ ، وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُنَّ مُكْفِيًّا مُبْغِزِيًّا ، خَمْسًّا لِلْدُّنْيَا وَخَمْسًّا لِلْآخِرَةِ : حَسْبِيَ اللَّهُ لِدِينِي ، حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَا أَهْمَنِي ، حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَنْ بَغَى عَلَيَّ ، حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَنْ حَسَدَنِي ، حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَنْ كَادَنِي بِسُوءٍ ، حَسْبِيَ اللَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ ، حَسْبِيَ اللَّهُ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ ، حَسْبِيَ اللَّهُ عِنْدَ الْمِيزَانِ ، حَسْبِيَ اللَّهُ عِنْدَ الْصِّرَاطِ ، حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوْكِلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ » ^(٤) .

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاؤُدُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ الدِّيلِمِيُّ .

(٤) أَخْرَجَهُ التَّرْمِذِيُّ فِي « نَوَادِرِ الْأَصْوَلِ » .

ومن ذلك : ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « خذوا جُنَاحَكُمْ . قلنا : يا رسول الله ، أمن عدو حضر؟ فقال : خذوا جُنَاحَكُمْ من النار ، قُولوا : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنَّه يأتينَ يومَ القيمة مستقدِّماتٍ ومُتَجَبَّاتٍ ، وهُنَّ الباقياتُ الصالحاتُ »^(١) .

ومن ذلك : أنَّ قولَ : « اللهم إنك خلائقُ عظيمٍ ، إنك سميعٌ علِيمٍ ، إنك غفورٌ رحيمٌ ، إنك ربُّ العَرْشِ العظيمِ ، اللهم إنك أنتَ البرُّ الجوادُ الكريمُ أَغْفِرْ لِي وَأَرْحَمْنِي وَعَافَنِي وَأَرْزَقَنِي وَاسْتَرْزَنِي وَأَجْزَنِي وَأَرْفَعَنِي وَلَا تُضْلِنِي وَأَذْخِلْنِي الجَنَّةَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . يَجْمَعُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » كما جاء في الحديث^(٢) .

ومن ذلك : ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال : أَمَانٌ لِّأَمْتِي مِنَ الْغَرَقِ إِذَا رَكِبْتُوا أَنْ يَقْرُؤُوا : « يَسِيرَ اللَّهُ بَعْرِبَتَهَا وَمَرْسَهَا إِنَّ رَبَّ الْغَفُورِ رَحِيمٌ » [مود : ٤١] « وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ »^(٣) [الزمر : ٦٧] .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال : « لو أَنَّ رجلاً مُؤْمِناً قرأها على جبل لزال : « أَفَحَسِبَتُمْ أَنَّمَا خَلَقْتُكُمْ عَبْرَنَا وَأَنَّكُمْ لَيْسَنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَوَافِرِ ﴿١٢﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهِ إِلَّا هُوَ أَخْرَ لَا يُرْهِنَ لَهُ وِيدُهُ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّمَا لَا يُقْلِعُ الْكُفَّارُونَ ﴿١٣﴾ وَقُلْ رَبِّي أَغْفِرْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاهِمِينَ »^(٤) [المؤمنون : ١١٨-١١٥] .

(١) رواه الطبراني بسنده صحيح .

(٢) أخرجه الدليلي .

(٣) رواه ابن السنى .

(٤) رواه أبو نعيم .

ومن ذلك : أنَّ من قَرَا فِي مُضَبِّحٍ أَوْ مُفْسِنَ : « قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ » [الإِسْرَاءٌ : ١١٠] إِلَى آخر السُّورَةِ ، لِمَ يَمْتُثِ قَلْبُهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَلَا فِي تِلْكَ الْلَّيْلَةِ^(١) .

ومن ذلك : أنَّ هَذَا الدُّعَاءُ يُذْهِبُ الْفَزَعَ ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ ، وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَخْضُرُونَ »^(٢) .

ومن ذلك : مَا جَاءَ عَنْ رَبِيعَةَ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ قَالَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يَذْهُو بِهِذَا الدُّعَاءِ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ وَأَوَّلِ نَهَارٍ ، إِلَّا عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ : بِسْمِ اللَّهِ ذِي الشَّانِ عَظِيمِ الْبُرْهَانِ شَدِيدِ السُّلْطَانِ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ »^(٣) .

ومن ذلك : أنَّ مَنْ سَأَلَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَةَ قَالَتِ الْجَنَّةُ : اللَّهُمَّ أَذْخِلْنَا الْجَنَّةَ ، وَمَنِ اسْتَجَّارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَةً ، قَالَتِ النَّارُ : اللَّهُمَّ أَجِزْنَا مِنَ النَّارِ^(٤) .

ومن ذلك : أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قُلْ إِذَا أَصْبَخْتَ ثَلَاثَةً وَإِذَا أَمْسَيْتَ ثَلَاثَةً : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا حُوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّهَا شِفَاءٌ مِنْ تِسْعَةَ وَتَسْعِينَ دَاءً ، أَيْسَرُهَا الْهُمَّ^(٥) .

ومن ذلك : أنَّ قَوْلَهُ : « سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا ذَا الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ » مِنَ الدُّعَوَاتِ الْمَضْمُونَةِ الْإِجَابَةِ .

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ سَعْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَا عَلَى كَلْبٍ فَأَهْلَكَهُ ،

(١) رواه الديلمي .

(٢) أخرجه الترمذى .

(٣) أخرجه ابن عساكر .

(٤) أخرجه الترمذى وغيره .

(٥) أخرجه المستغفى .

فقال له النبي ﷺ : « كيـف دعـوت عـلـيـه؟ » فـقال : سـبـحـانـك ... إـلـخـ، أـهـلـكـ هـذـا الـكـلـبـ . فـقال ﷺ : « يـا سـعـدـ ، لـقـدـ دـعـوتـ بـيـوـمـ وـسـاعـةـ بـكـلـمـاتـ ، لـوـ دـعـوتـ بـهـاـ عـلـىـ مـنـ فـيـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ ، لـاـسـتـجـبـ لـكـ فـأـبـشـرـ يـاـ سـعـدـ »^(١) .

وـمـنـ ذـلـكـ : أـنـ مـنـ قـالـ : « اللـهـمـ أـكـفـنـيـ بـحـلـالـكـ عـنـ حـرـامـكـ ، وـأـغـيـنـيـ بـفـضـلـكـ عـمـنـ سـوـاـكـ ، لـوـ كـانـ عـلـيـهـ مـيـثـلـ ثـبـيرـ دـيـنـاـ ، لـأـدـاءـ اللـهـ عـنـهـ »^(٢) .

وـمـنـ ذـلـكـ : أـنـ النـبـيـ ﷺ قـالـ : « مـاـ قـالـ عـبـدـ : اللـهـمـ رـبـ السـمـوـاتـ السـبـعـ وـرـبـ الـعـزـشـ الـعـظـيمـ أـكـفـنـيـ كـلـ مـهـمـ مـنـ حـيـثـ شـيـثـ وـكـيـفـ شـتـ وـأـئـيـ شـتـ وـمـنـ أـيـنـ شـتـ ، إـلـاـ أـذـهـبـ اللـهـ تـعـالـىـ هـمـهـ »^(٣) .

وـمـنـ فـضـائـلـ هـذـهـ الـأـمـةـ الـمـحـمـدـيـةـ : أـنـهـ مـأـمـوـرـ بـطـلـبـ الـعـافـيـةـ وـالـدـعـاءـ بـسـلـامـةـ الـبـدـنـ وـتـكـامـ الـصـحـةـ ، وـلـاـ شـكـ أـنـ هـذـاـ غـايـةـ مـاـ يـتـمـنـاـهـ الـإـنـسـانـ وـيـشـتـهـيـهـ ، وـبـهـذـاـ صـارـتـ الـعـادـةـ عـبـادـةـ وـأـنـقـلـبـ الـمـأـلـوـفـ إـلـىـ مـعـرـوـفـ ، وـالـأـمـرـ الـمـحـبـوـبـ إـلـىـ النـفـسـ مـشـتـهـيـ عـادـةـ وـالـمـطـلـوـبـ طـبـيـعـةـ ، هـوـ الـأـمـرـ الـمـحـبـوـبـ الـمـطـلـوـبـ إـلـىـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ وـالـمـطـلـوـبـ شـرـيـعـةـ ، وـفـيـ هـذـاـ غـايـةـ الـعـنـيـةـ بـهـذـهـ الـأـمـةـ الـمـحـمـدـيـةـ .

جـاءـ فـيـ الـحـدـيـثـ عـنـ أـنـسـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ أـنـ رـجـلـاـ جـاءـ إـلـىـ النـبـيـ ﷺ فـقالـ : يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ ؟ أـيـ الدـعـاءـ أـفـضـلـ؟ قـالـ : « سـلـنـ رـبـكـ الـعـافـيـةـ وـالـمـعـافـاـةـ فـيـ الـدـنـيـاـ وـالـأـخـرـةـ . ثـمـ أـتـاهـ فـيـ الـيـوـمـ الثـانـيـ فـقالـ : يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ ، أـيـ الدـعـاءـ أـفـضـلـ؟ فـقالـ لـهـ مـيـثـلـ ذـلـكـ . ثـمـ أـتـاهـ فـيـ الـيـوـمـ

(١) أـخـرـجـهـ الطـبـرـانـيـ .

(٢) أـخـرـجـهـ الـحـاـكـمـ وـصـحـحـهـ .

(٣) أـخـرـجـهـ الـخـرـائـطـيـ .

الثالث فقال له مثل ذلك ، قال : فإذا أُغْنِيْتَ العافية في الدُّنْيَا وأُغْنِيْتَها في الآخرة ، فقد أَفْلَحْتَ ^(١) .

ومعنى : (العافية) ، أن تسلم من الأَسْقام والبلايا ، وهي الصحة وضد المرض . (والمعافاة) : أن يُعَافِيك الله من الناس وَيُعَافِيْهم منك : أي يُغْنِيْك عنهم ويغْنِيْهم عنك ويصرف أَذَاهُمْ عنك وأَذَاكَ عنهم ، وقيل : هي مُفَاعِلَةٌ من العفو وهو أن يعفو عن الناس ويعفوا عنه ، والعفوُ اسْمٌ من أسماء الله تعالى ، وهو فَعُولٌ من العفو ، وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه . اهـ .

وقد قام أبو بكر رضي الله عنه على المنبر ثم بكى ، فقال : قام فيما رسول الله ﷺ عاماً أوّل على المنبر ثم بكى ، فقال : « سَلُوا الله العفو والعافية ، فإنَّ أحداً لم يُعْطَ بعْدَ اليقين خيراً من العافية » ^(٢) .

وجاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، كيف أقول حين أَسأُلَّ ربي ؟ قال : « قل اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَازْهَمْنِي وَعَافِنِي وَازْفَنِي . ويجمع أصابعه إلَّا الإبهاه . فإنَّ هؤُلَاءِ تَجَمَّعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ » ^(٣) .

وأوصى ﷺ عمه العباس قائلاً : « يا عباسُ يا عَمَّ النَّبِيِّ ، أَكْثُرْ مِن الدُّعَاءِ بِالْعَافِيَةِ » ^(٤) .

وأَخْبَرَ أَنَّ سُؤالَ العافية هو من أَحَبِ الدُّعَاءِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ ، قال النبي ﷺ : « مَا سُئِلَ اللَّهُ شَيْئاً ، أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَافِيَةِ » ^(٥) .

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه الترمذى والنسائي .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى .

(٥) رواه الترمذى وابن أبي الدنيا والحاكم وقال صحيح الإسناد .

وفي سبيل المُحافظة على العافية واستمرارها ، أمر بِاللَّهِ من رأى مبتلى
أن يحمد الله ويشكره على نِعْمَة العافية ، وأخبر أنه بحمده وشكراً يُحفظ
من ذلك البلاء فقال : « مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءً فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
عَافَنِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا ، لَمْ يُصِبْنِي ذَلِكَ
الْبَلَاءُ »^(١) .

* * *

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والبزار والطبرانى .

فَوَائِدُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ أَفْضُلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ

مَا أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ مِنِ الْفَضْلِ وَالشَّرْفِ : مَا جَعَلَهُ مِنْ
الثَّوَابِ الْكَبِيرِ وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ لِمَنْ يُصْلِي وَيُسْلِمُ عَلَى سِيدِ الْبَشَرِ مُحَمَّدَ بْنَ
عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ذِكْرٌ مِنَ الْأَذْكَارِ الَّتِي يُثَابُ
الْعَبْدُ عَلَى لَفْظِهَا وَمَعْنَاهَا .

فَالْمُشْتَغَلُ بِهَا يُثَابُ عَلَى مُجَرَّدِ تَرْدِيدِ الْفَاظِهَا ، كَمَا يُثَابُ مِنْ يُرَدِّدُ لِفَظَ
الْتَّهْلِيلِ وَالْتَّكْبِيرِ وَالْتَّحْمِيدِ وَالْتَّسْبِيحِ ، وَلَيْسَ كَلَامُنَا فِي مَقْدَارِ الْثَّوَابِ
بِالْمَقَارِنَةِ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا ، وَإِنَّمَا مَقْصُودُنَا هُوَ أَنْ نَقُولَ : إِنَّ الْمُشْتَغَلَ
بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى الْمُصْطَفَى مُثَابٌ عَلَى مُجَرَّدِ تَكْرَارِ الْفَاظِ الصَّلَاةِ
وَالسَّلَامِ ، كَمَا يُثَابُ مِنْ يُرَدِّدُ الْفَاظِ التَّهْلِيلِ وَالْتَّسْبِيحِ وَالْتَّحْمِيدِ ، فَهُوَ ذِكْرٌ
مُتَبَعِّدٌ بِلِفَظِهِ وَمَعْنَاهُ ، وَلَذِكْرِ كَانَ بَعْضُ السَّلْفِ يُلَزِّمُ نَفْسَهُ بِعَدْدٍ مُخْصُوصٍ
مُحَدِّدٍ يَأْتِي بِهِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ يَلْتَزِمُ بِهِ وَيَتَقيَّدُ بِهِ .

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا شَيْءٌ فِي ذَلِكَ مَا دَامَ أَنَّهُ لَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَشْرُوعٌ وَارِدٌ عَنِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَلْ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ غَيْرِهِ ، لَأَنَّ الْقَضِيَّةَ فِي
الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هِيَ فِي نَسْبَةِ شَيْءٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْحَالُ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ عَنِهِ فَهَذَا
لَا تَرْضَاهُ بَلْ وَنُحَارِبُهُ ، وَنَعْتَقِدُ أَنَّهُ بِدُعَةٍ سَيِّئَةٍ خَبِيثَةٍ لَا يَرْضَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أما من يلزم نفسه شيئاً عالماً بأنه منه وإليه ، مُبِراًًاً مقام النبوة عنه غير معتقد فيه سُنية ، أو مشروعية لعينه ، فلا شيء في ذلك أبْلَة .

وقد كان بعض السَّلْف يفعلُ هذا ، فقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : يا زَيْدُ بْنَ وَهْبٍ ، لا تَدْعُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجَمْعَةِ أَنْ تُصَلِّيَ يَوْمَ الْجَمْعَةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفَ مَرَّةٍ تَقُولُ : « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ » .

وَنَذْكُرُ هُنَا جَمْلَةً مِنْ فَوَائِدِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَكْبَرُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، مَا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ وَخَصْوَصًا الْعَلَمَةُ ابْنُ الْقَيْمِ ، وَالْحَافِظُ ابْنُ حَجْرِ الْهَيْتَمِيِّ مَعَ التَّهْذِيبِ وَالتَّلْخِيصِ .

الْأُولَى : امْتَالُ أَمْرِ اللهِ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى .

الثَّانِيَةُ : مُوافِقَتُهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنْ اخْتَلَفَ الْصَّلَاتَانِ ، فَصَلَاتُنَا عَلَيْهِ دُعَاءٌ وَسُؤَالٌ ، وَصَلَاةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ثَنَاءً وَتَشْرِيفٌ .

الثَّالِثَةُ : مُوافِقَةُ مُلَائِكَتِهِ فِيهَا .

الرَّابِعَةُ : حُصُولُ عَشَرِ صَلَوَاتٍ مِنَ اللهِ عَلَى الْمُصْلِيِّ مَرَّةً .

الخَامِسَةُ : أَنَّهُ يُرْفَعُ لَهُ عَشَرُ درَجَاتٍ .

السَّادِسَةُ : أَنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ عَشَرُ حَسَنَاتٍ .

السَّابِعَةُ : أَنَّهُ يُمْحَى عَنْهُ عَشَرُ سَيِّنَاتٍ .

الثَّامِنَةُ : أَنَّهُ يُرْجَى إِجَابَةُ دُعَائِهِ إِذَا قَدَمَهَا أَمَامَهُ ، فَهِيَ تُصَاعِدُ الدُّعَاءَ إِلَى عَنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ وَكَانَ مَوْقُوفاً بَيْنِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قَبْلَهَا .

الثَّالِثَةُ : أَنَّهَا سَبَبٌ لِشَفَاعَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَرَنَهَا بِسُؤَالِ الْوَسِيلَةِ لَهُ ، أَوْ أَفْرَدَهَا .

العاشرة : أنها سبب لغفران الذنوب .

الحادية عشرة : أنها سبب لكتاب الله العبد ما أهمه .

الثانية عشرة : أنها سبب لقرب العبد منه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يوم القيمة .

الثالثة عشرة : أنها تقوم مقام الصدقة لذي العسرة .

الرابعة عشرة : أنها سبب لقضاء الحاجة .

الخامسة عشرة : أنها سبب لصلة الله على المصلي ، وصلة ملائكته

عليه .

السادسة عشرة : أنها زكاة للمصلي وطهارة له .

السادسة عشرة : أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته ، ذكره
الحافظ أبو موسى في كتابه ، وذكر فيه حديثاً .

الثامنة عشرة : أنها سبب للنجاة من أهواه يوم القيمة ، ذكره أبو
موسى وذكر فيه حديثاً .

النinthة عشرة : أنها سبب لردد النبي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الصلاة والسلام على المصلي
والمسلم عليه .

العاشرون : أنها سبب لتذكر العبد ما نسيه .

الحادية والعشرة : أنها سبب لطيب المجلس ، وأن لا يعود حسرة
على أهله يوم القيمة .

الثانية والعشرة : أنها سبب لنفي الفقر .

الثالثة والعشرة : أنها تنفي عن العبد اسم البخل . إذا صلّى عليه
عند ذكره بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

الرابعة والعشرة : تجأله من الدعاء عليه برغم الأنف إذا تركها عند
ذكره بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

الخامسة والعشرون : أنها ترمي صاحبها على طريق الجنة ، وتُخطئه بتاركها عن طريقها .

السادسة والعشرون : أنها تُجيء من ثَنَنَ المجلس الذي لا يُذكر فيه الله
ورسوله ويُحَمَّد ويُشَنَّى عليه فيه ويُصَلَّى على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

السَّابِعَةُ وَالْعَشْرُونَ : أَنَّهَا سَبَبَتْ لِتَمَامِ الْكَلَامِ الَّذِي أَبْتُدِيَ بِهِ مُحَمَّدُ اللَّهُ وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِهِ .

الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ : أَنَّهَا سَبَبَتْ لِوُفُورِ ثُورِ الْعَبْدِ عَلَى الصِّرَاطِ ، وَفِيهِ حَدِيثٌ ذَكَرَهُ أَبُو مُوسَى وَغَيْرُهُ .

النَّاسُ وَالْعَشْرُونَ : أَنَّهُ يَخْرُجُ بِهَا الْعَبْدُ عَنِ الْجَفَاءِ .

الثلاثون : أنها سبب لإبقاء الله سبحانه وتعالى الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض ، لأن المصلي طالب من الله أن يثني على رسوله ويُكرمه ويُشرفه ، والجزاء من جنس العمل ، فلا بد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك .

الحادية والثلاثون : أنها سبب ل البركة في ذات المصلي و عمله و عمره وأسباب مصالحة ، لأن المصلي داع ربه أن يبارك عليه وعلى الله ، وهذا الدعاء مستجاب ، والجزاء من جنسه .

الثانية والثلاثون : أنها سبب لتأليل رحمة الله له ، لأن الرحمة إما معنى الصلاة كما قاله طائفة ، وإما من لوازمهَا ومُوجباتها على القول الصحيح ، فلا بد للمصلى عليه من رحمة تناوله .

الثالثة والثلاثون : أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها ، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به ، لأنَّ العبد كُلُّما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه ، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالية لحبه ، تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه واستولى على

جميع قلبه وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره وإحضار محسنه بقلبه ، نقص حبه من قلبه ، ولا شيء أقرب لعين العبد المحب من رؤية محبوبه ، ولا أقرب لقلبه من ذكره وإحضار محسنه ، فإذا قوي هذا في قلبه ؛ جرى لسانه ب مدحه والثناء عليه وذكر محسنه ، وتكون زيادة ذلك ونقصانه ، بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه ، والجس شاهد بذلك حتى قال الشاعر بذلك :

عَجِبْتُ لِمَنْ يَقُولُ ذَكْرُ حَبِّيْ وَهُلْ أَنْسَى فَأَذْكُرْ مَنْ تَسْيِثْ فَتَعْجَبْ هَذَا الْمَحْبُّ مَنْ يَقُولُ : ذَكْرُ مَحْبُوبِيْ ، لَأَنَّ الذَّكْرَ يَكُونْ بَعْدَ النَّسِيَانِ وَلَوْ كَمْلَ حَبْ هَذَا ، لَمَّا نَسِيْ مَحْبُوبِهِ .

الرابعة والثلاثون : أن الصلاة عليه عليه السلام سبب لمحبته للعبد ، فإنه إذا كانت سبباً لزيادة محبة المصلي عليه له ، فكذلك هي سبب لمحبته هو للمصلي عليه عليه السلام .

الخامسة والثلاثون : أنها سبب لهدایة العبد وحياة قلبه ، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره ، استولت محبته على قلبه حتى لا يبقى في قلبه معارضه لشيء من أوامره ، ولا شك في شيء مما جاء به ، بل يصير ما جاء به مكتوباً مسطوراً في قلبه ، لا يزال يقرؤه على تَعَاقِبِ أحواله ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه ، وكلما ازداد في ذلك بصرة وقوة معرفته ، ازدادت صلاته عليه عليه السلام .

السادسة والثلاثون : أنها سبب لعرض اسم المصلي عليه عليه السلام وذكره عنده كما جاء من قوله عليه السلام : « إِنَّ صَلَاتَكُمْ مَغْرُوفَةٌ عَلَيَّ » ، قوله : « إِنَّ اللَّهَ وَكُلَّ بَقْبَرِي مَلَائِكَةٌ يُلْعَنُونِي عَنْ أَمْتِي السَّلَامَ » وكفى بالعبد بِلَا أن يذكر اسمه بين يدي رسول الله عليه السلام ، وقد قيل في هذا المعنى :

وَمَنْ خَطَرْتُ مِنْهُ بِيَالِكَ خَطَرْهُ حَقِيقَ بِأَنَّ يَسْمُو وَأَنْ يَتَقدَّمَا

السَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونُ : أنها سبب لثبت القدم على الصراط والجواز عليه
ل الحديث عبد الرحمن بن سمرة الذي رواه عنه سعيد بن المسيب في رؤيا
النبي ﷺ « وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَمْتِي يَزْحَفُ عَلَى الصِّرَاطِ وَيَخْبُرُ أَحْيَانًا
وَيَتَعَلَّقُ أَحْيَانًا ، فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ عَلَيَّ ، فَأَقَامَتْهُ عَلَى قَدَمِيْهِ وَأَنْقَذَتْهُ »^(١) .

الثَّامِنَةُ وَالثَّلَاثُونُ : أنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ﷺ أَدَاءً لِأَقْلَى الْقَلِيلِ مِنْ حَقِّهِ وَشُكْرِ
لَهُ عَلَى نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْنَا ، مَعَ أَنَّ الَّذِي يَسْتَحْقُهُ مِنْ ذَلِكَ
لَا يَحْصُى عِلْمًا وَلَا قَدْرَةً وَلَا إِرَادَةً ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَبَّحَهُ لِكَرْمِهِ رَضِيَّ مِنْ
عِبَادَهُ بِالْيُسْرَى مِنْ شُكْرِهِ وَأَدَاءِ حَقِّهِ .

الثَّاسِعَةُ وَالثَّلَاثُونُ : أنها مُتَضْمِنَةٌ لِذِكْرِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ ، وَمَعْرِفَةٌ إِنْعَامِهِ
عَلَى عَبِيدِهِ بِإِرْسَالِهِ ، فَالْمُصْلِي عَلَيْهِ ﷺ قَدْ تَضَمَّنَتْ صَلَاتُهُ عَلَيْهِ ذِكْرُ اللَّهِ
وَذِكْرُ رَسُولِهِ وَسُؤَالُهُ أَنْ يَجْزِيَهُ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ ، كَمَا عَرَفَنَا رِبَّنَا
وَأَسْمَاءُهُ وَصَفَاتُهُ وَهَدَانَا إِلَى طَرِيقِ مَرْضَاتِهِ وَعَرَفَنَا مَا لَنَا بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ
وَالْقُدُومِ عَلَيْهِ ، فَهِيَ مُتَضْمِنَةٌ لِكُلِّ الإِيمَانِ ، بَلْ هِيَ مُتَضْمِنَةٌ لِلْإِقْرَارِ
بِوُجُودِ الرَّبِّ الْمَدْعُوِّ ، وَعِلْمِهِ ، وَسَمْعِهِ ، وَقَدْرَتِهِ ، وَإِرَادَتِهِ ، وَصَفَاتِهِ ،
وَكَلَامِهِ ، وَإِرْسَالِ رَسُولِهِ ، وَتَصْدِيقِهِ فِي أَخْبَارِهِ كُلِّهَا ، وَكِمالِ مَحْبَبِهِ ،
وَلَا رَيْبٌ أَنَّ هَذِهِ أَصْوَلُ الإِيمَانِ ، فَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ ﷺ مُتَضْمِنَةٌ لِعِلْمِ الْعَبْدِ
ذَلِكَ وَتَصْدِيقِهِ بِهِ وَمَحْبَبِهِ لَهُ ، فَكَانَتْ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ .

* * *

(١) رواه أبو موسى المديني وبنى عليه كتابه في « الترغيب والترهيب » وقال : هذا
 الحديث حسن جداً .

فَضْلُ الْحُبٌّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضِ فِي اللَّهِ

ومن مناقب هذه الأُمّة ومزاياها : ما جاء من الفضل الكبير والخير الكثير لمن يُحب أخاه المسلم لله لا غَرض ولا هَوى سوئ ذلك ، فإذا تحقق بذلك زاد إيمانه وقوى يقينه حتى كأنه يُشاهد بعينه حقائق الإيمان ويُشعر بأنواره الفياضة في قلبه ويدرك إدراكاً خاصاً لا يجده إلا من تحقق بذلك المعنى .

وهذا معنى قوله ﷺ : « ثلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوةَ الإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَمَنْ أَحَبَّ عَنْدَهُ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُزَّزَ فِي الْكُفَّارِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْدَفَ فِي التَّارِ » .

وَالمحبَّةُ يَنَالُ بِهَا صَاحبَها فِي الْآخِرَةِ أَنَّهُ يُنَادِي عَلَيْهِ الْمَوْلَى جَلَّ شَانَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ فَيَقُولُ : « أَيْنَ الْمُتَحَابُونَ يَجْلِلُونِي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي » ^(١) .

وَالمحبَّةُ فِي اللَّهِ يَكُونُ بِهَا صَاحبَها فِي الْآخِرَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِ اللَّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ :

« سَبْعَةٌ يُظْلَمُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، قَالَ : وَمِنْهُمْ رَجُلٌانَ

(١) رواه البزار بإسناد حسن .

تحاباً في الله اجتمعوا عليه وتفرقوا عليه ، الحديث .

والمحب الصادق المخلص ينال منزلة عالية في الجنة ، تزيد على منزلة محبوبه إذا لم يمادله نفس الشعور . فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَنْ أَحَبَ رَجُلًا لَّهُ فَقَالَ : إِنِّي أَحِبُّكَ لَهُ ، فَدَخَلَ جَمِيعًا الْجَنَّةَ ، فَكَانَ الَّذِي أَحَبَ أَرْفَعَ مَنْزَلَةً مِنَ الْأَخْرَى لِلْحَقِّ بِالَّذِي أَحَبَ لَهُ » (١) .

والمحب الصادق يستحق أن يُبشر بمحبة الله له على لسان رسول خاص له ، فقد جاء عن رسول الله ﷺ : « أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أَخْرَى ، فَأَزَصَّ اللَّهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ : أَنِّي تُرِيدُ ؟ قَالَ : أَرِنِي أخَا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبِّهَا قَالَ : لَا ، عَيْنَرَ أَنِّي أَخْبَيْتُهُ فِي اللَّهِ قَالَ : فَلَوْا يُرِسُّ اللَّهُ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَكَ كَمَا أَخْبَيْتَهُ فِيهِ » (٢) .

والمحبون هم جلساء الله يوم القيمة عن يمين العرش ، على منابر من نور ليسوا بأنبياء ولكن يغبطهم الأنبياء والشهداء .

قال رسول الله ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُو وَاغْقِلُو إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادًا لِيُسُوا بِأَنْبِيَاءِ وَلَا شُهَدَاءَ ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ وَقُرْبَاهُمْ مِنَ اللَّهِ . فَجَئْنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَغْرَابِ مِنْ قَاصِيَّةِ النَّاسِ ، وَالْوَلَى بِيدهِ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَاسٌ مِنَ النَّاسِ لِيُسُوا بِأَنْبِيَاءِ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبَاهُمْ مِنَ اللَّهِ ، انْعَتَهُمْ لَنَا ، جِلَّهُمْ لَنَا - يَعْنِي صَفْهُمْ لَنَا شَكَلُهُمْ لَنَا - ، فَسُرَّ وَجْهُ النَّبِيِّ بِسُؤَالِ الْأَغْرَابِيِّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنِوَازِعِ الْقَبَائِلِ ، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ ، تَحَابَوْا فِي اللَّهِ وَتَضَافَوْا ، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ

(١) رواه البزار بإسناد حسن .

(٢) رواه مسلم .

القيامة متابِرَ مِنْ نُورٍ فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُوراً وَثِيَابَهُمْ نُوراً ، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْزُعُونَ ، وَهُمْ أُولَاءِ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ^(١) .

والمحابيون في الله لهم في الجنة عَرْفٌ من زَبَرْجَدٍ على عُمَدٍ من ياقوت ، لها أبوابٌ مفتوحةٌ تُضيئُ كَمَا يُضيئُ الكوكب الدرِّي ^(٢) .

« وَلَهُمْ عَرْفٌ يُرَى ظَواهِرُهَا مِنْ بَوَاطِنِهَا وَبَوَاطِنُهَا مِنْ ظَواهِرِهَا » ^(٣) .

وقد شهدَ عليه السلام لمن أحبَّ الله وأبغضَ الله وأعطى الله ومنع الله ، بأنه قد استكملَ الإيمان ^(٤) .

ومن شَرْفِ الْمُحْبَةِ الصَّادِقَةِ : أنها تَجْبِرُ الْكَسْرَ ، وَتَأْخُذُ بِيَدِ الْمُضِيِّفِ فَتَلْحَقُهُ بِالْأَقْوِيَاءِ ، وَتَقْدُمُ الْمُتَأْخِرَ إِلَى الصَّفَّ الْأَوَّلِ ، فَيَلْبَسُ ثُوَبَّاً يَتَأَقْلُ بِهِ لِيَنْقُلِبَ مِنْ حَالٍ إِلَى أَحْسَنِ حَالٍ ، بِبَرَكَةِ تَشَبُّهِ بِأَهْلِ الْكَمَالِ مِنْ أَفَاضِلِ الْرِّجَالِ . وإِلَيْكَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى :

عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأله رسول الله عليه السلام : متى الساعة؟ قال : « وما أَغَدَتْ لَهَا؟ » قال : لا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . قال : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَخْبَيْتَ » ، قال أنس : فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحْنَا بِقُولِ النَّبِيِّ عليه السلام : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَخْبَيْتَ » ، قال أنس : فَأَنَا أُحِبُّ الشَّيْءَ عليه السلام وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَأَرْجُو أَنْ أُكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِلَيْهِمْ ^(٥) .

وفي رواية : أَنَّ رجلاً من أهل الْبَادِيَةِ أتَى النَّبِيِّ عليه السلام فَقَالَ :

(١) رواه أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى بِإِسْنَادِ حَسْنٍ . وَالْحَاكِمُ وَقَالَ : صَحِيحُ الْإِسْنَادِ .

(٢) رواه البزار عن أبي هريرة مرفوعاً .

(٣) رواه الطبراني في « الأَوْسَطِ » عن بريدة مرفوعاً .

(٤) رواه أبو داود .

(٥) رواه البخاري ومسلم .

يا رسول الله ؛ متى الساعة قائمة؟ قال : « وَيَلَكَ ، وَمَا أَعْذَذْتَ لَهَا؟ قال : ما أَعْذَذْتَ لَهَا إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قال : إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَخْبَيْتَ قال : وَنَحْنُ كَذَلِكَ؟ قال : نَعَمْ ، فَقَرِّخَنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحَا شَدِيدًا »^(١) .

وَرَوَاهُ التَّرْمِذِيُّ وَلِفَظِهِ قَالَ : « مَا رَأَيْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ فَرَحُوا بِشَيْءٍ أَشَدَّ مِنْهُ ، قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، الرَّجُلُ يُحِبُّ الرَّجُلَ عَلَى الْعَمَلِ مِنَ الْخَيْرِ يَعْمَلُ بِهِ وَلَا يَعْمَلُ بِمِثْلِهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » .

وَعَنْ أَبْنَى مُسْعُودَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ »^(٢) .

عَنْ أَبِي ذِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَا يُسْتَطِعُ أَنْ يَعْمَلَ بِعَمَلِهِمْ ، قَالَ : أَنْتَ يَا أَبَا ذِرٍ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ . قَالَ : فَإِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ! قَالَ : فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَخْبَيْتَ . قَالَ : فَأَعَاذُهَا أَبُو ذِرٍ فَأَعَاذَهَا رَسُولُ اللَّهِ »^(٣) .

* * *

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه أبو داود .

الخَصَالُ الْمُكَفَّرَةُ لِلذُّنُوبِ

ومن شرف هذه الأمة المحمدية : أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَتَحَ لَهَا مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ وَالْبَرِّ مَا يَغْفِرُ لَهَا الذَّنْبُ وَيَسْتُرُ لَهَا العَيْبُ ، وَبِعِصْنِيْنِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ فِيْهِ ضَمَانَةُ الْمَغْفِرَةِ لِلذُّنُوبِ الْمُتَقْدِمَةِ وَالْمُتَأْخِرَةِ .

فَمِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ : إِسْبَاغُ الْوَضْوَءِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَا يُسْبِغُ الْوَضْوَءَ عَنْدَهُ ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخَرَ » ^(١) .

وَمِنْ تِلْكَ : إِجَابَةُ الْمُؤْذِنِ : « قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤْذِنَ : أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، رَضِيَ اللَّهُ رَبَّا ، وَبِمُحَمَّدِ رَسُولِ ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينِا ، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ » ^(٢) .

وَفِي مُسْتَخْرِجِ أَبِي عَوَانَةِ الْإِسْفَرَائِيِّيِّ عَلَى « صَحِيحِ مُسْلِمٍ » مِنْ رَوَايَةِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ : « غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخَرَ » فَقَالَ رَجُلٌ مُتَعْجِبًا : يَا سَعْدُ ، مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخَرَ؟ فَقَالَ : هَكَذَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

وَمِنْ تِلْكَ : صَلَاةُ التَّسَابِيعِ ، وَفِيهَا أَنَّ مَنْ فَعَلَهَا يُغْفَرُ لَهُ ذَنْبُهُ أُولُهُ

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَالْبَزَارُ فِي « مِسْنَدِهِ » ، وَأَصْلَحَ الْحَدِيثَ فِي « الصَّحِيحِ » لِكُنَّ لَيْسَ فِيهَا وَمَا تَأْخَرَ .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وآخره ، قدِيمُه وَحَدِيثُه ، خَطْرُه وَعَمْدُه ، صَغِيرُه وَكَبِيرُه ، سِرُّه وَعَلَانِيَّتُه .

وقد ذكرنا هذه الصلاة في موضع آخر من هذا الكتاب .

ومن ذلك : التَّأْمِينُ فِي الصَّلَاةِ ، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمْتَنَّا ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُؤْمِنُ ، فَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينَ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ »^(١) .

وفي « مصنف ابن وهب » : « غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخِرَ » .

قال الحافظ ابن حجر : هكذا رويَنا في المجلس الثاني من « أَمَالِي » عبد الله الجُرجاني .

ومن ذلك : صلاة الضحى : فقد رُوِيَ : « أَنَّ مَنْ صَلَّا هَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخِرَ ، إِلَّا الْقِصَاصَ » .

قال ابن حجر : إِنَّ إِسْنَادَهُ ضَعِيفٌ جَدًّا .

ومن ذلك : القراءة بعد الجمعة .

فقد رُوِيَ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ قَرَا إِذَا سَلَّمَ الْإِمَامُ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ رِجْلَهُ فَاتَّحَةُ الْكِتَابِ ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ سِبْعَاً سِبْعَاً ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخِرَ ، وَأُغْطِيَ مِنَ الْأَخْرِيَّ بِعَدَدِ مَنْ أَمَّنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ »^(٢) .

وفي « مصنف ابن أبي شيبة » عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها : « مَنْ قَرَا بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ فَاتَّحَةَ الْكِتَابِ ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ

(١) أخرجه مسلم . وهو عند البخاري ومالك وأصحاب السنن .

(٢) قال الحافظ ابن حجر : هكذا رواه أبو الأسد القشيري وفيه ضعف .

أحدٌ ، وقلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، وقلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، حُفِظَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْجَمِيعَةِ الْأُخْرَى ١ .

وذكر أبو عبيد مثله من غير ذكر الفاتحة ، وقال : « حُفِظَ أَوْ كُفِيَّ مِنْ
مَجْلِسِهِ ذَلِكَ إِلَى مَثْلِهِ ٢ .

وَمِنْ ذَلِكَ : فَضْلُ الْقِيَامِ فِي رَمَضَانَ .

فَقَدْ جَاءَ : « أَنَّ مَنْ قَامَ فِي رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقْدَمَ
مِنْ ذَنْبِهِ ٣ .

وَفِي رِوَايَةِ : « مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخُرَ ٤ .

وَمِنْ ذَلِكَ : فَضْلُ الْقِيَامِ لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ .

فَقَدْ جَاءَ فِي « الصَّحِيفَةِ » : « أَنَّ مَنْ قَامَهَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ ٥ ،
وَفِي رِوَايَةِ : « مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخُرَ ٦ .

وَمِنْ ذَلِكَ : فَضْلُ صِيَامِ عَرْفَةَ .

فَقَدْ جَاءَ فِي « صَحِيفَةِ مُسْلِمٍ » عَنِ النَّبِيِّ ٧ : « أَنَّ صِيَامَ يَوْمِ عَرْفَةَ ،
يُكَفِّرُ ذُنُوبَ السَّنَةِ الْمَاضِيَّةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ ٨ .

وَفِي رِوَايَةِ الْحَافِظِ أَبْيَ سَعِيدِ الْنَّقَاشِ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ٩ : « مَنْ صَامَ يَوْمَ عَرْفَةَ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ
وَمَا تَأْخُرَ ١٠ . نَقْلَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَمْرَةِ الْعَسْقَلَانِيُّ فِي كِتَابِهِ : « الْخَصَالُ
الْمُكَفَّرَةُ لِلذُّنُوبِ ١١ .

وَمِنْ ذَلِكَ : الإِهْلَالُ مِنْ الْمَسْجِدِ الْأَقْصِيِّ .

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الإمام أحمد والنسائي .

(٣) رواه الإمام أحمد والطبراني في « الكبير » .

فقد جاء في الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَهَلَّ بِحَجَّةَ أَوْ عُمْرَةَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، عُفِرَ لَهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخَرَ ، أَوْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » شَكْ عَبْدُ اللَّهِ . ورواه البيهقي في « شعب الإيمان » وقال فيه : « عُفِرَ لَهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخَرَ ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » .

ومن ذلك : ما جاء في فضل الحج الخالص .

جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا خَرَجَ الْحَاجُّ مِنْ بَيْتِهِ كَانَ فِي حِزْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنْ ماتَ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ نُسُكَهُ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَإِنْ يَقْضِيَ حَتَّى يَقْضِي نُسُكَهُ ، عُفِرَ لَهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخَرَ . وَإِنْفَاقُ دِرْهَمٍ فِي ذَلِكَ الْوَجْهِ ، يَعْدِلُ أَلْفَ الْفِيْفِيْنَ فِيمَا سِوَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

وفي رواية : « مَنْ قَضَى نُسُكَهُ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، عُفِرَ لَهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخَرَ » .

ومن ذلك : الصلاة خلف مقام إبراهيم عليه السلام .

فقد ذكر القاضي عياض في « الشفا » : أَنَّ مَنْ صَلَّى خَلْفَ مقام إِبْرَاهِيمَ رَكْعَتَيْنِ ، عُفِرَ لَهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخَرَ ، وَحُشِّرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْنِينِ^(١) .

ومن ذلك : قراءة سورة الحشر وتعليم الرجل ولده القرآن ، وفي ثبوتهما خلاف كبير بين المحدثين .

ومن ذلك : فضل التسبيح والتهليل والتكبير .

(١) رواها الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه : « الخصال المكفرة للذنب » ولم يذكروا تخريرا لها .

فقد روي : « أَنَّ مِنْ سَبَعَ مِائَةَ وَحَمِيدَ مِائَةَ وَكَبَرَ مِائَةَ ، عُفِرَ لَهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنِبِهِ وَمَا تَأْخَرَ »^(١) .

ومن ذلك : « أَنَّ مِنْ قَادَ مَكْفُوفًا أَرْبَعِينَ خَطْوَةً ، عُفِرَ لَهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنِبِهِ وَمَا تَأْخَرَ »^(٢) .

ومن ذلك : فَضْلُ السَّعْيِ فِي حَاجَةِ الْمُسْلِمِ .

وقد جاء في الحديث : « أَنَّ مَنْ سَعَى لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ ، فُضِّيَّثَ لَهُ أَوْ لَمْ تُقْضَ ، عُفِرَ لَهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنِبِهِ وَمَا تَأْخَرَ ، وَكُتِّبَ لَهُ بَرَاءَةٌ : بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ » والحديث بشواهده يصلح للاعتبار .

ومن ذلك : ما جاء في فَضْلِ الْمُصَافَحةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال : « مَا مِنْ عَبْدَيْنِ مُتَحَايَّبَيْنِ فِي اللَّهِ - وَفِي رَوَايَةِ - مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَّهَا كَهَنَةٍ وَيُصَلِّيَا نَعْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَّا لَمْ يَفْتَرِقا حَتَّى يُغْفَرَ لَهُمَا ذُنُوبُهُمَا مَا تَقْدَمَ مِنْهَا وَمَا تَأْخَرَ »^(٣) .

ومن ذلك : ما جاء في فَضْلِ الْحَمْدِ عَقْبَ الْأَكْلِ .

فقد جاء في الحديث : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِي مِنْ غَيْرِ حَزْلٍ مَنِي وَلَا

(١) قال شيخ الإسلام ابن حجر : رواه ابن حبان في فوائد [قلت] وقد رواه أحمد والنسائي بالفاظ مختلفة .

(٢) قال الحافظ ابن حجر : قال ابن منده : وهو غريب ، وقال الإمام أحمد وابن معين وأبو داود : رواه ثقات .

(٣) أخرجه ابن حبان ورواه أيضاً الإمام أحمد والبزار وأبو يعلى باختلاف بعض الفاظه عن أنس ورجال الإمام الصحيح غير ميمون بن عجلان وثقة ابن حبان ولم يضيقه أحد قاله الهيثمي .

فُوْرَةَ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخَرَ »^(١) .
وَمِنْ ذَلِكَ : فَضْلُ التَّعْمِيرِ فِي الْإِسْلَامِ .

فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِذَا بَلَغَ الْمَرءُ الْمُسْلِمُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، صَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعَ مِنَ الْبَلَاءِ : الْجَنُونَ وَالْجُذَامَ وَالْبَرَصَ ، فَإِذَا بَلَغَ خَمْسِينَ سَنَةً خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُ ذَنْبَهُ ، فَإِذَا بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً رَزَقَهُ اللَّهُ الْإِنْيَابَةَ إِلَيْهِ ، فَإِذَا بَلَغَ سَبْعِينَ سَنَةً أَحَبَّهُ الْمَلَائِكَةُ » - وَفِي رِوَايَةِ : أَهْلِ السَّمَاءِ - فَإِذَا بَلَغَ ثَمَانِينَ سَنَةً أُثْبِتَ حَسَنَاتُهُ وَمُحْيَثُ سَيِّئَاتُهُ ، فَإِذَا بَلَغَ تِسْعِينَ سَنَةً غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخَرَ ، وَسُمِّيَ أَسِيرَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَشُفِعَ لِأَهْلِ بَيْتِهِ » وَالْحَدِيثُ بِطُرْقِهِ يَصِلُّحُ لِلاعتِبَارِ .

* * *

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن غريب قال الحافظ ابن حجر في كتابه « الخصال المكفرة للذنوب » : إسناده حسن .

سَعَةُ رَحْمَةِ اللهِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ بِفَتْحِ أَبْوَابِ التَّوْبَةِ

وَمِنْ شَرْفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَفَضْلِهَا : مَا جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى لَهَا مِنْ سَعَةٍ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ ، وَعَظِيمٌ تَفْضِلَهُ بِفَتْحِ أَبْوَابِ التَّوْبَةِ وَالْتَّرْغِيبِ فِيهَا ، وَالْحَثُّ عَلَى الْمِبَادِرَةِ إِلَيْهَا .

قَالَ ﷺ : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَ يَنْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَنْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » ^(١) .

وَقَالَ ﷺ : « مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ » ^(٢) .

وَقَالَ ﷺ : « إِنَّ مَنْ قُتِلَ فِي الْمَغْرِبِ لَبَابًا مَسِيرًا عَرَضَهُ أَرْبَاعُونَ عَامًا أَوْ سَبْعَوْنَ سَنَةً فَتَحَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَ لِلتَّوْبَةِ يَوْمَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَلَا يُغْلِقُهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ » ^(٣) .

وَقَدْ فَتَحَ لَنَا ﷺ بَابَ الرَّجَاءِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ : « لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ خَطَايَاكُمُ السَّمَاءَ ثُمَّ تُبْتُمْ لِتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ » ^(٤) .

(١) رواه مسلم والنسائي .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الترمذى : والبيهقى واللطفى له وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

(٤) رواه ابن ماجه .

وقوله ﷺ : « كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ »^(١) .

وقوله ﷺ : « إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ : يَا رَبُّ ، إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ : عِلْمَ عَنِّي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، فَغَفَرَ لَهُ ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا آخَرَ وَرَبِّهَا قَالَ : ثُمَّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا آخَرَ فَقَالَ : يَا رَبُّ ، إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي . قَالَ رَبُّهُ : عِلْمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، فَغَفَرَ لَهُ . ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا آخَرَ وَرَبِّهَا قَالَ : ثُمَّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا آخَرَ فَقَالَ : يَا رَبُّ ، إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي . قَالَ رَبُّهُ : عِلْمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، فَقَالَ رَبُّهُ : غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلَيَعْمَلْ مَا شَاءَ »^(٢) .

وَمَعْنَى قَوْلِهِ : « فَلَيَعْمَلْ مَا شَاءَ » ، أَيْ أَنَّهُ بَعْدَ هَذَا الْعَفْوِ الْمُتَكَرِّرِ وَتَلْكَ الْمَغْفِرَةِ الْمُتَتَابِعَةِ ، سَيَحْصُلُ عَنْهُ بِفَضْلِ اللَّهِ مِنَ الْحَيَاةِ مَا يَمْنَعُهُ عَنِ الْمُخَالَفَةِ وَيَحْجِزُهُ عَنِ الْمُعْصِيَةِ ، وَذَلِكَ بِرِّكَةِ اسْتِغْفَارِهِ وَتَوْبَتِهِ . وَهَذَا يَدْلِيُ عَلَى فَضْلِ الْاسْتِغْفَارِ وَالْتَّوْبَةِ ، وَأَنَّ مُلَازِمَتِهَا وَالْحَرَصَ عَلَيْهَا وَالْأَشْتَغَالَ بِهَا ، تَعُودُ عَلَى الْعَبْدِ بِخَيْرَاتٍ كَبِيرَةٍ وَبِرَكَاتٍ عَظِيمَةٍ . مِنْهَا : عَظِيمُ حَيَاةِ مِنَ اللَّهِ الَّذِي يُعْفِفُ عَنِ الْمُعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتِ ، حَتَّى لَوْ قَيْلَ لَهُ فَرْضًا : أَفْعَلَ مَا شَتَّتَ مِنَ الْمُعَاصِي ، فَإِنَّهُ لَا يَفْعُلُ . هَذَا هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي وَقَعَ فِي قَلْبِي ، وَقَيْلَ غَيْرُ ذَلِكِ .

وَمِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ : أَنَّ التَّوْبَةَ الصَّادِقَةَ تَرْفَعُ الْعَبْدَ إِلَى أَعْلَى درَجَاتِ الْكَمَالِ ، وَأَرْفَعُ مَرَاتِبِ الْجَلَالِ ، فَيَعْلُوُ وَيَعْلُوُ ، بَلْ قَدْ يَزِيدُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَرْبَابِ الْأَعْمَالِ وَالْمُجَاهِدَاتِ .

عَنْ عُمَرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ امْرَأَةَ مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

رسول الله ﷺ وهي حُبلٌ من الزُّنَّا ، فقالت : يا رسول الله ، أَصَبَّتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ ، فَدَعَا نَبِيُّ الله ﷺ وَلَيْهَا فَقَالَ : أَخْسِنْ إِلَيْهَا ، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأَتَنِي بِهَا ، فَفَعَلَ ، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ الله ﷺ فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِّمَتْ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللهِ وَقَدْ رَأَتْنَاهُ ؟ قَالَ : لَقَدْ تَابَتْ تُوبَةً لَوْ قُسْمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتُهُمْ ، وَهُلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ؟ ^(١) .

وَمِنْ مَزَايَا هَذِهِ الْأُمَّةِ : أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَابَ ، أَنْسَى اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يُخَصُّونَ سَيِّئَاتِهِ ذُنُوبَهُ ، وَأَنْسَى جَوَارِحَهُ وَآثَارَهُ ذَلِكُ ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ بِذَنْبِ ^(٢) .

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ » ^(٣) .

« بَلْ إِنْ مُجْرِدَ النَّدَمْ ، تَوْبَةً » ^(٤) . وَجَاءَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَا عَلِمَ اللَّهُ مِنْ عَبْدٍ نَدَمَّا مَعَنْ ذَنْبٍ ، إِلَّا غَفَرَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ مِنْهُ » ^(٥) .

وَقَدْ بَشَّرَ اللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةُ بِقَبْوُلِ التُّوْبَةِ وَالْتَّرْغِيبِ فِي عَدْمِ الْيَأسِ وَقُذْفِ الرَّجَاءِ وَالْأَمْلِ فِي قُلُوبِ الْعُصَمَاءِ فَقَالَ : « قُلْ يَكْبَادِيَ الَّذِينَ أَنْرَقُوا عَلَيْنَ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الْذُنُوبَ جَمِيعًا إِنَّمَا هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » [الزمر : ٥٣] .

وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيْدِهِ ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا وَتَسْتَغْفِرُوا

(١) رواه مسلم .

(٢) جاء ذلك في حديث رواه الأصبهاني .

(٣) رواه ابن ماجه والطبراني .

(٤) رواه ابن حبان في « صحيحه » .

(٥) رواه الحاكم .

لذهب الله بكم ول جاء بقوم يذنون فيستغفرون الله ، فيغفر لهم «^(١) .

وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ المولى عز وجل يفرح بتوبة عبده أشدَّ الفَرَح فقال : قال الله عز وجل : « أنا عند ظنِّ عبدي بي ، وأنا معه حيث يذكُرني . والله أَفْرَحُ بِتُوبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّةً بِالْفَلَّةِ ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبَرًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلَتْ إِلَيْهِ أَهْزَوْلُ »^(٢) .

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا التَّقْرِبُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِالشَّبَرِ وَالذِّرَاعِ وَالبَاعِ وَالْمَشِي وَالْهَرْوَلَةِ ، لَيْسَ عَلَى حَقِيقَتِهِ الْمُتَصَوَّرَةِ فِي الْذَّهَنِ الْبَشَرِيِّ ، وَالْدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ : مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ ، وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ نَقَلَ هَذَا الْحَدِيثَ قَالَ : « وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَجْلُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَجْلُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَجْلُ »^(٣) .

فَقُولُهُ : « وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَجْلُ » أَكْبَرُ دَلِيلٍ ، وَأَعْظَمُ بُرْهَانٍ عَلَى أَنَّ حَقِيقَةَ الْلَّفْظِ الْمُتَبَادِرَةِ إِلَى الْذَّهَنِ ، غَيْرُ مُرَادَةٍ قَطَّعًا .

وَمَعْنَى الْحَدِيثِ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْضِي بِتُوبَةِ عَبْدِهِ وَيَفْرَحُ أَشَدَّ مَا يَرْضِي وَيَفْرَحُ رَجُلٌ ضَاعَتْ عَلَيْهِ نَاقَةٌ بِصَحْرَاءَ مُنْقَطَعَةَ ، ثُمَّ وَجَدَهَا وَعَلَيْهَا طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَمَتَاعَهُ ، وَكَانَ قَدْ يَشَّ منْهَا يَأْسًا اسْتَسْلَمَ مَعَهُ إِلَى الْمَوْتِ . وَيَصُورُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَدَّةَ فَرَحَ هَذَا الرَّجُلُ بِقَوْلِهِ : ثُمَّ قَالَ مِنْ شَدَّةِ الْفَرَحِ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطُأُ مِنْ شَدَّةِ الْفَرَحِ »^(٤) .

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي طَوْيلِ شَطْبِ الْمَمْدُودِ أَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه مسلم واللَّفْظُ لَهُ وَالبخاري بِنَحْوِهِ .

(٣) رواه أحمد والطبراني بِإِسْنَادِ حَسْنٍ .

(٤) رواه مسلم .

فقال : « أَرَأَيْتَ مَنْ عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلُّهَا وَلَمْ يَتُرُكْ مِنْهَا شَيْئاً وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتُرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً إِلَّا أَتَاهَا ، فَهَلْ لِذَلِكَ مِنْ تُوبَةٍ؟ قَالَ : فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟ قَالَ : أَمَا أَنَا ، فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْكَ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ : تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ وَتَتَرُكُ السَّيْئَاتِ ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللَّهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلُّهُنَّ . قَالَ : وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ . فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّى تَوَارَىٰ »^(١) .

* * *

(١) رواه البزار والطبراني .

وَمَعْنَى قَوْلِهِ : وَلَمْ يَتُرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً أَيْ الْحَاجَةُ الصَّغِيرَةُ وَالْحَاجَةُ الْكَبِيرَةُ .

وَمَعْنَى غَدَرَاتِي : أَيْ أَفْعَالِي الْذَّمِيمَةُ الَّتِي نَفَضَتْ فِيهَا الْعَهْدُ وَخَنَّتْ .

وَمَعْنَى فَجَرَاتِي : ارْتِكَابِي الْمُعَاصِي وَفَعْلِي الْمُوبِقاتِ .

وَمَعْنَى تَوَارِى : أَيْ اخْتَفَى عَنْ أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ .

فَضْلُ البُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ

وَمِنْ شَرْفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ : مَا جَاءَ فِي فَضْلِ البُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّ الْبَاكِيَ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ هُوَ مِنَ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظْلَمُهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، وَأَنَّهُ لَا يُعَذَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ :

عَيْنَانِ لَا تَمْسِهَا النَّارُ : عَيْنُ بَكْثَرٍ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنُ بَاتِّ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ ^(١) .

وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ **لَا يَلْجُؤُ** النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الصَّرْعَ ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ ^(٢) .

وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَا نَزَّلَتْ : **أَفَيْنَ هَذَا الْمَدِيدُ** تَعْجَبُونَ **وَتَضَحَّكُونَ وَلَا تَبْكُونَ** ^{٦٩-٦٠} [النَّجَمُ : ٦٠-٦٩] بَكَى أَصْحَابُ الصَّفَةِ حَتَّى جَرَتْ دَمَوعُهُمْ عَلَى خَدَوْهُمْ ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ **جِسْهَمَ** ، بَكَى

(١) رواه الترمذى . وقوله : « تحرس في سبيل الله » أي ظلت طول ليلها بقظة ساهرة ترقب جيوش الأعداء على كثب وتحفظ مكامن جيوشها .

(٢) رواه الترمذى والنسائي والحاكم . ومعنى « ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم » أي أن من جاهد في سبيل الله ، وحضر المعارك وجاهد لا يشم دخان النار أبداً .

معهم ، فبكتنا ببكائه فقال رسول الله ﷺ : « لا يَلْجُّ النَّارَ مَنْ بَكَىْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُصِّرٌ عَلَىٰ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَلَوْلَمْ تُذَنِّبُوا لَجَاءَ اللَّهَ بِقَوْمٍ يُذَنِّبُونَ ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ »^(١) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : كل عَيْنٍ باكيةٌ يوم القيمة ، إِلَّا عَيْنٌ غَضَّتْ عن محارم الله ، وَعَيْنٌ سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَعَيْنٌ خَرَجَ مِنْهَا مُثْلُ رَأْسِ الْذِبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٢) .

عن مُسْلِمَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنُ بَمَانِهَا ، إِلَّا حَرَمَ اللَّهُ سَائِرَ ذَلِكَ الْجَسَدِ عَنِ النَّارِ ، وَلَا سَالَتْ قَطْرَةٌ عَلَىٰ خَدَّهَا ، فَيَرْهَقُ ذَلِكَ الْوَجْهَ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ، وَلَوْلَمْ يَبْكِيْ بَكَيًّا فِي أُمَّةٍ مِنَ الْأَمْمِ رُحِمُوا ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا لَهُ مَقْدَارٌ وَمِيزَانٌ ، إِلَّا الدَّمْعَةُ فَإِنَّهُ تُطْفَأُ بِهَا بِحَارَّ مِنْ نَارٍ »^(٣) .

وقد أخبرنا بِهِ أنَّ تلك الدَّمْعَةَ تَكُونُ بِسَبَبِ الْخُوفِ مِنَ اللهِ ، هي أَحَبُّ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فَقَالَ : « لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَى اللهِ ، مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثْرَيْنِ ، قَطْرَةٌ دُمُوعٌ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَقَطْرَةٌ دَمٌ تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَأَمَا الْأَثْرَانُ : فَأَثْرٌ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَأَثْرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فِرَاضِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ »^(٤) .

* * *

(١) رواه البيهقي .

(٢) رواه الأصبهاني .

(٣) رواه البيهقي . قوله « يَرْهَقُ » : أي يغطى بشدة . قوله « قَتَرٌ » : دخان صاعد .

(٤) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

فَضْلُّ حُسْنِ الظُّنْنِ بِاللَّهِ وَعَظِيمُ الرِّجَاءِ فِيهِ

وَمِنْ فَضَائِلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ : مَا جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا مِنَ الْثَّوَابِ
الْعَظِيمِ وَالْأَجْرِ الْكَبِيرِ عَلَى حُسْنِ الظُّنْنِ بِهِ ، وَعَظِيمُ الرِّجَاءِ فِي فَضْلِهِ .

جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدُّسِيِّ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ
مَا دَعَوْتَنِي وَرَجُوتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ ، لَوْ
بَلَغَ ذُنُوبُكَ عَنَّا السَّمَاءَ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ ، يَا ابْنَ آدَمَ ، لَوْ أَتَيْتَنِي
بِقُرُبَ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَبَتِنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئاً ، لَأَتَيْتَكَ بِهَا مَغْفِرَةً »^(١) .

وَجَاءَ : « أَنَّ حُسْنَ الظُّنْنِ ، مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ »^(٢) .

وَحُسْنُ الظُّنْنِ بِاللَّهِ ، مُحَتَّمٌ عِنْدَ الْمَوْتِ . لَذَلِكَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَمُوتُنَّ أَحَدُكُمْ ، إِلَّا وَهُوَ يُخْسِنُ الظُّنْنَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »^(٣) .

وَدَخَلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى شَابٍ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ : « كَيْفَ تَجَدُّكُ ؟
قَالَ : أَرْجُو اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
لَا يَجْتَمِعُنَّ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو ،
وَأَمْنَهُ مِمَّا يَخَافُ »^(٤) .

(١) رواه الترمذى . وقوله : « قراب الأرض » أي ما يقارب ملأها .

(٢) رواه أبو داود . وابن حبان .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه الترمذى . وابن ماجه وابن أبي الدنيا .

وعن حَيَّان أَبِي النَّضْر قَالَ : خَرَجْتُ عَائِدًا لِيَزِيدَ بْنَ الْأَسْوَدِ ، فَلَقِيتُ وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعَ وَهُوَ يُرِيدُ عِيَادَتَهُ ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَى وَاثِلَةً ، بَسَطَ يَدُهُ وَجَعَلَ يُشَيِّرُ إِلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ وَاثِلَةً حَتَّى جَلَسَ ، فَأَخْذَ يَزِيدَ بِكَفَّيْنِ وَاثِلَةً فَجَعَلَهُمَا عَلَى وَجْهِهِ . فَقَالَ لَهُ وَاثِلَةً : كَيْفَ ظَنَكَ بِاللَّهِ ؟ قَالَ : ظَنَنِي بِاللَّهِ وَالْمَرْحَبَةِ حَسْنُ . قَالَ : فَأَبْشِرْ ، فَلَوْنِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : أَنَا عَنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ »^(١) .

وَمَعْنَى قَوْلِهِ : « أَنَا عَنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي » ، أَيْ : أَحْقَقَ لَهُ مَا يَظْنَهُ فِي مِنْ قَبْوِلِ رَجْعَتِهِ وَمَغْفِرَةِ خَطِيَّتِهِ ، وَإِجَابَةِ دُعَوَتِهِ .

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا كَمُلَ فِيهِ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ، فَإِذَا كَمُلَ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ، حَصَلَ مِنْهُ مَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ مِنْ صِدْقِ الْإِقْبَالِ وَصِحَّةِ التَّوْبَةِ ، وَكُثْرَةِ الْاسْتغْفَارِ وَالدُّعَاءِ ، وَطَرْقِ أَبْوَابِ الْخَيْرِ ، فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ ثُمَراتِ حُسْنِ الظَّنِّ ، وَإِذَا حَصَلَ ذَلِكَ مِنْهُ ؛ كَيْفَ لَا يَكُونُ عَنْهُ مَوْلَاهُ ؟ وَكَيْفَ لَا يُحْقِقَ ظَنَّهُ وَرَجَاءَهُ ؟ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْعُودَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، لَا يُحْسِنُ عَبْدُ بِاللَّهِ الظَّنَّ ، إِلَّا أُعْطَاهُ ظَنَّهُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْخَيْرَ فِي يَدِهِ »^(٢) .

وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمْرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ بَعِيدٌ إِلَى النَّارِ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى شَفَتِهَا التَّفَتَ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ ، إِنْ كَانَ ظَنِّي بِكَ لَحَسَنٌ ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ : رُدُّوهُ أَنَا عَنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِي بِي »^(٣) .

* * *

(١) رواه أحمد وابن حبان في « صحيحه » والبيهقي .

(٢) رواه الطبراني .

(٣) رواه البيهقي .

مُضَاعَفَةُ ثَوَابِ الْعَامِلِينَ فِي زَمَانِ الْفِتْنَةِ

ومن شرف هذه الأمة المحمدية : أن العمل الصالح يتضاعف ثوابه عند فساد الزمان ، حتى إن العامل في زمن الفتنة ، له أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله .

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اتَّمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْتَهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتُ شَخْصاً مُطَاعِماً وَهُوَيْ مُتَبَّعاً وَدُنْيَا مُؤْثِرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكِ وَدَغْ عَنْكَ الْعَوَامَ ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجُمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ » ^(١) .
وفي رواية : « قيل : يا رسول الله ، أجر خمسين رجلاً مِنْا أو مِنْهُمْ ؟
قال : أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ » ^(٢) .

وقوله في الحديث : « فَإِنْ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ » الحديث ، أي : أنَّ كَبِيعَ جِمَاحَ النَّفْسِ عَنِ الْمَعَاصِي صَعُبَ مِرْءٌ وَمَحْرُقٌ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى النَّارِ ، وَلَكِنَّ فِي ذَلِكَ ثَوَابًا لِمَنْ أَتَقَى اللَّهَ وَاجْتَنَبَ صُحْبَةَ الْفُسَاقِ وَالْأَشْرَارِ ، فَالْعَابِدُ يُعْطِيهِ اللَّهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْ عَمَلِ مِثْلِهِ .

وجاءَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَّ الْعِبَادَةَ فِي زَمَانِ الْفِتْنَةِ ، تُسَاوِي فِي الْثَّوَابِ الْهِجْرَةَ إِلَيْهِ » ^(٣) .

(١) رواه ابن ماجه والترمذى وأبو داود بزيادة .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه مسلم .

فَضْلُ الْغَنِيِّ الشَّاكِرِ وَالْفَقِيرِ الصَّابِرِ

وَمِنْ شَرْفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ : أَنَّ الْفَضْلَ وَالثَّوَابَ يَشْمَلُ الْغَنِيَّ
الشَّاكِرِ وَالْفَقِيرِ الصَّابِرِ ، فَأَمَّا الْغَنِيُّ : فَبِإِنْفَاقِهِ السَّخِيِّ وَإِحْسَانِهِ إِلَى
إِخْرَاجِهِ ، يُقْرِضُ هَذَا وَيُجْبِرُ كَسْرَهُ هَذَا ، وَيُسْدِدُ دِينَهُ هَذَا ، وَيَبْذُلُ فِي سَبِيلِ
الْإِسْلَامِ وَنُصْرَةِ الدِّينِ وَمُسَاعَدَةِ الْمُجَاهِدِينَ .

وَأَمَّا الْفَقِيرُ : فَبَصِيرَهُ وَقَنَاعَتُهُ وَرِضَاهُ ، مَعَ تَوْفُّرِ دَوَاعِيِ الشَّرِّ عِنْهُ مِنْ
الْحِقْدِ وَالْحَسِدِ وَالْطَّمَعِ وَالْاعْتَرَاضِ وَالْقُلُقِ ، وَارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ مِنْ
السَّرْقَةِ وَالرِّبَا وَالْخِدَاعِ وَأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَغَيْرِ ذَلِكِ ، وَيَحْتَمِلُ
أَنَّهُ طَرَقَ أَبْوَابَ الدُّنْيَا وَحَاوَلَ الْوُصُولَ وَنَافَسَ الْفُحُولَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُفْلِحْ
وَلَمْ يَنْجُحْ ، كَمَا هُوَ الْمُشَاهِدُ مِنَ الْوَاقِعِ النَّاطِقِ الْمُحْسُوسِ . فَكُمْ مِنَ
الْفُقَرَاءِ لَمْ يُقْصِرُوا فِي الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ ، بَذَلُوا وَسَعْهُمْ وَأَتَعْبُوا فَكُرْهُمْ فِي
الْاحْتِيَالِ ، فَبَأْوُوا بِالْفَشْلِ وَسُوءِ الْحَالِ . فَهُؤُلَاءِ بَشَرُّهُمْ سَيِّدُنَا
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَشَارَاتٍ تُعَوْضُهُمْ مَا فَاتَهُمْ ، وَتَجْمَعُ لَهُمْ مَا ذَهَبَ عَنْهُمْ ،
وَتَجْبِرُ خَاطِرُهُمُ الْمُنْكَسِرُ فِي الدُّنْيَا بِخَيْرِ الْآخِرَةِ ، لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمُ مَنْ
أَنْ يَجْمَعَ عَلَيْهِمْ خَسَارَتِينَ ، وَيُئْعِسَهُمْ مَرْتَينَ .

وَلَذِكْ يَقُولُ ﷺ : « اطْلَغْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ »^(١) .

(١) رواه أَحْمَدُ .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهمَا عن رسول الله ﷺ أنه قال : « هل تذَرُون أولَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ قالوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قال : الْفُقَرَاءُ الْمَهَاجِرُونَ الَّذِينَ تُسَدِّدُ بِهِمُ التُّغْوِيرُ ، وَتُتَقْنَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِعُ لَهَا قَضَاءً . فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ : اثْتُوْهُمْ فَحَيُّوْهُمْ ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : رَبَّنَا نَحْنُ سُكَّانُ سَمَايِّكَ وَخَيْرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ تَأْتِيَ هُؤُلَاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ ؟ ! قال : إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي وَلَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَتُسَدِّدُ بِهِمُ التُّغْوِيرُ وَتُتَقْنَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِعُ لَهَا قَضَاءً . قال : فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَيُدْخِلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ » ^(١) .

عن ثَوْبَانَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ حَوْضِي مَا بَيْنَ عَدْنَ إِلَى عَمَّانَ ، أَنْكُوَابِهِ عَدْدُ النَّجُومِ ، مَأْوَاهُ أَشَدُ بِيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسْلِ ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ وُرُودًا عَلَيْهِ فُقَرَاءُ الْمَهَاجِرِينَ ، قَلَّنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، صِفَهُمْ لَنَا ، قَالَ : شُعْثُ الرَّوْفُوسِ ، دُنسُ الشَّيَابِ ، الَّذِينَ لَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ وَلَا تُفْتَحُ لَهُمُ الشَّدَّدُ ، الَّذِينَ يُعْطَوْنَ مَا عَلَيْهِمْ وَلَا يُعْطَوْنَ مَا لَهُمْ » ^(٢) .

(١) رواه أحمد والبزار وابن حبان .

قوله : « تسد بهم التغور » أي يكونوا عرضة لصد هجمات الأعداء ، وخصوصاً قوية منيعة لرد الخصوم الكفار الفجّار .

(٢) رواه الطبراني وابن ماجه والترمذى بنحوه .

قوله : « شعث الرؤوس » أي رؤوسهم متغيرة متلبدة .

قوله : « دنس الشياب » أي ملابسهم بالية قذرة .

قوله : « المتنعمات » أي السيدات المترفة اللاتي لا يساعدن على تقوى الله =

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهمَا عن النبِي ﷺ قال : « يجتمعون يوم القيمة فيقال : أين فقراء هذه الأُمَّةِ ؟ قال : فيقال لهم : ماذا عملتم ؟ فيقولون : ربنا ابْتَلَنَا فصَبَرْنَا ، وولَّت الأموال والسلطان غيرنَا ، فيقول الله جل وعلا : صدقتم ، قال : فيدخلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ النَّاسِ ، ويبيَّنُ شِدَّةُ الْحِسَابِ عَلَى ذُوِي الْأَمْوَالِ وَالسُّلْطَانِ ، قالوا : فَأَيْنَ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَئِذٍ ؟ قال : يُوَضَّعُ لَهُمْ كَرَاسِيٌّ مِّنْ نُورٍ ، وَيَظْلَلُ عَلَيْهِمُ الْغَمَامُ يَكُونُ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَقْصَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سَاعَةٍ مِّنْ نَهَارٍ » ^(١) .

وعن سعيد بن عامر رضي الله عنه عن النبِي ﷺ قال : « إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ يَزْفُونَ كَمَا تَرْفُنَ الْحَمَامُ ، فيقال لهم : قِفُوا لِلْحِسَابِ ، فيقولون : وَاللَّهِ مَا تَرَكْنَا شَيْئاً نُحَاسِبُ ، فيقول الله عز وجل : صَدَقَ عَبْدِي ، فيدخلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ النَّاسِ بِسَبْعِينَ عَامًا » ^(٢) .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهمَا قال : « كنْتَ عَنْدَ رَسُولِ الله ﷺ يوْمًا فَطَلَعَتِ الشَّمْسُ فَقَالَ : يَأْتِي قَوْمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُورُهُمْ كَنُورِ الشَّمْسِ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : نَحْنُ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكُمْ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، وَلَكُنْهُمُ الْفُقَرَاءُ الْمَهَاجِرُونَ الَّذِينَ يُخْشَرُونَ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ » ^(٣) ، الحديث .

وعن حارثة بن وَهْبٍ رضي الله عنه قال : سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ

وَمَعْنَى قَوْلِهِ : « وَلَا تَنْتَعِ لَهُمُ السَّدَادُ إِلَّا خَ ، أي يُؤْدِونَ الْوَاجِبَ وَحَقَوقَ النَّاسِ كَامِلَةً وَحَقِّرُوْهُمْ مَهْضُومَةً وَأَمْوَالُهُمْ يَطْمَعُ النَّاسُ فِيهَا لِتَسَامِحُهُمْ وَلِعَكْرُوْهُمْ عَلَى الْعِبَادَةِ .

(١) رواه الطبراني وابن حبان .

(٢) رواه الطبراني وابن حبان .

(٣) رواه أحمد والطبراني .

يقول : « ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيفٍ مستضعفٍ ، لو يُقْسِمُ على الله لأَبَرَه . ألا أخبركم بأهل النار؟ كُلُّ عُنْتُلٍ جَوَاطِي مُسْتَكْبِرٍ »^(١) .

وقدَّمَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ حقيقة الغنى وحقيقة الفقر بقوله لأبي ذرٍّ رضي الله عنه : « يا أبا ذرٍّ ، أتَرَى كثرة المال هو الغنى؟ قُلْتَ : نعم يا رسول الله ، قال : فَتَرَى قِلَّةِ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرُ؟ قُلْتَ : نعم يا رسول الله ، قال : إِنَّمَا الْغِنَى عَنِ الْقَلْبِ ، وَالْفَقْرُ فِي الْقَلْبِ » الحديث .

عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ إِذَا صَلَّى بِالنَّاسِ ، يَخْرُجُ رَجَالٌ مِّنْ قَامَتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الْخَاصَّةَ ، وَهُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ ، حَتَّى يَقُولَ الْأَعْرَابُ : هُؤُلَاءِ مَجَانِيْنُ أَوْ مَجَانُوْنَ . فَإِذَا صَلَّى بِالنَّاسِ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : لَوْ تَعْلَمُوْنَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ، لَا خَبِيْثُمْ أَنْ تَزَدَّادُوْنَا فَاقْتَدِرْنَا وَحَاجَةً »^(٢) .

* * *

(١) رواه النسائي وابن حبان .

(٢) رواه الترمذى وابن حبان .

فَضْلُ الرُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالِإِقْبَالُ عَلَى الْآخِرَةِ

وَمِنْ فَضْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ : مَا بَشَّرَ بِهِ الْمُقْبِلِينَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ الْمُشْمِرِينَ فِي رِضَاهُ وَطَلْبِ جَنَّتِهِ ، الْمَسَارِعِينَ إِلَى مَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ، الرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ ، الْمَعْرُضِينَ عَنِ الدُّنْيَا ، بَشَّرَهُمْ بِالْغَنَّى وَجَمْعِ الشَّمْلِ وَمَحْبَّةِ النَّاسِ وَمَوْدَتِهِمْ لَهُمْ ، وَتَيسِيرِ أَمْرِهِمْ وَتَسْخِيرِ الدُّنْيَا لَهُمْ ، وَكَفَايَةِ اللهِ لَهُمْ .

جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقَدِيسِ : « يَا ابْنَ آدَمَ ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ قَلْبَكَ غِنَّى ، وَأَمْلَأْ يَدِيكَ رِزْقًا . يَا ابْنَ آدَمَ ، لَا تُبَايِعُنِي أَمْلَأْ قَلْبَكَ فَقْرًا ، وَأَمْلَأْ يَدِيكَ شُغْلًا »^(١) .

وَبِقَوْلِهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : « تَفَرَّغُوا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا مَا أَسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمَّهُ ، أَفْشَى اللهُ ضَيْنَعَتُهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنِيهِ ، وَمَنْ كَانَ الْآخِرَةُ أَكْبَرَ هَمَّهُ ، جَمَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ أَمْوَالَهُ وَجَعَلَ غِنَّاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ تَقْدُّمَ إِلَيْهِ

(١) رواه الحاكم .

قَوْلُهُ : « أَمْلَأْ قَلْبَكَ غِنَّى » أي قناعة ووسطة ورخاء وسعة .

وَقَوْلُهُ : « أَمْلَأْ يَدِيكَ شُغْلًا » أي أَجْعَلْ أَعْمَالَكَ كَثِيرَةً بلا فائدة وأَسْلَطَ عَلَيْكَ الدُّنْيَا تَسْخِيرَكَ بِجَشْعِهَا .

باليُود والرحمة ، وكان الله عَزَّ وجلَّ إليه بكلٍّ خيرٌ أُسرَعَ «^(١)» .

ويقوله ﷺ : « من كانت الدنيا نيتها ، فَرَقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غُناهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ » «^(٢)» .

وأعلم ؛ أنه ليس المراد من هذه الأحاديث حتَّى الناس على ترك العمل والسعى في الدنيا والأخذ بالأسباب ، لا ! .

بل إنَّ العمل والسعى في طلب الدنيا في اعتبار الإسلام ، عِبَادَةٌ ما دام أنه يحفظ به نفسه وأهله وماله ، وَيَنْفُعُ إِخْرَانَهُ .

والمقصود المعتبر عند ذوي البصائر هو ذَمُّ المقربين على الدنيا إقبالاً يقطعهم عن الآخرة ، بحيث تتمكن من قلوبهم فَتَعْظُمُ عندهم حتى يَعْزِزُ عليهم إنفاقها ، ويُؤْلِمُهم إخراجها ، وتملاً عليهم فراغهم ، حتى تقطعهم عن أهم الواجبات الشخصية والفرائض العينية .

وهذا معنى قوله في الأحاديث السابقة : « فَإِنَّمَا كَانَتِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمَّهُ » ، أي : نهاية ما يرجو من كَدَّه . وَيُقَابِلُهُ قَوْلُهُ : « وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ أَكْبَرَ هَمَّهُ » وَلَمْ يَقُلْ : هَمَّهُ - لِبَيْنَ أَنَّ مَنْ اشْتَغَلَ بِشَيْءٍ مِّنَ الدُّنْيَا لِلْمَقَاصِدِ الْمُحْمُودَةِ ، فَعَمِلَهُ مَحْمُودٌ خارِجٌ عَنِ الْمَذَمَّةِ .

وعلى هذا تُحمل جميع الفاظ الأحاديث الواردة في هذا الباب ، كقوله ﷺ : « مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ ، جَعَلَ اللَّهُ عِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ » ، ومن كانت الدنيا هَمَّهُ ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِرَ لَهُ » «^(٣)» .

(١) رواه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » والبيهقي في « الزهد » .

(٢) رواه ابن ماجه والطبراني .

(٣) رواه الترمذى .

وَمَعْنَى قَوْلَهُ : « جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ » أَيْ : أَنَّهُ مِمَّا سَعَى وَجَمَعَ فَإِنَّهُ لَا يَرَى نَفْسَهُ إِلَّا فَقِيرًا ، وَمِمَّا اجْتَهَدَ فِي الدُّنْيَا وَتَعَبَ ، فَإِنَّهُ لَا يَرَى نَفْسَهُ إِلَّا مُقْصِرًا ، وَمِمَّا سَهِرَ وَكَدَ ، فَإِنَّهُ يَرَى أَنَّهُ لَا زَالَ مُحْتَاجًا ، فَيَوْا صِلَّ كَذَّهُ وَجَهْدَهُ وَتَعَبَّهُ مَعَ هَذَا الشَّعُورُ وَالْإِحْسَاسُ ، حَتَّى لَا يَسْتَقِرَّ لَهُ بَالٌ ، وَلَا تَهَدَّأَ لَهُ نَفْسٌ ، وَلَا يَطْمَئِنَّ لَهُ قَلْبٌ ، وَلَا تُثْبَتَ لَهُ غَايَةٌ ، بَلْ يَجْرِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَالْحَمَارِ حَتَّى أَنَّهُ لَا يَسْتَفِيدُ هُوَ مِنْ دُنْيَا هُوَ بِفَائِدَةٍ تَجْمَعُ عَلَيْهِ نَفْسَهُ وَتَقْرَرُ لَهُ عَيْنَهُ ، وَبِهَذَا يَكُونُ قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ .

* * *

فَضْلُ الصَّابِرِ عَلَى الْبَلَاءِ

وَمِنْ فَضَائِلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَشَرْفُهَا : مَا جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا مِنَ الْفَضْلِ
وَالثَّوَابِ عَلَى الصَّابِرِ .

عَنْ أَبِي مَالِكَ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
«الْطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلَّأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ تَمَلَّأُنِّي أَوْ تَمَلَّأُ مَا بَيْنِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ
بَرْهَانٌ ، وَالصَّابِرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ . كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو
فِيَّا يَنْتَهِ نَفْسَهُ فَمُغْتَقِّهَا ، أَوْ مُؤْيِّقَهَا»^(١) .

قَالَ الْعَلْقَمِيُّ : قَالَ النَّوْوَيُّ : مَعْنَاهُ : الصَّابِرُ الْمُحْبُوبُ فِي الشَّرِّ ،
وَهُوَ الصَّابِرُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَالصَّابِرُ عَنْ مُعْصِيَتِهِ ، وَالصَّابِرُ أَيْضًا عَلَى
النَّائِبَاتِ وَأَنْوَاعِ الْمُكَارَهِ فِي الدُّنْيَا . وَالْمَرَادُ : أَنَّ الصَّابِرَ الْمُحْبُوبَ لَا يَزَالُ
صَاحِبَهُ مُسْتَضِيًّا مُهَتَدِيًّا مُسْتَمِرًّا عَلَى الصَّوَابِ .

قَالَ إِبْرَاهِيمَ الْخَوَاصِ : الصَّابِرُ هُوَ الْبَثَاثُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ .

وَقَالَ الأَسْتَاذُ أَبُو عَلِيِّ الدَّقَاقِ : حَقِيقَةُ الصَّابِرِ أَنَّ لَا يَعْتَرِضُ عَلَى
الْمَقْدُورِ ، فَأَمَّا إِظْهَارُ الْبَلَاءِ لَا عَلَى وَجْهِ الشُّكُورِ ، فَلَا يُنَافِي الصَّابِرَ .

(١) رواه مسلم .

قال تعالى في أیوب : «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا» [ص : ٤٤] مع أنه قال : «أَفَمَسَّيَ الْقُضَّى» [الأنبياء : ٨٣] .

ومعنى : «والقرآن حجّة لك» أي : تنتفع به إن تلوّته وعملت به ، «أو عليك» إن أعرضت عنه .

ومعنى : «كل الناس يغدو» أي : يتوجّه نحو ما يريد .

وقوله : «فمتعتها أو موبقها» أي : فمبعدها من النار أو مهلكها .

قال العلقمي : معناه : أنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يسعى بِنَفْسِهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَبْيَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ فَيَعْتَقُهَا مِنَ الْعَذَابِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْيَعُهَا لِلشَّيْطَانِ وَالْهَوَى بِاتِّبَاعِهِمَا فِي وَبِقَهَا - أَيْ يُهْلِكُهَا - كَأَنَّهُ قِيلَ : مَا حَالَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ؟ فَأَجَيْبُ : كُلُّ النَّاسِ كَذَا وَكَذَا .

وقد أخبر ﷺ أنَّ الصَّابِرَ مِنَ الْمَهْتَدِينَ الْآمِنِينَ .

قال النبي ﷺ : «مَنْ أَغْطَى فَشَكَرَ ، وَابْتَلَى فَصَبَرَ ، وَظَلَمَ فَاسْتَغْفَرَ ، وَظَلَمَ فَغَفَرَ . ثُمَّ سَكَتَ . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَهُ؟ قَالَ : أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ»^(١) .

والصَّابِرُ هُوَ بَابُ الْفَرَجِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «الصَّابِرُ مِعْوَلُ الْمُسْلِمِ»^(٢) .

والصَّابِرُ عَلَى الْبَلَاءِ كَفَارَةٌ وَطُهْرَةٌ لِلْعَبْدِ .

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَا ابْتَلَى اللَّهُ عَبْدًا بِبَلَاءٍ وَهُوَ عَلَى طَرِيقَةٍ يَكْرَهُهَا ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْبَلَاءَ

(١) رواه الطبراني .

(٢) رواه رزين . وقوله : «معول المسلم» : أي الذي يعتمد عليه ويستعين به في إزالة همومه .

كُفَّارَةً وَطُهُورًا مَا لَمْ يُنْزِلْ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ بِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، أَوْ يَذْعُو
غَيْرَ اللَّهِ فِي كَشْفِهِ »^(١) .

وَمِنْ فَضَائِلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ : أَنْ شَدَّةَ الْبَلَاءِ عَلَى الْوَاحِدِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِحَسْبِ قُوَّةِ
الدِّينِ .

عَنْ أَبْنَى الْمَسِّيْبِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعْدٍ قَالَ : « سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ
النَّاسُ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ : الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْمَالُ فَالْأَمْمَالُ ، يُبَيَّنُونَ النَّاسُ عَلَى
حَسْبِ دِينِهِمْ ، فَمَنْ تَحْنَّ دِينُهُ اشْتَدَّ بِبَلَاؤُهُ ، وَمَنْ ضَعُفَ دِينُهُ ضَعُفَ
بِبَلَاؤُهُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيُصِيبُهُ الْبَلَاءُ حَتَّى يَمْشِيَ فِي النَّاسِ مَا عَلَيْهِ
خَطِيْبَةً »^(٢) .

أَمَا فِي الْآخِرَةِ : فَقَدْ جَاءَ فِي حَقِّ أَهْلِ الْبَلَاءِ مِنَ الثَّوَابِ ، مَا يَتَمَنَّى مَعَهُ
أَهْلُ الْعَافِيَةِ أَنْ لَوْ أَنْفَمُسُوا فِي الْبَلَاءِ أَنْغَمَاسًا .

عَنْ أَبْنَى عَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ قَالَ : « يُؤْتَى بِالشَّهِيدِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ قَبْوِقُ الْحِسَابِ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمُتَصَدِّقِ فَيُنَصَّبُ لِلْحِسَابِ ، ثُمَّ يُؤْتَى
بِأَهْلِ الْبَلَاءِ فَلَا يُنَصَّبُ لَهُمْ مِنْزَانٌ وَلَا يُنَصَّبُ لَهُمْ دِنَوْانٌ ، فَيُنَصَّبُ عَلَيْهِمْ
الْأَجْرُ صَبَّاً ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْعَافِيَةِ لِيَسْمَوْنَ فِي الْمَوَاقِفِ أَنَّ أَجْسَادَهُمْ
قُرِضَتْ بِالْمَقَارِيسِ مِنْ حُنْنِ ثَوَابِ اللَّهِ »^(٣) .

وَقَدْ بَشَّرَ اللَّهُ سَبِّحَهُ وَتَعَالَى الْمُؤْمِنُونَ الْمُبْتَلَى بِمَا يَطْمَئِنُ قَلْبُهُ وَيُسْلِيهُ
وَيُبَيِّنُهُ وَيُوَاسِيهِ .

عَنْ أَنْسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ : « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَنْدَهُ
أَوْ أَرَادَ أَنْ يُصَفِّيهِ ، صَبَّ عَلَيْهِ الْبَلَاءَ صَبَّاً ، وَثَجَّةً عَلَيْهِ ثَجَّاً ، فَإِذَا دَعَا

(١) رواه ابن أبي الدنيا .

(٢) رواه ابن حبان .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » .

العبد قال : يا ربِّي ، قال الله : لَيَتَكَ يا عبدِي ، لا تَسْأَلْنِي شيئاً إِلَّا
أَعْطَيْتَكَ ، إِمَّا أَنْ أَعْجَلَهُ لَكَ ، وَإِمَّا أَنْ أَدْخِرَهُ لَكَ «^(١)» .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ
خَيْرًا ، يُصْبِتُ مِنْهُ » «^(٢)» .

وَبَشَّرَ اللَّهُ الْمُبْتَلُ الصَّابِرُ بِمُنْزَلَةِ فِي الْجَنَّةِ لَا يُدْرِكُهَا إِلَّا بِذَلِكِ الْبَلَاءِ ،
فَقَالَ ﷺ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مُنْزَلَةٌ فَلَمْ يَتَلَعَّهَا بِعَمَلٍ ،
إِبْلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ ثُمَّ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ ، حَتَّى يَتَلَعَّهُ
الْمُنْزَلَةُ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » «^(٣)» .

وَالْبَلَاءُ أَخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى لِيُظْهِرَ الصَّافِي الصَّادِقَ مِنْ
غَيْرِهِ . وَلَذِلِكَ جَاءَ مِنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ لَيَجْرِبُ أَحَدَكُمْ بِالْبَلَاءِ كَمَا
يُجَرِبُ أَحَدَكُمْ ذَهَبَهُ بِالنَّارِ ، فِيمَنْهُ مَا يَخْرُجُ كَالذَّهَبِ الْإِنْرِيزِ ، فَذَلِكَ الَّذِي
حَمَاءُ اللَّهِ مِنَ السُّبُّهَاتِ ، وَمِنْهُ مَا يَخْرُجُ دُونَ ذَلِكَ ، فَذَلِكَ الَّذِي يَشْكُ
بَعْضَ الشَّكِّ ، وَمِنْهُ مَا يَخْرُجُ كَالذَّهَبِ الْأَسْوَدِ ، فَذَلِكَ الَّذِي أَفْتَنَ » «^(٤)» .

فَإِذَا أُصِيبَ بِمُصِيبةٍ فِي مَالِهِ أَوْ نَفْسِهِ وَكَتَمَهَا وَلَمْ يَشْكُهَا إِلَى النَّاسِ ،
كَانَ حَقًا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ «^(٥)» .

وَإِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُ الْعَبْدِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يُكَفِّرُهَا ، إِبْلَاهُ اللَّهُ بِالْحَزَنِ
لِيُكَفِّرَهَا عَنْهُ «^(٦)» .

(١) رواه ابن أبي الدنيا .

(٢) رواه مالك والبخاري : قوله « يصبه منه » : يوجه إليه مصيبة .

(٣) رواه أحمد وأبو داود وأبي يعلى والطبراني في « الكبير » و« الأوسط » .

(٤) رواه الطبراني في الكبير .

(٥) جاء هذا في الحديث المرفوع الذي رواه الطبراني .

(٦) جاء هذا في حديث رواه أحمد .

وَلَا غَرَابَةَ فِي صَبَرِ الصَّابِرِينَ عَلَى شِدَّةِ الْبَلَاءِ تَطْلُعًا إِلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ ،
مَا هُوَ خَيْرٌ وَأَبْقَى .

فقد جاء في الحديث عن عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه قال : قال :
لي ابن عباس رضي الله عنهما : ألا أرِينَكَ امرأةً من أهْلِ الْجَنَّةِ؟ فقلتُ :
بَلِّي . قال : هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلتُ : إِنِّي أَضْرَعُ وَلَيْتَ
أَتَكَشِّفُ ، فَادْعُ اللَّهَ لِي . قال : إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ شِئْتِ
دَعَوْتَ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكَ؟ قالتُ : أَضْبِرُ ، فقلتُ : إِنِّي أَتَكَشِّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي
أَنْ لَا أَتَكَشِّفَ ، فَدَعَاهَا ^(١) .

وَمِنَ الْبَشَائِرِ الْعَظِيمِ الَّتِي بَشَّرَ بِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُبْتَلِي : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَكَرَّمُ
عَلَيْهِ فَيَجِزِي لَهُ ثَوَابَ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ قَبْلَ مَرْضِهِ .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِذَا
ابْتَلَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ بِبَلَاءً فِي جَسَدِهِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
لِلْمَلَكِ : اكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلًا الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ ، وَإِنْ شَفَاهُ غَسْلَةٌ
وَطَهْرَةٌ ، وَإِنْ قَبَضَهُ غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ» ^(٢) .

وَرَوَى عَنْ أَبْنَى مُسْعُودٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
«عَجَبَ لِلْمُؤْمِنِ وَجَزَعَهُ مِنِ السَّقَمِ ، وَلَوْ كَانَ يَعْلَمُ مَا لَهُ مِنِ السَّقَمِ أَحَبَّ
أَنْ يَكُونَ سَقِيمًا الدَّهَرَ ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ
فَضَرِحَ ، فَقَيْلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مِمَّ رَفَعْتَ رَأْسِكَ إِلَى السَّمَاءِ فَضَحَّكْتَ؟
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَجِبْتُ مِنْ مَلَكِنِي كَانَا يَلْتَمِسَانِي عَبْدًا فِي مُصَلَّى كَانَ
يُصَلِّي فِيهِ ، فَلَمْ يَجِدَاهُ فَرَجَعَا فَقَالَا : يَا رَبَّنَا ، عَبْدُكَ فَلَانُ كَنَا نَكْتُبُ لَهُ فِي
يَوْمِهِ وَلِيَلَّهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ ، فَوَجَدْنَاهُ حَبَشَتَهُ فِي جِبَالِكَ (أَيِّ

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد .

(٢) رواه أحمد .

أمرضته) . قال الله تبارك وتعالى : أَكْتُبُوا لِعَبْدِي عَمَلَهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ فِي يَوْمِهِ وَلِيَلَّتِهِ وَلَا تَنْقُصُوا مِنْهُ شَيْئاً ، وَعَلَيَّ أَجْرُهُ مَا حَبَسْتُهُ ، وَلَهُ أَجْرٌ مَا كَانَ يَعْمَلُ^(١) .

وَبَشَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعَبْدُ الَّذِي فَقَدَ بَصَرَهُ بِالْجَنَّةِ إِذَا رَضِيَ وَحْمَدَ .

عَنْ أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبْيَتِيَهُ (أَيْ عَنْنِيهِ) فَصَبَرَ ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ »^(٢) .

وَعَنْ عَائِشَةَ بْنَ قُدَّامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَزِيزٌ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَأْخُذَ كَرِيمَتَنِي مُؤْمِنٌ ، ثُمَّ يُذْخِلَ النَّارَ »^(٣) .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا ابْتُلَيَ عَبْدٌ بَعْدَ ذَهَابِ دِينِهِ بِأَشَدَّ مِنْ ذَهَابِ بَصَرِهِ ، وَمَنْ ابْتُلَيَ بِيَصْرِهِ فَصَبَرَ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ ، لَقِيَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ »^(٤) .

وَعَنْ بُرِيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَنْ يُبْتَلَى عَبْدٌ بِشَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرُّكَ بِاللَّهِ ، وَلَنْ يُبْتَلَى عَبْدٌ بِشَيْءٍ بَعْدَ الشَّرُّكَ بِاللَّهِ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ ذَهَابِ بَصَرِهِ ، وَلَنْ يُبْتَلَى عَبْدٌ بِذَهَابِ بَصَرِهِ فَصَبَرَ ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ »^(٥) .

وَقَدْ بَشَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَرِيضَ بِبِشَارَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا : أَنَّهُ إِذَا قَالَ :

(١) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في « الأوسط » .

(٢) رواه البخاري والترمذى .

(٣) رواه أحمد والطبراني .

(٤) رواه البزار .

(٥) رواه البزار .

« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِهِ الْمُلْكُ وَلِهِ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حُوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، ثُمَّ ماتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَوْ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَوْ فِي ذَلِكَ الشَّهْرِ غَفَرَ لَهُ ذَنْبَهُ »^(١) .

وَمِنْهَا : أَنَّهُ إِذَا قَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، وَدَعَا بَهَا فِي مَرْضِهِ أَرْبَعِينَ مَرَّةً فَمَا تَفَعَّلَ فِي مَرْضِهِ ذَلِكُ ، أَغْطِيَ أَجْرَ شَهِيدٍ . وَإِنَّمَا ، بِرَا وَقَدْ غُفِرَ لَهُ جَمِيعُ ذَنْبِهِ »^(٢) .

وَجَاءَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هَرِيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شَهِيداً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، صَدَقَةٌ رَبِّهُ فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ ، قَالَ : يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، قَالَ : يَقُولُ : صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لِهِ الْمُلْكُ وَلِهِ الْحَمْدُ ، قَالَ : يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِي الْمُلْكُ وَلِي الْحَمْدُ ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حُوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا حُوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي ، وَكَانَ يَقُولُ : مَنْ قَالَهَا فِي مَرْضِهِ ثُمَّ ماتَ ، لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ »^(٣) .

وَمِنْهَا : أَنَّهُ إِذَا قَالَ : « سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الرَّحْمَنِ الدَّيَّانِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ مُسَكِّنُ الْعُرُوقِ الْضَّارِبَةِ ، وَمُنِيْسُ الْعَيْوَنِ السَّاهِرَةِ ، شَفَاءُ اللَّهِ تَعَالَى »^(٤) .

(١) رواه النسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

(٢) رواه الحاكم عن سعد بن مالك عن مالك عن النبي ﷺ .

(٣) رواه الترمذى وابن ماجه والنسائي وابن حبان والحاكم .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا .

ومنها : أَنَّ دَعْوَةَ مُسْتَجَابَةً ، ولذلك قال النبي ﷺ : « إِذَا دَخَلْتَ عَلَى مَرِيضٍ فَمُزِّهْ بِذَعْنَكَ ، فَإِنَّ دُعَاءَهُ كَدُعَاءِ الْمَلَائِكَةِ »^(١) .
 وقال رسول الله ﷺ : « عُزُّدُوا الْمَرِيضُونَ وَمُرُوْهُمْ فَلَيَعْزُدُوكُمْ ، فَإِنَّ دَعْوَةَ الْمَرِيضِ مُسْتَجَابَةٌ وَذَنْبُهُ مَغْفُورٌ »^(٢) .
 وقال ﷺ : « لَا تُرِدُّ دُعَوَةَ الْمَرِيضِ حَتَّى يَبْرُأَ »^(٣) .

* * *

-
- (١) رواه ابن ماجه ورواته ثقات .
 (٢) رواه الطبراني في « الأوسط » .
 (٣) رواه ابن أبي الدنيا .

فَضْلُ عِيَادَةِ الْمَرْضَى

ومن فضائل هذه الأمة : ما جعله الله تعالى من التواب العظيم والأجر الكرييم على عيادة المريض .

قد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « مَنْ عَادَ مَرِيضًا نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا » ^(١) .

ومن ثواب عيادة المريض عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، لَمْ يَرْزُلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ . قِيلَ : وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ : جَنَاهَا » .

ومن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، لَمْ يَرْزُلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ . قِيلَ : وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ : جَنَاهَا » ^(٢) .

ومن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَخْسَنَ الْوُضُوءَ وَعَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ مُخْتَسِبًا ، بُوَعْدَ مِنْ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا . قَلْتُ : يَا أَبَا حَمْزَةَ ، مَا الْخَرِيفُ؟ قَالَ : الْعَامُ » ^(٣) .

(١) رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان .

(٢) رواه أحمد ومسلم والترمذى : قوله : « خُرْفَةُ الْجَنَّةِ » أي ما يُجتلى من نخلها .

(٣) رواه أبو داود .

وعن عليٍ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من مُسلِّمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غَدْرَةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ . وإن عادَ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُضْبِحَ ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ »^(١) .

وَرُوِيَّ عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أَيُّمَا رَجُلٌ يَعُودُ مَرِيضًا ، فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ ، فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَ الْمَرِيضِ ، غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ . قال : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا لِلصَّحِيفِ الَّذِي يَعُودُ الْمَرِيضَ ، فَمَا لِلْمَرِيضِ ؟ قَالَ : تُحَاطُّ عَنْهُ ذُنُوبُهُ »^(٢) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزُلْ يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ حَتَّى يَجْلِسَ ، فَإِذَا جَلَسَ اغْتَمَسَ فِيهَا »^(٣) .

ومن خصائص هذه الأُمَّةِ الْحَمِيدَةِ وَمَزَایَاهَا الْعَدِيدَةِ : مَا جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ التَّوَابِ لِمَنْ مَاتَ غَرِيبًا مِنْهُمْ .

فمن ذلك : أنه يُعطى في الجنة مكاناً خاصاً زائداً على غيره بمقدار ما بين مولده وبين مكان مותו .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : مات رجلٌ بالمدينة ممن ولدَ بها ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ : « يَا لَيْتَهُ ماتَ بِغَيْرِ مَوْلِدِهِ ، قَالُوا : وَلِمَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ماتَ بِغَيْرِ مَوْلِدِهِ ، قَنِيسَ بَيْنَ مَوْلِدِهِ إِلَى مُنْقَطِعِ أُثْرِهِ فِي الْجَنَّةِ »^(٤) .

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه أحمد ورواه ابن أبي الدنيا والطبراني في « الصغير » و« الأوسط » .

(٣) رواه مالك بـ« بَلَاغًا » ، وأحمد ورواته رواة الصحيح والبزار وابن حبان والطبراني .

(٤) رواه النسائي واللفظ له . وابن ماجه وابن حبان في « صحيحه » .

ومنها : أَنَّ الَّذِي يَمُوتُ غَرِيبًا ، فَإِنَّهُ شَهِيدٌ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « موتُ غُزِيَّةٍ شَهَادَةٌ »^(١) .

قال رسول الله ﷺ ذات يوم : « مَا تَعْدُونَ الشَّهِيدَ فِيْكُمْ؟ قلنا : يا رسول الله ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ : إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيلٌ ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَالْمُتَرَدِّي شَهِيدٌ ، وَالْقُسَاءُ شَهِيدٌ ، وَالْغَرِيْقُ شَهِيدٌ ، وَالسُّلُّ شَهِيدٌ ، وَالْحَرِيقُ شَهِيدٌ ، وَالْغَرِيْبُ شَهِيدٌ »^(٢) .

* * *

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) رواه الطبراني .

فَضْلُ الْقِيَامُ بِأَمْرِ الْمَوْتَىٰ وَشَفَاعَةُ الْمُصْلَّينَ لَهُمْ وَإِنَّ خِيَارَ هَذِهِ الْأُمَّةِ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ

وَمِنَ الْفَضَائِلِ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا جَاءَ فِي فَضْلِ تَغْسِيلِ الْمَوْتَىٰ
وَتَكْفِينِهِمْ ، وَحَفْرِ الْقُبُورِ لَهُمْ وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ .

فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ غَسَّلَ مَيْتًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ ،
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ كَبِيرَةً ، وَمَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ قَبْرًا حَتَّىٰ يُجْنِهِ (أَيْ يَدْفَنَهُ)
فَكَأَنَّمَا أَسْكَنَهُ مَسْكَنًا حَتَّىٰ يَبْعَثَ » ^(١) .

وَفِي رَوَايَةٍ : « مَنْ غَسَّلَ مَيْتًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً ، وَمَنْ
كَفَنَ مَيْتًا كَسَاءُ اللَّهِ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْ حَفَرَ لَمِيتًا قَبْرًا
فَأَجْنَهَ فِيهِ ، أَجْرَى اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَأْجِرِ مَسْكَنٍ أَسْكَنَهُ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ » ^(٢) .

وَفِي رَوَايَةٍ : « مَنْ حَفَرَ قَبْرًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْ غَسَّلَ
مَيْتًا ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيْوَمْ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، وَمَنْ كَفَنَ مَيْتًا كَسَاءُ اللَّهِ مِنْ خُلُلِ
الْجَنَّةِ ، وَمَنْ عَزَّزَ حَزِينًا أَلْبَسَهُ اللَّهُ التَّقْوَىٰ وَصَلَّى عَلَى رُوْحِهِ

(١) رواه الطبراني في « الكبير » .

(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » .

في الأزواح ومن عزى مصاباً كساه الله حلتين من حل الجنة لا تقوم لهما الدنيا ، ومن تبع جنازة حتى يقضى دفنتها كتب الله له ثلاثة قراريط ، القيراط منها أعظم من جبل أخذ ، ومن كفل يتيمأ أو أزملة أظلله الله في ظله وأدخله الجنة »^(١) .

وجاء في فضل تشييع الجنائز : « أَنَّ مَنْ شَهَدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصْلَى عَلَيْهَا ، فَلَهُ قِيراطٌ ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ ، فَلَهُ قِيراطان . قيل : وما القيراطان ؟ قال : مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ »^(٢) .

وقد أكرم الله تعالى الميت من هذه الأمة بأن جعل صلاة من يصلي عليه شفاعة له .

يقول ﷺ : « مَا مِنْ مَيْتٍ يُصْلَى عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ يَنْلَعُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ ، إِلَّا شُفُّعًا فِيهِ »^(٣) .

وقال ﷺ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يُصْلَى عَلَيْهِ مِائَةً ، إِلَّا عَفَّرَ اللَّهُ لَهُ »^(٤) .

وعن مالك بن هبيرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيُصْلَى عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ صُفُوفٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ، إِلَّا أَوْجَبَ - أَيْ اسْتَحْقَ - دُخُولَ الْجَنَّةِ - »^(٥) .

وكان مالك رحمه الله إذا استقبل أهل الجنازة ، جزأهم ثلاثة صفوفٍ لهذا الحديث .

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٣) رواه مسلم والنسائى والترمذى .

(٤) رواه الطبراني في « الكبير » .

(٥) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى .

وَرُوِيَّ عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ عَزَّى مُصَابًا ، فَلَهُ مِثْلُ أَخْرِ صَاحِبِهِ »^(١) .

وعن كريب : أن ابن عباس رضي الله عنهما مات له ابنٌ بقديد أو بعُسْفَان فقال : يا كُرَيْبُ ، انتَظِرْ ما اجتَمَعَ لَهُ مِنَ النَّاسِ ؟ قال : فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَاسٌ قد اجتَمَعُوا فَأَخْبَرْتُهُ ، فقال : تَقُولُ هُمْ أَرْبَعُونَ ؟ قال : قَلْتُ نَعَمْ ، قال : أَخْرِجُوهُ . فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُولُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا ، إِلَّا شَفَعَهُمُ اللهُ فِيهِ »^(٢) .

وأَكْرَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةُ أَيْضًا ، فَجَعَلَ أَلْسِنَةَ الْخَيَارِ مِنْهُمْ عَلَامَاتٍ عَلَى الْخَيْرِ ، وَدَلَائِلٍ عَلَى الْهُدَى ، وَشَهَادَةً صَادِقَةً عَلَى حُسْنِ الْحَالِ وَخَيْرِ الْمَالِ .

عن أنس رضي الله عنه قال : « مَرَّ بِجَنَازَةِ فَأَثْنَيْنِ عَلَيْهَا خَيْرٌ » ، فقال نَبِيُّ اللهِ ﷺ : وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ ، وَمَرَّ بِجَنَازَةِ فَأَثْنَيْنِ عَلَيْهَا شَرٌّ ، فقال نَبِيُّ اللهِ ﷺ : وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ . فقال عمر : فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، مَرَّ بِجَنَازَةِ فَأَثْنَيْنِ عَلَيْهَا خَيْرٌ فَقَلَتْ : وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ ، وَمَرَّ بِجَنَازَةِ فَأَثْنَيْنِ عَلَيْهَا شَرٌّ فَقَلَتْ : وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ . فقال رسول الله ﷺ : مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ . أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ »^(٣) .

وَفِي رَوَايَةٍ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَيُّمَا مُسْلِمٌ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ نَفَرٌ بِخَيْرٍ

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه .

(٣) رواه البخارى ومسلم واللَّفْظُ لَهُ التَّرْمِذِيُّ وَالنَّسَانِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ .

أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَقُلْنَا : وَثَلَاثَةُ؟ فَقَالَ : وَثَلَاثَةُ . فَقُلْنَا : وَأَثْنَانٌ؟
قَالَ : وَأَثْنَانٌ . ثُمَّ لَمْ نَسْأَلُهُ عَنِ الْوَاحِدِ «^(١)» .

وَفِي رَوَايَةٍ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَشَهَدُ لَهُ أَرْبَعَةُ
أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الْأَذْيَنَ إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا خَيْرًا ، إِلَّا قَالَ اللَّهُ : قَدْ
قِيلَتْ عِلْمُكُمْ فِيهِ ، وَغَفَرْتُ لَهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ »^(٢) .

* * *

(١) رواه البخاري .

(٢) رواها أبو يعلى وابن حبان في «صحيحة» .

تَعْرِيفُ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِأَمْوَارِ الْبَرَزَخِ

وَمَا أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ : أَنَّهُ حَصَلَ عَنْهَا الْعِلْمُ الْكَامِلُ بِمَا سِكُونُ فِي الْبَرَزَخِ وَمَا يَجْرِي فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ ، حَتَّى صَارَ الْأَمْرُ الْمُغَيَّبُ كَالْمَشْهُودِ الْمَرْئِيِّ .

عَنْ أَنْسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلََّ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَزْعَ نِعَالِهِمْ إِذَا انْصَرَفُوا ، أَتَاهُ مَلَكًا إِنْ فَيَقُولُ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . فَيَقُولُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ ، أَبْدَلْكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : فَإِنَّهُمَا جَمِيعًا ، وَأَمَا الْكَافِرُ أَوَ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ : لَا أُذْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِ ، فَيَقُولُ : لَا دَرَنَّتَ وَلَا تَلَنَّتَ ، ثُمَّ يُضَرَّبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةٌ بَيْنَ أَذْنَيْهِ ، فَيَصِيغُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الْقَلَّابَينِ »^(١) .

وَقَدْ صَرَّحَ ﷺ فِي رَوَايَةِ أُخْرَى بِمَا يُؤَيِّدُ مَا لَهُذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الْكَرَامَةِ ، إِذْ خَصَّهَا بِالْحَدِيثِ الَّذِي لَمْ يَرِدْ عَلَى لِسَانِ نَبِيٍّ مِنْ قَبْلُ ، وَمِيزَهَا بِمَا أَطْلَعَهَا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْغَيْبِ الْمَخْنُونِ .

فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنْ فَتْنَةِ الدِّجَالِ وَمِنْ فَتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ : « أَمَّا

(١) رواه البخاري واللفظ له ومسلم .

فِتْنَةُ الدَّجَالِ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَرَ أُمَّتَهُ ، وَسَأَحْدُثُكُمْ بِحَدِيثٍ لَمْ يُحَذِّرْهُ نَبِيًّا أُمَّتَهُ ، إِنَّهُ أَغْوَرَ وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَغْوَرَ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عِينَيْهِ كَافِرٌ ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ، فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ فِي يُفْتَنُونَ وَعَنِّي يُسْأَلُونَ ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَجْلِسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ وَلَا مَشْعُوفٍ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي الْإِسْلَامِ؟ فَيُقَالُ : اللَّهُ رَبِّي فَيُقَالُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيْكُمْ؟ فَيُقَالُ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَاهُ ، فَتُفَرَّجَ لَهُ فُرْجَةٌ قِيلَ النَّارُ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يُحَطَّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاهُ اللَّهُ ، ثُمَّ تُفَرَّجَ لَهُ فُرْجَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعُدُكَ مِنْهَا ، وَيُقَالُ : عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ وَعَلَيْهِ مُتَّ ، وَعَلَيْهِ تُبَعَّثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ أَجْلِسَ فِي قَبْرِهِ فَزِعًا مَشْعُوفًا فَيُقَالُ لَهُ : فَمَا كُنْتَ تَقُولُ؟ فَيُقَالُ : سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُ كَمَا قَالُوا ، فَيُفَرَّجَ لَهُ فُرْجَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ ، ثُمَّ يُفَرَّجَ لَهُ فُرْجَةٌ قِيلَ النَّارُ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يُحَطَّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَيُقَالُ : هَذَا مَقْعُدُكَ مِنْهَا ، عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ وَعَلَيْهِ مُتَّ وَعَلَيْهِ تُبَعَّثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُعَذَّبُ «^(١)» .

عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ الْمَيْتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ حَقْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلَّوْنَ مُذْبِرِينَ ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا ، كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَكَانَ الصِّيَامُ عِنْ يَمِينِهِ وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عِنْ شَمَالِهِ وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْ دِرْجَلِهِ ، فَيُؤْتَى مِنْ قِيلَ رَأْسِهِ فَتَقُولُ الصَّلَاةُ : مَا قِيلَيْ مَذْخَلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ فَيَقُولُ الصِّيَامُ : مَا قِيلَيْ مَذْخَلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ فَتَقُولُ الزَّكَاةُ : مَا قِيلَيْ مَذْخَلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِيلَ دِرْجَلِهِ فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ

(١) رواه أَحْمَدَ بِاسْنَادٍ صَحِيحٍ .

من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس : ما قيل لي مدخل ، فيقال له : أجلسن ، فيجلس قد مثُلث له الشّمسُ وقد أديت للغُروبِ فيقال له : أرأيتك هذا الذي كان قيلكم ما تقولُ فيه وماذا تشهدُ عليه؟ فيقول : دعوني حتى أصلِي ، فيقولون : إنك ستَفعَلُ ، أخبرنا عما نَسألك عنه ، أرأيتك هذا الرَّجُل الذي كان قيلك ماذا تقول فيه وماذا تشهد عليه؟ قال : فيقول : محمد أشهد أنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه جاء بالحق من عند الله فيقال له : على ذلك حَيَّتَ وعلى ذلك مُتَّ وَعَلَى ذَلِكَ تُبَعَّثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَه بَابُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فيقال له : هَذَا مَقْعُدُكَ مِنْهَا وَمَا أَعْدَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ، فَيَزِدُّهُ غِبْطَةً وَسُرُورًا . ثُمَّ يُفْتَحُ لَه بَابُ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ فيقال له : هَذَا مَقْعُدُكَ مِنْهَا وَمَا أَعْدَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا لَوْ عَصَيْتَهُ ، فَيَزِدُّهُ غِبْطَةً وَسُرُورًا ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَه فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذَرَاعًا ، وَيُتَوَرَّ لَهُ فِيهِ وَيُعَادُ الْجَسْدُ كَمَا بَدَأَ مِنْهُ ، فَتُجْعَلُ نَسْمَتُهُ فِي النَّسِيمِ الطَّيِّبِ وَهِيَ طَيْرٌ تَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ . فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يَتَبَشَّرُ اللَّهُ أَلَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الشََّّاِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [ابراهيم : ٢٧] الآية . وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا أُتِيَ مِنْ قِيلِ رَأْسِهِ لَمْ يُوْجَدْ شَيْءٌ ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يُوْجَدْ شَيْءٌ ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ شَمَائِلِهِ فَلَا يُوْجَدْ شَيْءٌ ، ثُمَّ أُتِيَ مِنْ قِيلِ رِجْلِهِ فَلَا يُوْجَدْ شَيْءٌ . فيقال له : أجلسن ، فيجلس مَزْعُوبًا خائفًا . فيقال : أرأيتك هذا الرجل الذي كان قيلكم ، ماذا تقول فيه وماذا تشهد عليه؟ فيقول : أيُّ رَجُلٍ ، وَلَا يَهْتَدِي لَاسِمِهِ ، فيقال له : محمد . فيقول : لا أَذْرِي ، سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلًا فَقَلَّتْ كَمَا قَالَ النَّاسُ . فيقال له : على ذلك حَيَّتَ وَعَلَيْهِ مُتَّ وَعَلَيْهِ تُبَعَّثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَه بَابُ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ . فيقال له : هَذَا مَقْعُدُكَ مِنْ النَّارِ وَمَا أَعْدَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ، فَيَزِدُّهُ حَسْرَةً وَثُبُورًا ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَه بَابُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فيقال له : هَذَا مَقْعُدُكَ مِنْهَا وَمَا أَعْدَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا لَوْ أَطْعَتَهُ ، فَيَزِدُّهُ حَسْرَةً وَثُبُورًا ، ثُمَّ يُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَصْلَاعُهُ ،

فِتْلِكَ الْمَعِيشَةُ الْضَّنْكَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ : «فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَخْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَغْنَى»^(١) [طه : ١٢٤] .

وفي رواية للطبراني : «يُؤْتَى الرَّجُلُ فِي قَبْرِهِ ، إِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ دَفْعَتْهُ تِلَوَةُ الْقُرْآنِ ، وَإِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ يَدِيهِ دَفْعَتْهُ الصَّدَقَةُ ، وَإِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رِجْلِهِ دَفَعَهُ مَشْيُهُ إِلَى الْمَسَاجِدِ» .

* * *

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» وأبن حبان في «صححه» واللفظ له .

البعثُ وَأهْوَالُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

ومما أكرم الله تعالى به الأمة المحمدية : أنَّ النبي ﷺ أخبرنا بما يجري في البعث وفي أهوال يوم القيمة ، فأخبرنا عن الصور الذي يُنفع فيه ، وأنه قَرْنٌ مثلُ الْبُوقِ ، والنفخُ فيه هو عبارةٌ عن صَيْحَةِ إِسْرَافِيلَ ، وأخبرنا عن إِسْرَافِيلَ وأنه له أربعةُ أَجْنَحَةٍ ، جَنَاحَانِ فِي الْهَوَاءِ وَجَنَاحَانِ قَدْ تَسَرَّبَلَ بِهِ ، وَجَنَاحَانِ عَلَى كَاهْلِهِ وَالْقَلْمُ عَلَى أَذْنِهِ ، فَإِذَا نَزَلَ الْوَحْيُ كَتَبَ الْقَلْمُ ثُمَّ دَرَسَتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَمَلَكُ الصُّورِ جَاءَتِ عَلَى إِحْدَى رُكْبَتِيهِ وَقَدْ نَصَبَ الْأُخْرَى فَالْتَّقَمَ الصُّورِ يَخْنِي ظَهَرَهُ ، وَقَدْ أُمِرَ إِذَا رَأَى إِسْرَافِيلَ قَدْ ضَمَّ جَنَاحَهُ أَنْ يَنْفُخَ فِي الصُّورِ^(١) .

وأنجَبَ أَنَّ السَّاعَةَ تَأْتِي بِغَتَّةٍ فَجَأَةً ، وَأَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ : « تَنْتَلِعُ عَلَيْكُمْ قَبْلَ السَّاعَةِ سَحَابَةٌ سُودَاءُ مِنْ قِيلِ الْمَغْرِبِ مِثْلُ التُّرْسِ ، فَلَا تَزَالُ تَزَنَقُ فِي السَّمَاءِ وَتَتَشَرَّشَ حَتَّى تَمْلَأِ السَّمَاءَ ، ثُمَّ يَنْادِي مُنَادِي : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعِجُلُوهُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيْدِهِ ، إِنَّ الرَّجُلَيْنِ يَشْرَانِ التَّوْبَ فَلَا يَطْوِيَانِهِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَمْدُرُ حَوْضَهِ ، فَلَا يَسْقِي مِنْهُ شَيْئاً أَبَدًا ، وَالرَّجُلَ يَحْلُبُ نَاقَتَهُ فَلَا يَشْرِبُهُ أَبَدًا »^(٢) .

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » .

(٢) رواه الطبراني بإسناد جيد .

مَدَرَ الْحَوْضَ : أَيْ طَيْنَهُ ، لَثَلَاثَةٌ يَشَرِّبُ مِنْهُ الْمَاءَ .

وأَخْبَرَ عَنِ النَّافِخِينَ قَالَ : « إِنَّهُمَا فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ رَأْسُ أَحَدِهِمَا بِالْمَشْرِقِ وَرِجْلَاهُ بِالْمَغْرِبِ ، أَوْ قَالَ : رَأْسُ أَحَدِهِمَا بِالْمَغْرِبِ وَرِجْلَاهُ بِالْمَشْرِقِ ، يَتَنَظَّرُ إِنَّمَّا يُؤْمِرُانَ أَنْ يَنْفُخَا فِي الصُّورِ ، فَيَنْفُخُانَ »^(١) .

وأَخْبَرَ أَنَّ النَّاسَ يُخْشِرُونَ حُفَّةً عُرَاءً غُرْلَةً^(٢) . قَدْ أَجْمَعُهُمُ الْعَرَفُ وَبَلَغَ شُحُومَ الْأَذَانِ . فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مُتَعَجِّبَتَيْنِ : يَنْظُرُ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمُّهُمْ ذَلِكُ ، فَقَدْ شُغِلَ كُلُّ بَنْسِيهِ » **لِكُلِّ أَمْرٍ يُهِمُّهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانِ يَغْبَيْهِ** ^(٣) [عِيسَى : ٣٧] .

وأَخْبَرَ أَنَّ الْكَافِرَ يُخْشَرُ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحُوبًا مُسْتَدِلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى :

الَّذِينَ يَخْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا جَهَنَّمُ [الْفَرْقَانُ : ٣٤] فَتَعْجَبَ أَنْسُ بْنُ مَالِكَ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَأَ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ ؟ قَالَ قَتَادَةُ حِينَ بَلَغَهُ : بَلَى ، وَعِزَّةُ رَبِّنَا »^(٤) .

وَتَحَدَّثُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ صُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ لِحَسْرِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : « فَمِنْهُمْ مَنْ يُخْشَرُ رَاكِبًا طَاعِمًا كَاسِيًّا ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَسْحَبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَتَخْشُرُهُمُ النَّارَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشُونَ وَيَسْعَونَ »^(٥) ، « وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْشَرُ عَلَى صُورَ الدَّرْ (أَيْ النَّمْلَ الصَّغِيرَ) يَطْوُهُمُ النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ فَيُقَالُ : مَا بَالُ هُؤُلَاءِ فِي صُورَ الدَّرِّ؟ فَيُقَالُ : هُؤُلَاءِ الْمُتَكَبِّرُونَ فِي الدُّنْيَا »^(٦) .

(١) رواه أحمد بإسناد جيد .

(٢) الغُرْلَل بضم الغين وإسكان الراء جمع أغرل وهو الأقلف . والقلفة هو الزائد الذي يقطع من الحشة بعد الولادة فهذا يرجُه اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّاسِ بَعْدَ الْبَعْثِ .

(٣) رواه الطبراني .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٥) رواه النسائي .

(٦) رواه البزار .

وفي رواية : « يُحشر المتكبّرون يوم القيمة أمثالَ الذّرّ في صور الرّجال ، يغشّاهم الذّلّ من كُلّ مكان ، يُساقُون إلى سجن في جهنم يقال له : بُؤلَسْن ، تَغلوُهم نَارُ الأَثيَار يُسقَون من عَصَارَةِ أَهْلِ النَّار طِينَةَ الْخَيَال »^(١) .

« ومنهم من يُحشر راغبًا ، ومنهم من يُحشر رَاهبًا ، واثنان على بَعِيرٍ ، وثلاثةٌ على بَعِيرٍ ، وأربعةٌ على بَعِيرٍ ، وعَشْرَةٌ على بَعِيرٍ ويُحشر بقِيَمِهِ النَّار ، تَقْنِيلُهُمْ حَيْثُ قَالُوا ، وَتَبَيَّنُهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتُضْبِحُهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا . وَتُفْسِيُّهُمْ حَيْثُ أَنْسَوا »^(٢) .

« ومنهم من يَغْرِقُون يوم القيمة حتى يَذَهَبُ في الأرض عَرَقُهُم سبعين ذراعاً ، وإنَّه يُلْجِمُهُمْ حتى يَنْلُغَ آذانَهُم »^(٣) .

وأَخْبَرَ أَنَّ الشَّمْسَ تَدُنُّ مِنَ النَّاسِ فَيَغْرِقُون « فَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَلْعُغُ عَرَقَهُ عَقِيَّبَهُ ، وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَلْعُغُ نَصْفَ السَّاقِ ، وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَلْعُغُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَلْعُغُ إِلَى الْعَجْزِ ، وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَلْعُغُ الْخَاصِرَةَ وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَلْعُغُ مِنْ كَيْنَيْهِ ، وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَلْعُغُ عَنْقَهُ ، وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَلْعُغُ وَسْطَهُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ الْجَمَاهَرَ فَاهُ ، رأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُشَيرُ هَكُذا ، وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يُغَطِّيَ عَرَقَهُ ، وَضَرَبَ بِيَدِهِ وَأَشَارَ وَأَمَرَ يَدَهُ فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُصِيبَ الرَّأْسَ دَفْرُ رَاحَتِيَّهِ يَمِينًا وَشَمَالًا »^(٤) .

« وَتَنْلُغُ الشَّدَّةُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِالْعَبْدِ مَبْلَغاً عَظِيْماً حَتَّى أَنَّهُ لَيَقُولُ :

(١) رواه النسائي والترمذى ، قوله طينة الخبال : أي طينة الفساد الذى يلحق الحيوان فيورثه اضطراباً كالجنون المؤثر في العقل والتفكير .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه أحمد والطبرانى وابن حبان والحاكم .

يا رب ، أرْخْنِي وَلَوْ إِلَى النَّارِ ، فَإِذَا سَأَلْتُكَ بِي إِلَى النَّارِ أَهْوَنُ إِلَيْيَّ مَا أَجِدُ ،
وَهُوَ يَعْلَمُ مَا فِيهَا مِنْ شَدَّةِ العَذَابِ ، وَذَلِكَ الْيَوْمُ مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ الْفَسَنَةَ ،
وَلَكُنْهُ يُخَفِّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخْفَفَ عَلَيْهِ مِنْ صَلَةِ
مَكْتُوبَةٍ ، وَيُنَادَى فُقَرَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَسَاكِينُهَا فَيَقُولُونَ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَاذَا
عَمِلْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ابْتَلَنَا فَصَبَرْنَا ، وَوَلَيْتَ الْأُمُوَالَ وَالسُّلْطَانَ
غَيْرَنَا ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : صَدَقْتُمْ ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ النَّاسِ وَتَبْقَى
شَدَّةُ الْحِسَابِ عَلَى ذُوِي الْأُمُوَالِ وَالسُّلْطَانِ ، قَالُوا : فَأَنِّي الْمُؤْمِنُونَ
يُوْمَئِذٍ؟ قَالَ : تُوَضَّعُ لَهُمْ كَرَاسِيٌّ مِنْ نُورٍ وَيُظَلَّلُ عَلَيْهِمُ الْغَمَامُ ، يَكُونُ
ذَلِكَ الْيَوْمُ أَقْصَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ^(١) .

وَتَخْتَلِفُ أَحْوَالُهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ بِالْخُلُفِ أَعْمَالُهُمْ :
فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ نُورُهُمْ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَمِنْهُمْ
مَنْ يُعْطَى نُورَهُ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَدِهِ ، وَمِنْهُمْ
مَنْ يُعْطَى أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ رِجُلًا يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ
قَدَمِهِ يُنْصِيُّهُ مَرَّةً وَيُطْفَأُ مَرَّةً ، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَمُهُ قَدِيمٌ ، وَإِذَا أُطْفِيَ قَادِمٌ ،
قَالَ : وَالرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَامُهُمْ ، حَتَّى يَمْرُرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ فَيَقِنَّ أَثْرَهُ
كَحْدَ السَّيْفِ . قَالَ : فَيَقُولُ : مُؤْمِنُوا فَيَمْرُزُونَ عَلَى قَدْرِ نُورِهِمْ ، مِنْهُمْ مَنْ
يَمْرُزُ كَطْرَفَةَ الْعَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْرُزُ كَالْبَرْزِقِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْرُزُ كَالسَّحَابَ ،
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْرُزُ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكِبِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْرُزُ كَالرُّبْعِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ
يَمْرُزُ كَشَدَ الْفَرَسِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْرُزُ كَشَدَ الرِّجْلِ حَتَّى يَمْرُزَ الَّذِي يُعْطَى نُورَهُ
عَلَى ظَهَرِ قَدَمِهِ ، يَعْبُو عَلَى وَجْهِهِ وَيَدِيهِ وَرِجْلَيْهِ تُجَرِّي يَدُّهُ وَتَعْلَقُ يَدُّهُ ،
وَتُجَرِّي رِجْلُهُ وَتَعْلَقُ رِجْلُهُ وَتُصَبِّبُ جَوَانِيهِ النَّارُ ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى
يَخْلُصَ ، فَإِذَا خَلَصَ وَقَفَ عَلَيْهَا فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي مَا لَمْ
يُفْطِطْ أَحَدًا إِذَا أَنْجَانِي مِنْهَا بَعْدَ إِذَا رَأَيْتُهَا .

(١) رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه .

قال : فينطلق به إلى غدير (أي نهر) عند باب الجنة فيغسل فيعود إليه ريح أهل الجنة والوائم ، فيرى ما في الجنة من خلل الباب فيقول : رب أذلني الجنة ، فيقول الله : أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟ فيقول : رب اجعل بيني وبينها حجابا حتى لا أسمع حسيتها (أي صوتها) قال : فيدخل الجنة ويرى أو يرَفَع له متنزلاً أمام ذلك كأن ما هو فيه بالنسبة إليه حلم . فيقول : رب ، أعطيك ذلك المتنزل ، فيقول : لعلك إن أعطيته تسأل غيره؟ فيقول : لا وعزتك لا أنسأ غيره ، وأي متنزلي أحسن منه ، فيعطيه فينزله ويرى أمام ذلك متنزاً كأن ما هو فيه بالنسبة إليه حلم قال : رب ، أعطيك ذلك المتنزل ، فيقول الله تبارك وتعالى له : لعلك إن أعطيته تسأل غيره؟ فيقول : لا وعزتك ، وأي متنزلي أحسن منه . فيعطيه فينزله ، ثم يسكت .

فيقول الله جل ذكره : مالك لا تسأل؟ فيقول : رب قد سألك حتى استحييتك ، فيقول الله جل ذكره : ألم ترَضَ أن أعطيك مثل الدنيا متنزاً خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه؟ فيقول : أتَهْزأُ بِي وانت رب العزة؟ قال : فيقول رب جل ذكره : لا ، ولِكَيْ على ذلك قادر ، فيقول : أحقني بالناس ، فيقول : الحق بالناس قال : فينطلق يزمل في الجنة حتى إذا دنا من الناس ، رُفِعَ له قَضْرٌ من دُرَّةٍ فيخُرُّ ساجدا ، فيقول له : ازْفَعْ رأسك مالك؟ فيقول : رأيُتَ رَبِّي أو ترَاءَي لي رَبِّي فيقال : إنما هو متنزلاً من ممتازلك قال : ثم يأتي رجلاً فيتهيأ للسجود له ، فيقال له : مَهْ (أي اكْفُفْ) . فيقول : رأيُتَ أَنَّكَ ملَكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فيقول : إنما أنا خازنٌ من خزانتك وعَنْدَهُ من عبادك تَحْتَ يَدِي أَلْفُ قَهْرَمَانٍ (هو كالخازن والوكيل والحافظ لما تحت يده) على ما أنا عليه ، قال : فينطلق أمامه حتى يفتح له باب القصر . قال : وهو من دُرَّةٍ مُجَوَّفةٍ سَقَافُهَا وَأَبْوَابُهَا وأَغْلَاقُهَا وَمَفَاتِيْحُهَا مِنْهَا ، يَسْتَقْبِلُهُ جَوْهَرَةٌ خَضْرَاءٌ مَبْطَنَةٌ بَحْمَرَاءٍ فِيهَا

سبعون باباً ، كلُّ بابٍ يُفضي إلى جَوَهْرَةِ خَضْرَاءَ مُبْطَنَةً (أي لها بطانةً) كلُّ جَوَهْرَةٍ تُفضي إلى جَوَهْرَةٍ على غير لونِ الْأُخْرَى ، في كلَّ جَوَهْرَةٍ سُرُّرٌ وأَزْوَاجٌ وَصَائِفٌ أَدْنَاهُنَّ حَوْرَاءُ عَيْنَاهُ عَلَيْهَا سبعون حُلَّةً ، يُرَى مُحْسَنٌ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ حُلَّلِهَا ، كَيْدُهَا مِرَاثُهُ وَكَيْدُهُ مِرَاثُهَا ، إِذَا أَغْرَضَ عَنْهَا إِغْرَاصَةً ، ازْدَادَتْ فِي عَيْنِهِ سبعين ضِعْفَةً عَمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ فَيَقُولُ لَهَا : وَاللَّهِ لَقَدْ ازْدَادَتِ فِي عَيْنِي سبعين ضِعْفَةً ، وَتَقُولُ لَهُ : وَأَنْتَ لَقَدْ ازْدَادَتِ فِي عَيْنِي سبعين ضِعْفَةً ، فَيَقُولُ لَهُ : أَشَرِفُ (تَقْرَبُ وَأَمْلِكُهُ) فَيُشَرِّفُ . فَيَقُولُ لَهُ : مُلْكُكَ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ يَنْقُذُهُ بَصَرُكَ . قَالَ : فَقَالَ لَهُ عُمُرٌ : أَلَا تَسْمَعُ مَا يُحَدِّثُنَا أَبْنُ أُمَّةٍ عَبْدٌ يَا كَفَبُ عنْ أَذْنِي أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزَلًا ، فَكِيفَ أَعْلَاهُمْ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذْنٌ سَمِعَتْ «^(١)» .

الْحَدِيثُ .

* * *

(١) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ له والحاكم .

تَعْرِيفُ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِأُمُورِ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية أيضاً : أن أطلعها على أمور الحساب وما يجري في هذا الباب .

« فقد أخبر أنَّ كُلَّ عَبْدٍ لَا بُدَّ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ لَا مَحَالَةَ ، عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا عَمِلَ بِهِ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ »^(١) .

« يُخْرُجُ لَابْنَ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ دَوَّاوِينَ : دِيْوَانٌ فِيهِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ ، وَدِيْوَانٌ فِيهِ ذُنُوبُهُ ، وَدِيْوَانٌ فِيهِ النَّعْمُ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَضْفَرِ نِعْمَةً ، أَحِسِّبَهُ قَالَ : فِي دِيْوَانِ النَّعْمِ : خُذْدِي ثَمَنِكِ مِنْ عَمَلِهِ الصَّالِحِ . فَتَسْتَرِعُ عَمَلُهُ الصَّالِحُ ، ثُمَّ تَنْتَهِي (أَيْ تَنْصُرُهُ) وَتَقُولُ : وَعَزَّتِكَ مَا اسْتَوْفَيْتُ ، وَتَبَقَّى الذُّنُوبُ وَالنَّعْمُ ، وَقَدْ ذَهَبَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ . فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَزْحِمَ عَبْدًا قَالَ : يَا عَبْدِي ، قَدْ ضَاعَفْتُ لَكَ حَسَنَاتِكَ وَتَجَاوَزْتُ عَنْ سَيِّئَاتِكَ ، أَخِسِّبَهُ قَالَ : وَوَهَبْتُ لَكَ نِعْمَي »^(٢) .

وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ مَقَامَ نِعْمَ اللَّهِ سَبِّحَهُ وَتَعَالَى بِالنِّسْبَةِ لِعَمَلِ الْعَبْدِ ، وَأَنَّ عَمَلَ الْعَبْدِ لَا يُسَاوِي شَيْئًا فِي مُقَابَلَةِ أَقْلَى نِعْمَةً مِنَ النَّعْمِ الْإِلَهِيَّةِ .

فَعَنْ ابْنِ عَمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْحَبْشَةِ أَتَى النَّبِيِّ

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه البزار .

فقال : يا رسول الله ، فُضِّلتُم علينا بالألوان والنبوة ، أفرأيت إن آمنت بمثلي ما آمنت به ، وعملت بمثلي ما عملت به ، إِنِّي لَكَائِنُ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « نَعَمْ ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ لَهُ بِهَا عَهْدٌ (أي مِنْتَاقٌ تَوْجِينِهِ) عِنْدَ اللَّهِ ، وَمَنْ قَالَ : سَبَحَانَ اللَّهِ كُتِّبَ لَهُ مِائَةُ أَلْفٍ حَسَنَةٍ . فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ نَهْلِكُ بَعْدَ هَذَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيَجِدُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَمَلٍ لَوْ وُضِعَ عَلَى جَبَلٍ لَا تَنْقَلِهِ ، فَتَقُومُ النَّعْمَةُ مِنْ نِعْمَ اللَّهِ فَتَكَادُ تَسْتَنْفِدُ (أي تَرَجُّحُ كِفَةُ النَّعْمَةِ) ذَلِكَ كُلُّهُ ، لَوْلَا مَا يَفْضُلُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ ، ثُمَّ نَزَّلَتْ : « هَلْ أَنْتَ عَلَى الْإِنْسَنِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً » [الإنسان : ١١] إِلَى قَوْلِهِ : « وَإِذَا رَأَيْتَ شَمَّ رَأَيْتَ نَعِيْمَاً وَمُلْكًا كَبِيرًا » [الإنسان : ٢٠] . فَقَالَ الْحَبْشِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَهَلْ تَرَى عَيْنِي فِي الْجَنَّةِ مِثْلَ مَا تَرَى عَيْنِكَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : نَعَمْ ، فَبَكَى الْحَبْشِيُّ حَتَّى فَاضَتْ نَفْسُهُ (أي خَرَجَ رُوحُهُ) . قَالَ ابْنُ عُمَرَ : فَإِنَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُذْلِلُهُ فِي حُفْرَتِهِ » (١) . (أي يُدْخِلُهُ فِي قَبْرِهِ) .

قصة العابد المُغتَرِّ بِعِبَادَتِهِ

عن جابر رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فَقَالَ : « قَالَ جَبْرِيلُ : يَا مُحَمَّدُ ، وَالَّذِي بَعَثْتَ بِالْحَقِّ إِنَّ اللَّهَ عَبْدَهُ عَبْدَ اللَّهِ خَمْسِيَّةُ سَنَةٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ فِي الْبَخْرِ ، عَزَضُهُ وَطُولُهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا فِي ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا وَالبَحْرُ مُحِيطٌ بِهِ أَرْبَعَةُ أَلْفٍ فَرَسَخَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَأَخْرَجَ لَهُ عَيْنَا عَذْنَةً بِعَزْضِ الْأَصْبُعِ تَفَيَّضَ بِمَاءٍ عَذْبٍ فَيَسْتَقِعُ (أي يجتمع) فِي

(١) رواه الطبراني .

أَسْفَلِ الْجَبَلِ ، وَشَجَرَةُ رُمَانٍ تُخْرِجُ لَهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ رُمَانَةً يَتَعْبَدُ يَوْمَهُ . فَإِذَا أَمْسَى نَزَلَ فَأَصَابَ مِنَ الْوَضُوءِ وَأَخَذَ تِلْكَ الرُّمَانَةَ فَأَكَلَهَا ، ثُمَّ قَامَ لِصَلَاتِهِ . فَسَأَلَ رَبَّهُ عِنْدِ وَقْتِ الْأَجَلِ أَنْ يَقْبِضَهُ سَاجِدًا وَأَنْ لَا يَجْعَلَ لِلأَرْضِ وَلَا لِشَيْءٍ يُفْسِدُهُ عَلَيْهِ سَبِيلًا حَتَّى يَتَعَشَّهُ اللَّهُ وَهُوَ سَاجِدٌ .

قَالَ : فَفَعَلَ ، فَنَخَنْتُ نَمَرًا عَلَيْهِ إِذَا هَبَطْنَا وَإِذَا عَرَجْنَا فَنَجِدُ لَهُ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ يُبَعَّثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ : أَذْخِلُوْا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي فَيَقُولُ : رَبُّ ، بَلْ بِعَمَلِي . فَيَقُولُ : أَذْخِلُوْا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي فَيَقُولُ : رَبُّ ، بَلْ بِعَمَلِي . فَيَقُولُ اللَّهُ : قَاتِلُوْا عَبْدِي بِنَعْمَتِي عَلَيْهِ وَبِعَمَلِهِ ، فَتُوَجَّدُ نِعْمَةُ الْبَصَرِ قَدْ أَحَاطَتْ بِعِبَادَةِ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ، وَيَقِيَّثُ نِعْمَةُ الْجَسَدِ فَضْلًا عَلَيْهِ فَيَقُولُ : أَذْخِلُوْا عَبْدِي النَّارَ ، فَيُبَرَّأُ إِلَى النَّارِ . فَيُنَادِي : رَبُّ ، بِرَحْمَتِكَ أَذْخِلْنِي الْجَنَّةَ . فَيَقُولُ : رُدُّوْهُ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِهِ .

فَيَقُولُ : يَا عَبْدِي ، مَنْ خَلَقْتَ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا؟ فَيَقُولُ : أَنْتَ يَا رَبُّ . فَيَقُولُ : مَنْ قَوَّاكَ لِعِبَادَتِي خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ؟ فَيَقُولُ : أَنْتَ يَا رَبُّ . فَيَقُولُ : مَنْ أَنْزَلَكَ فِي جَبَلٍ وَسَطَ الْأَجَمَةِ ، وَأَخْرَجَ لَكَ الْمَاءَ الْعَذْبَ مِنَ الْمَاءِ الْمَالِحِ ، وَأَخْرَجَ لَكَ كُلَّ لَيْلَةٍ رُمَانَةً وَإِنَّمَا تَخْرُجُ مَرَّةً فِي السَّنَةِ ، وَسَأَلْتَهُ أَنْ يَقِبِضَكَ سَاجِدًا فَفَعَلَ؟ فَيَقُولُ : أَنْتَ يَا رَبُّ . قَالَ : فَذَلِكَ بِرَحْمَتِي وَبِرَحْمَتِي أَذْخِلُكَ الْجَنَّةَ . أَذْخِلُوْا عَبْدِي الْجَنَّةَ . فَنِعْمَ الْعَبْدُ كُنْتَ يَا عَبْدِي . فَادْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ . قَالَ جَبَرِيلُ : إِنَّمَا الْأَشْيَاءُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ يَا مُحَمَّدًا»^(١) .

(١) رواه الحاكم .

بَقِيَّةُ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ مِنْ أَمْوَالِ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ

« وأَخْبَرَ أَنَّهُ أَنْتَصَرَ لِلْخَلْقِ بِعِظِيمٍ مِنْ بَعْضِهِمْ ، حَتَّى إِنَّهُ لِيَقْتَصُّ لِلشَّاءِ الَّتِي لَا قَزْنَ لَهَا مِنَ الْتِي لَهَا قَزْنٌ إِذَا نَطَحْتَهَا فِي الدُّنْيَا . وَحَتَّى لِلَّذَّةِ مِنَ الدُّرَّةِ ، وَلِلْعَبْدِ مِنْ مَالِكِهِ . ثُمَّ يُنَادِيهِمُ الْحَقُّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ : أَنَا الدَّيَانُ ، أَنَا الْمَلِكُ . لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَفْصَهَهُ مِنْهُ ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَفْصَهَهُ مِنْهُ ، حَتَّى الْلَّطْمَةُ » .

وَيَجِيءُ الظَّالِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى جَسْرِ جَهَنَّمَ بَيْنَ الظُّلْمَةِ وَالْوَعِرَةِ ، لِقَيْهُ الْمُظْلُومُ فَعَرَفَهُ وَعَرَفَ مَا ظَلَمَهُ بِهِ فَمَا يَبْرُحُ الَّذِينَ ظُلِمُوا يُقْسِمُونَ مِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا حَتَّى يَنْتَزِعُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، فَإِنَّ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَسَنَاتٌ ، رُدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ حَتَّى يُؤَرَّدُوا الدَّرْكَ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ » .

« وَيَأْتِي رَجُلٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِصَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ شَتَّمَ هَذَا وَقَدَّفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَّبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَيَبْثُثُ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ ، أَخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ وَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْمُفْلِسُ » .

وَمِنْ صُورِ الْحِسَابِ الْوَاقِعَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ : « أَنْ يَلْقَى الْعَبْدُ رَبَّهُ فَيَقُولُ : أَيُّ فُلُّ ، (أَيُّ يَا فَلَانَ) أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأَسْرَدْكَ وَأَزْوَجْكَ وَأَسْخَرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبَلَ وَأَذْكَرَ تَزَأْسَ وَتَزَيْعَ؟ (أَيُّ تَأْخُذُ مَا يَأْخُذُهُ رَئِيسُ الْجَيْشِ لِنَفْسِهِ وَهُوَ رُبُّ الْمَغَانِمِ) . فَيَقُولُ : بِلِي يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : أَظَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ : لَا . فَيَقُولُ : فَإِنَّكَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيَّتِنِي ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي

فيقول : أي فُلُّ ، ألم أكرِّمك وأسُوّذك وأسُخِّن لك الخيلَ والإِبَلَ وأذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرَيْعٌ؟ فيقول : بلِّي يا ربِّ ، فيقول : أظَّنْتَ أنِّكَ مُلَاقِيَ؟ فيقول : لا . فيقول : إِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيْتَنِي . ثم يَلْقَى الثَّالِثُ فيقول : أي فُلُّ ، ألم أَنْكِرِّمك وأسُوّذك وأسُخِّن لك الخيلَ والإِبَلَ وأذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرَيْعٌ؟ فيقول : بلِّي يا ربِّ ، فيقول : أظَّنْتَ أَنِّكَ مُلَاقِيَ؟ فيقول : أَنِّي ربِّ ، آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرِّسُلِكَ وَصَلَيْتُ وَصُمِّتُ وَتَصَدَّقْتُ ، وَيَقِنَّتِي بِخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ . فيقول : هُنَّا إِذَا . ثم يقول : الْآنَ تَبَعَّثُ شَاهِدًا عَلَيْكَ ، فَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشَهَّدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِفَخِدِهِ : أَنْطِقِي ، فَيَنْطِقُ فَخِدُهُ وَلَخْمُهُ وَعَظَامُهُ بِعَمَلِهِ ، وَذَلِكَ لِيُغَذِّرَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَذَلِكَ الْمَنَافِقُ ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ^(١) .

« ثُمَّ يُقَامُ الصِّرَاطُ عَلَى جَهَنَّمَ ، فَيَكُونُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرَّسُولُ ، وَكَلَامُهُمْ : اللَّهُمَّ سَلَّمْ سَلَّمْ ، فَيَمْرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْزِ العَيْنِ وَكَالْبَزْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاؤِيدِ الْخَيْلِ (أَيِّ الْحُصُنِ الْمُسْرِعَةِ) وَالرَّكَابِ ، فَنَاجَ مُسَلَّمٌ . وَمَخْدُوشٌ (مَخْمُوشٌ مَمْزُقٌ) مَرْسَلٌ ، وَمَكْدُوشٌ (أَيِّ مَضْرُوغٌ) فِي نَارِ جَهَنَّمِ » .

« ثُمَّ يُؤَذَّنُ لِلْمُؤْمِنِينَ النَّاجِينَ أَنْ يَشْفَعُوا فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ سَقَطُوا فِي جَهَنَّمَ فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحْجُّونَ؟ فَيَقَالُ لَهُمْ : أَخْرِجُوْا مَنْ عَرَفْتُمْ ، فَتَخْرُمُ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخْذَتِ النَّارُ إِلَى نَصْفِ سَاقِهِ وَإِلَى رُكْبَتِهِ . ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا مَمْنُونٌ أَمْرَنَا بِهِ . فَيَقَالُ : ارْجِعُوْا فَمِنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا . ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَدْرِزْ فِيهَا أَحَدًا مِنْ أَمْرَنَا . ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوْا فَمِنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ

(١) رواه مسلم .

نصف دينارٍ من خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِنْ أَمْرَنَا أَحَدًا . ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوهَا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِّنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا . ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا . فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَلَمْ يَتَّبِعُوا إِلَّا أَزْحَمُ الْرَّاحِمِينَ ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِّنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا مِّنَ النَّارِ لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَّامًا ، فَيُلْقِيَهُمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ : نَهْرُ الْحَيَاةِ ، فَيُخْرِجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْجِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ . أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصَيْفَرًا وَأَخْيَصَرًا (أَيْ تَمِيلُ إِلَى لَوْنِ الْحَجَرِ فِي الصُّفْرَةِ وَاللَّمَعَانِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ فِي الْخُضْرَةِ) ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَأَنْكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ . قَالَ : فَيُخْرِجُونَ كَاللَّوْلَوْيَ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمَ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، هُولَاءِ عُتْقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أُذْخِلُوهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ثُمَّ يَقُولُ : اذْخُلُوهُ الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ . فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ : لَكُمْ عِنِّي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا . فَيَقُولُونَ : يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ : رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا «^(١)» .

* * *

(١) رواه البخاري ومسلم واللّفظ له .

الْحَوْضُ وَالْمِيزَانُ وَالصَّرَاطُ

وَمَا أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ : مَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْعِلْمِ عَنِ الْحَوْضِ وَالْمِيزَانِ وَالصَّرَاطِ مَا مَلِمَ يَفْصِلُ لِأُمَّةٍ سَابِقَةٍ .

وَأَمَّا الْحَوْضُ : فَهُوَ طَوِيلٌ جَدًّا ، مَسَافَةُ طُولِهِ نَحْوِ سَيِّرِ شَهْرٍ بِمَرْكَبٍ مُسْرَعٍ ، وَنَوَاحِيهِ وَاسِعَةٌ مُتَسَاوِيَّةٌ . أَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمَسْكِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسْلِ ، وَأَبْيَضُ مِنَ الْلَّبَنِ ، وَأَبْرُدُ مِنَ الثَّلَجِ ، مَنْ شَرَبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبْدًا ، وَلَمْ يَسُوَّدْ وَجْهَهُ ، يَجْرِي فِيهِ مِيزَابَانٌ يَمْدَأِهِ مِنَ الْجَنَّةِ ، أَحْدَهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرْقٍ ، وَأَكْوَابُهِ كَعَدْدِ نُجُومِ السَّمَاءِ ، وَأَهْلُهُ مَنْ تَمَسَّكَ بِشَرِيعَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَدْلُوا وَلَمْ يَغْيِرُوا وَمَنْ لَمْ يَتَّخِذْ عِقِيدَةً غَيْرَ مَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ .

أَمَا مِنْ غَيْرِ أَوْ بَدْلٍ ، فَإِنَّهُ يُطْرَدُ عَنِهِ كَالْمُرْتَدِ وَالْمُخَالِفِ لِجَمَاعَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَالْخُوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَالْمُعْتَزَلَةِ وَالظَّلَمَةِ الْجَائِرِينَ ، وَالْمُعْلَنِ بِالْكَبَائِرِ الْمُسْتَخِفِ بِالْمُعَاصِيِّ ، وَأَهْلِ الزَّيْغِ وَالْبَدْعِ وَالْكُفَّارِ .

وَأُولُو النَّاسِ وَرَوْدَأَ عَلَيْهِ ؛ فَقَرَاءُ الْمَهَاجِرِينَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْحَوْضِ يَنْتَظِرُ مِنْ يَرِدُ عَلَيْهِ مِنَ الْأُمَّةِ .

وَأَمَّا الْمِيزَانُ : فَهُوَ خَلْقٌ عَظِيمٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ لَوْ وُزِنَتْ فِيهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوْسَعَتْ ، بِهِ مَلِكُ مُوَكَّلٍ ، فَإِذَا جَيَّءَ بَيْنَ آدَمَ وَقَفَ بَيْنَ كَفَّيِ الْمِيزَانِ ، فَإِنْ تَقْعُلْ مِيزَانُهُ نَادَى ذَلِكَ الْمَلَكَ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ الْخَلَاقَ : سَعِدَ

فَلَمَّا سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبْدًا ، وَإِنْ خَفَّ مِيزَانُهُ نَادَى ذَلِكَ الْمَلْكُ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ الْخَلَائِقَ : شَقِيقَ فَلَانْ شَقاوَةً لَا يَسْعُدُ بَعْدَهَا أَبْدًا^(١) .

وَأَمَّا الصِّرَاطُ : فَهُوَ جَسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ ، أَرْقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحْدُّ مِنَ السَّيفِ ، مَذْحَضَةٌ مَذَلَّةٌ (أَيْ مَذْلَقَةٌ) عَلَيْهِ كَلَالِيبُ (أَيْ خَطَاطِيفُ مِنْ حَدِيدٍ) مِنْ نَارٍ يَخْطُفُ بِهَا ، فَمُمْسَكٌ يَهُوِي فِيهَا وَمَصْرُوعٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْرُرُ كَالْبَرْقِ فَلَا يَنْشَبُ (أَيْ يَقْعُدُ فِيمَا لَا يَمْلِخُ لَهُ مِنْهُ وَلَمْ يَلْبِسْ) ذَلِكَ أَنْ يَنْجُو ، ثُمَّ كَالرِّيحِ فَلَا يَنْشَبُ ذَلِكَ أَنْ يَنْجُو ، ثُمَّ كَجَرِيِ الْفَرْسِ ، ثُمَّ كَرْمَلِ الرِّجْلِ . ثُمَّ كَمَشِي الرِّجْلِ .

وَقَدْ ذَكَرَتِ السَّيْدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا النَّارُ فِي كِتَابِهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا يُنْكِيُكُمْ؟ » قَالَتْ : « ذَكَرْتُ النَّارَ فِي كِتَابِي ، فَهَلْ تَذَكَّرُونَ أَهْلِيَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ » قَالَ : « أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنٍ فَلَا يَذَكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا : عَنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيْخَفُ مِيزَانُهُ أَمْ يَنْقُلُ؟ » ، وَعِنْدَ تَطَابِرِ الصُّحُفِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقْعُدُ كَتَابُهُ فِي يَمِينِهِ أَمْ وَرَاءَ ظَهِيرَهِ؟ ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَفَرِيَّ جَهَنَّمَ حَتَّى يَجُوزُ»^(٢) .

وَقَدْ سَأَلَ أَنْسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ فَقَالَ ﷺ : « أَنَا فَاعِلٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، يَقُولُ أَنْسٌ : قَلْتُ : فَأَيْنَ أَطْلَبُكَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوَّلُ مَا تَطَلَّبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ . قَالَ أَنْسٌ : قَلْتُ : فَإِنَّ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ قَالَ : فَاطَّلَبْنِي عَنْدَ الْمِيزَانِ . قَالَ : قَلْتُ : فَإِنَّ لَمْ أَلْقَكَ عَنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ : فَاطَّلَبْنِي عَنْدَ الْحَوْضِ فَلَيْسَ لِأَنْخِطِي مِنْ هَذِهِ الْثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ»^(٣) .

* * *

(١) رواه البزار والبيهقي .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب .

اختصاصُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ بِالشَّفَاعَةِ الْعَظِيمِ

وَمَا أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةَ : أَنْ جَعَلَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدًا ﷺ
هُوَ شَافِعُ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ .

كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي دَعْوَةٍ ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الدُّرَاغُ ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهَسَةً وَقَالَ : أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، هَلْ تَذَرُّونَ مِمَّ ذَاكَ ؟ يَجْمِعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُبَصِّرُهُمُ النَّاطِرُ وَيَسْمَعُهُمُ الدَّاعِيُّ ، وَتَذَرُّونَ مِنْهُمُ الشَّمْسَ فَيَنْلَعُ النَّاسُ مِنَ الْغَمَّ وَالْكَبَرِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَخْتَمِلُونَ . فَيَقُولُ النَّاسُ : أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ ، وَإِلَى مَا بَلَغْتُمْ ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِتَغْضِي : أَبُوكُمْ آدُمُ ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ : يَا آدُمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ ، خَلَقَ اللَّهُ بِيْدِهِ . وَتَقْعَدُ فِيكَ مِنْ رُوْجِهِ وَأَمْرُ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ . أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى مَا تَخْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا .

فَقَالَ : إِنَّ رَبِّي غَضِيبُ الْيَوْمِ غَضِيبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى نَوْحٍ . فَيَأْتُونَنِي نُؤْحَا فَيَقُولُونَ : يَا نُؤْحُ ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا . أَلَا تَرَى إِلَى مَا تَخْنُ فِيهِ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا ، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ

رَبِّيْ غَضِيبَ الْيَوْمَ غَضِيباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قد كَانَ لِي دَغْوَةً دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِيْ ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ . فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ : أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَخْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ : إِنَّ رَبِّيْ قد غَضِيبَ الْيَوْمَ غَضِيباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّي كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ فَذَكَرَهَا ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى . فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ : يَا مُوسَى ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضْلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَخْنُ فِيهِ . فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّيْ قد غَضِيبَ الْيَوْمَ غَضِيباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّي فَذَقْتُ نَفْسَاً لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى عَيْنِيْ . فَيَأْتُونَ عَيْنِيْ فَيَقُولُونَ : يَا عَيْنِيْ ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرِيمَ وَرُوحُهُ مِنْهُ ، وَكَلَمَتُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ . اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَخْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عَيْنِيْ : إِنَّ رَبِّيْ قد غَضِيبَ الْيَوْمَ غَضِيباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَذْكُرْ ذَنْبَنَا . نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونِيْ .

فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخَرَ . اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَخْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقْ فَاتَّيَ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَقْعُدُ سَاجِدًا لِرَبِّيْ ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ النَّاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِيْ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدَ ، ازْفَعْ رَأْسَكَ سَلْنَ تُغْطِهَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ ، فَازْفَعْ رَأْسِيْ ، فَأَقُولُ : أُمِّتَيْ يَا رَبَّ ، أُمِّتَيْ يَا رَبَّ ، امْتَيْ يَا رَبَّ . فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، اذْخُلْ مِنْ أُمِّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنَ الْأَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ . ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيْدِهِ ، إِنَّ

ما بينَ المِضَرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُضْرِي «^(١)» .

وَرُوِيَّ عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُوَضَّعُ لِلْأَنْبِيَاءِ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا وَيَقْنَى مِنْبَرِي لَا أَجْلِسُ عَلَيْهِ . أَوْ قَالَ : لَا أَفْعُدُ عَلَيْهِ ، قَائِمًا بَيْنَ يَدَيِ رَبِّي مُخَافَةً أَنْ يُبَعَّثَ بِي إِلَى الْجَنَّةِ وَتَبَقَّى أُمَّتِي بَعْدِي فَأَقُولُ : يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي . فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا مُحَمَّدُ ، مَا تُرِيدُ أَنْ أَضْنَعَ بِأَتِكَ؟ فَأَقُولُ : يَا رَبِّ عَجَلْ حِسَابَهُمْ . فَيَدْعُ بِهِمْ فَيُحَاسِبُونَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي . فَمَا أَزَالَ أَشْفَعْ حَتَّى أُعْطِي صِكَاكًا بِرِجَالٍ قَدْ بُعْثِبَهُمْ إِلَى النَّارِ حَتَّى إِنَّ مَالِكًا حَازِنَ النَّارِ لَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، مَا تَرَكْتَ لِغَضَبِ رَبِّكَ فِي أُمَّتِكَ مِنْ نِقْمَةٍ »^(٢) .

وَعَنْ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَشْفَعْ لِأُمَّتِي حَتَّى يُنَادِيَنِي رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَقُولُ : أَقْدَرَ رَضِيَتِي يَا مُحَمَّدُ؟ فَأَقُولُ : أَيْ رَبِّ قَدْ رَضِيَتِي »^(٣) .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « خَيَرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ أَوْ يَدْخُلُ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى ، أَمَّا إِنَّهَا لِيَسَّرَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ - (أَيِّ السَّلْفِ الصَّالِحِ) - ، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذَنِّبِينَ الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّبِينَ »^(٤) .

* * *

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » والبيهقي في « البعث » . ومعنى . الصِّكَاكُ : الْكِتَابُ .

(٣) رواه البزار والطبراني وابن حبان في « صحيحه » والبيهقي .

(٤) رواه أحمد والطبراني واللفظ له وإسناده جيد .

النَّارُ وَأَحْوَالُ أَهْلِهَا

وَمَا أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ : أَنْ وَفَرَّ حَظَّهَا مِنَ الْعِلْمِ
الْتَّفْصِيلِيِّ بِالنَّارِ وَأَحْوَالِ أَهْلِهَا ، وَذَلِكَ بِلِسَانِ التُّبُّوَّةِ الصَّادِقَةِ .

رُوِيَّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « جَاءَ جَبَرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حِينٍ غَيْرِ حِينٍ غَيْرِهِ الَّذِي كَانَ يَأْتِيهِ فِيهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا جَبَرِيلُ مَا لَكَ مِنْ أَرَاكَ مُتَغَيِّرُ الْأَلْوَنِ ؟ فَقَالَ : مَا جَتَّنِكَ حَتَّى أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنَافِعِ النَّارِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا جَبَرِيلُ صِفَتِ لِي النَّارِ وَانْعَتِ لِي جَهَنَّمَ .

فَقَالَ جَبَرِيلُ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَ بِجَهَنَّمَ فَأُوْقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى أَبْيَضَتْ ، ثُمَّ أَمَرَ فَأُوْقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى أَحْمَرَتْ ، ثُمَّ أَمَرَ فَأُوْقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى أَسْوَدَتْ . فَهِيَ سَوْدَاءٌ مَظْلَمَةٌ لَا يُضَيِّعُهَا شَرَرُهَا وَلَا يُطْفَأُ لَهَا بَعْثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ قَذَرَ ثَقَبَ إِبْرَةً فُتُحَّ مِنْ جَهَنَّمَ لِمَاتَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً مِنْ حَرَّهِ ، وَالَّذِي بَعْثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ خَازَنَةً مِنْ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ بَرَزَ إِلَى أَهْلِ الدِّينِ لِمَاتَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ مِنْ قُبْحِ وَجْهِهِ وَمِنْ تَنْزِيْرِهِ ، وَالَّذِي بَعْثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ حَلْقَةً مِنْ حَلْقِ سِلْسِلَةِ أَهْلِ النَّارِ الَّتِي نَعَتَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وُضِعِتَ عَلَى جَبَالِ الدِّينِ لَا زَفَضَتْ (تَدَكَّدَتْ) وَمَا تَقَارَأَتْ (أَيْ لَمْ يُوجَدْ لَهَا قَرَارٌ) حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَسِّيْ يَا جَبَرِيلُ لَا يَنْصَلِعُ قَلْبِي فَأَمُوتَ . قَالَ : فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَبَرِيلَ وَهُوَ يَبْكِي . فَقَالَ : تَبَكِّي يَا جَبَرِيلَ وَأَنْتَ

من الله بالمكان الذي أنت به؟ فقال : وما لي لا أبكي؟ أنا أحق بالبكاء لعلني أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها ، وما أدرى لعلني أبتلى بما ابتلي به إبليس ، فقد كان من الملائكة ، وما أدرى لعلني أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت . قال : فبكى رسول الله ﷺ ، وبكى جبريل عليه السلام ، فما زالا يبكيان حتى نوديا : أن يا جبريل ويا محمد ، إن الله عز وجل قد أمنكم أن تغصياء . فارتفع جبريل عليه السلام ، وخرج رسول الله ﷺ فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويتعجبون فقال : أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلاً ولبكراً كثيراً ، ولما أستفتم الطعام والشراب ولخرجتم إلى الصعدات « أي الطرق) تجaron إلى الله (أي تلتجؤن إليه وتتضرعون بإذ الله كزبه) ^(١) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بالنار يوم القيمة لها سبعون ألف زمام (أي ناحية أو جهة مفتوحة فيها) ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » ^(٢) .

أما شدة حرثها : فقد قال ﷺ : « ناركم هذه ما يوقد بني آدم جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم ، قالوا : والله إن كانت لكافية . قال : إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً ، كلهن مثل حرثها » ^(٣) .

وفي رواية : « وضربت بالبحر مرتين ، ولو لا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد » ^(٤) .

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » .

(٢) رواه مسلم والترمذى .

(٣) رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذى .

(٤) رواها أحمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي .

وفي رواية : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : تَحْسِبُونَ أَنَّ نَارَ جَهَنَّمَ مِثْلُ نَارِكُمْ هَذِهِ ؟ هِيَ أَشَدُّ سَوادًا مِنَ الْقَارَ ، هِيَ جُزْءٌ مِنْ بِضْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا مِنْهَا ، أَوْ تَنْصِيفٍ وَأَرْبَعينَ » ^(١) .

وقال ﷺ : « لَوْ كَانَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مَائَةُ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَتَنَفَّسَ فَأَصَابَهُمْ نَفَسُهُ ، لَا يَحْتَرِقُ الْمَسْجِدُ وَمَنْ فِيهِ » ^(٢) .

وفي جَهَنَّمَ وَادٍ مِنْ قَيْحٍ وَدَمٍ يُسَمِّي : (مَوْبِقًا) وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمَوْلَى بِقَوْلِهِ : « وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا » [الْكَهْفُ : ٥٢] .

وفي جَهَنَّمَ وَادٍ تَعُودُ مِنْهُ جَهَنَّمَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً ، أَعْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْقُرَاءِ الْمُرَاثِينَ يُسَمِّي : (جُبَّ الْحَزْنِ) .

وفي جَهَنَّمَ قَصْرٌ يُقَالُ لَهُ : هَوَى . يُرْمَى الْكَافِرُ مِنْ أَعْلَاهُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَلْعُغَ أَصْلَهُ ، وَهُوَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَمَنْ يَحْتَلِلْ عَلَيْهِ عَصْبِيًّا فَقَدْ هَوَى » [طه : ٨١] أَيْ : تَرَدَّى وَهَلَكَ .

وفي جَهَنَّمَ وَادٍ يُدْعَى : (أَثَاماً) ، فِيهِ حَيَّاتٌ وَعَقَارِبٌ فِي قَارُ إِحْدَاهُنَّ مَقْدَارُ سَبْعِينَ قُلْهَةً سُمًّا ، وَالْعَقَرْبُ مِنْهُنَّ مِثْلُ الْبَغْلَةِ الْمُوْكَفَةِ (أَيِّ الضَّخْمَةِ السَّمِينَةِ) تَلَدَّعُ الرَّجُلُ ، وَلَا يُلْهِيهِ مَا يَجِدُ مِنْ حَرَقَ جَهَنَّمَ عَنْ حَمْوَةِ لَذْعَتِهَا (أَيِّ مَادَّةٍ سُمِّهَا) ، فَهُوَ لِمَنْ خُلِقَ لَهُ .

وفي جَهَنَّمَ سَبْعُونَ دَاءً ، كُلَّ دَاءٍ مِثْلُ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ جَهَنَّمَ .

وفي جَهَنَّمَ سَبْعُونَ أَلْفَ دَاءٍ وَفِي كُلِّ دَاءٍ سَبْعُونَ أَلْفَ شِعْبٍ ، وَفِي كُلِّ شِعْبٍ سَبْعُونَ أَلْفَ جُخْرٍ ، وَفِي كُلِّ جُخْرٍ حَيَّةٌ تَأْكُلُ وَجْهَ أَهْلِ النَّارِ .

(١) رواها البيهقي .

(٢) رواه أبو يعلى .

وفي رواية : « في كُلّ شِعْبٍ سبعون ألفَ دارٍ ، في كُلّ دارٍ سبعون ألفَ بيتٍ ، في كُلّ بيتٍ سبعون ألفَ بَشَرٍ ، في كُلّ بَشَرٍ سبعون ألفَ ثُعبانٍ ، في شِدْقٍ كُلّ ثُعبانٍ سبعون ألفَ عقربٍ ، لا يَتَهَمِّي الكافِرُ أو المُنَافِقُ حتَّى يُوَاقِعْ ذَلِكَ كَلَّهُ . »

وإِنَّ فِي النَّارِ حَيَّاتٍ كَأَمْثَالِ أَعْنَاقِ الْبَحْتِ (الْإِبْلِ) ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ لَسْعَةً فَيَجِدُ حَرَّهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا .

وإِنَّ لِجَهَنَّمِ لَجِبَابًا (أيَّ آبَارًا) فِي كُلِّ جُبَّ سَاحِلًا كَساحِلِ الْبَحْرِ ، فِيهِ هَوَامٌ (أيَّ حَشَراتٍ) وَحَيَّاتٌ كَالْبَخَاتِيِّيِّيْنَ وَعَقَارِبُ كَالْبَغَالِ الْذَّلِّيْنَ .

وَعَنْ أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوْ أَنَّ غَزِيًّا مِنْ جَهَنَّمْ جُعِلَ فِي وَسْطِ الْأَرْضِ ، لَأَذْنَى نَنْنُ رِيحَهُ وَشَدَّدَ حَرَّهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَلَوْ أَنَّ شَرَرَةً مِنْ شَرِّ جَهَنَّمْ بِالْمَشْرِقِ لَوَجَدَ حَرَّهَا مِنْ بِالْمَغْرِبِ (١) . »

وَالغَرْبُ بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَإِسْكَانِ الرَّاءِ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوْخَدَةٌ هِيَ : الدَّلْلُ الْعَظِيمَةُ .

وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جَبَرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ : انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا . قَالَ : فَجَاءَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا ، قَالَ : فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بَهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا . فَأَمَرَ بَهَا فَحُفِّثَ بِالْمَكَارِهِ . فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا . قَالَ : فَرَجَعَ إِلَيْهَا ، فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفِّثَتْ بِالْمَكَارِهِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ حِفِّثْتَ أَنْ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ . وَقَالَ : اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى

(١) رواه الطبراني .

ما أَغَدَتْ لِأَهْلِهَا فِيهَا ، قَالَ : فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ يَرْكُبُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَعَزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بَهَا أَحَدٌ فِي دُخُولِهَا . فَأَمْرَرَ بَهَا فَحُفِّثَتْ بِالشَّهْوَاتِ ، فَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهَا ، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ : وَعَزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيَتْ أَنْ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا » .

وَفِي جَهَنَّمْ وَادٍ يُسَمَّى : (وَنِلًا) يَهُوَيُ الْكَافِرُ فِيهِ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَلْغِيَ قَعْدَةً .

وَفِيهَا جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يُسَمَّى : (صَعُودًا) وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ : « سَأَرْهُكُمْ صَعُودًا » [الْمُدْرَثُ : ١٧] يَتَصَعَّدُ فِيهِ الْكَافِرُ سَبْعِينَ خَرِيفًا وَيَهُوَيُ بِهِ كَذَلِكَ أَبْدًا .

وَفِي جَهَنَّمْ وَادٍ يُسَمَّى : (غَيَّا) يَقْذُفُ فِيهِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهْوَاتِ وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْمَوْلَى جَلَّ شَانَهُ بِقَوْلِهِ : « فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيَّاً » [مَرِيمٌ : ٥٩] فَإِذَا سَأَلَ أَهْلَ النَّارِ التَّخْفِيفَ قِيلَ : اخْرُجُوا إِلَى السَّاحِلِ ، فَتَأْخُذُهُمْ تِلْكَ الْهَوَامِ يُشْفَاهِهِمْ وَجُنُونُهُمْ وَمَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فَتَكْسِبُهُمْ فَيَرْجِعُونَ فِيَادِرُونَ إِلَى مُعْظَمِ النَّيْرَانِ وَيُسْلَطُ عَلَيْهِمُ الْجَرَبُ حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَحْكُ جَلْدَهُ حَتَّى يَدْوِيَ الْعَظَمُ ، فَيُقَالُ : يَا فَلَانُ ، هَلْ يُؤْذِيكَ هَذَا؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيُقَالُ لَهُ : ذَلِكَ بِمَا كُنْتَ تُؤْذِيَ الْمُؤْمِنِينَ .

أَمَا شَرَابِهِمْ فَالْحَمِيمُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : « وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ » [مُحَمَّدٌ : ١٥] وَإِنَّهُ لَيُصَبِّ عَلَى رُؤُسِهِمْ فَيَنْفَذُ الْحَمِيمُ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ ، فَيَسْنَلُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدْمِيهِ وَهُوَ الصَّهْرُ ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ .

وَيُسْقَوْنَ مِنْ مَاءِ صَدِيدٍ . كَمَا قَالَ تَعَالَى : « وَسُقَى مِنْ مَاءً صَدِيدًا » [إِرَاهِيمٌ : ١٦-١٧] يُقَرَّبُ إِلَيْهِ فِي كِرْهِهِ ، فَإِذَا أَذْنَيَ مِنْهُ شَوَّأِيَ وَجْهَهُ وَوَقَعَتْ فَرَوَةُ رَأْسِهِ . فَإِذَا شَرَبَهُ ، قَطَعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبْرِهِ

كما قال تعالى : «وَسَقَوْمًا حَمِيمًا قَطَعَ أَمْلَأَهُمْ» **وقال :** «وَلَنْ يَسْتَغْفِرُوا يَعَثُوا بِمَا كَلَّمُهُلْ يَشْوِي الْوَجْهَ يُقْسِكَ الشَّرَابَ» [الكهف : ٢٩] ولو أنَّ دلواً من عَسَاقِ يُهراق في الدنيا ، لأنَّنَ أهل الدنيا . والحميم والغساق : هو ما يَسِيلُ من جُلُودِ أهل النار .

أَمَّا طَعَامُهُمْ فَالزَّقْوُمُ . ولو أنَّ قطرةً من الزَّقْوُم قطَرَتْ في دارِ الدنيا ، لَأَفْسَدَتْ عَلَى أهلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ؟ .

وَمِنْ طَعَامِهِمْ شَوَّكٌ يَأْخُذُ بِالْحَلْقِ لَا يَدْخُلُ وَلَا يَخْرُجُ ، وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ تَعَالَى بِقُولِهِ : «وَطَعَامًا ذَا غُصَّةً» [المزمِّل : ١٣] .

وَعَنْ أَبِي الدَّرَداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوْعُ ، فَيُعِدَّلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ ، فَيَسْتَغْفِرُونَ فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ مِنْ ضَرِيعٍ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغَنِّي مِنْ جُوْعٍ ، فَيَسْتَغْفِرُونَ فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ ذِي غُصَّةٍ ، فَيَذَكَّرُونَ أَنَّهُمْ يُجِيِّزُونَ الْعُصَصَ فِي الدُّنْيَا بِالشَّرَابِ ، فَيَسْتَغْفِرُونَ بِالشَّرَابِ فَيُدْفَعُ إِلَيْهِمُ الْحَمِيمِ بِكَلَالِبِ الْحَدِيدِ ، فَإِذَا دَنَثَ مِنْ وُجُوهِهِمْ شَوَّتْ وَجُوهُهُمْ ، فَإِذَا دَخَلُتْ بَطْوَنَهُمْ ، قُطِعَتْ مَا فِي بَطْوَنِهِمْ فَيَقُولُونَ : أَدْعُوا خَزَنَةَ جَهَنَّمَ فَيَقُولُونَ : «قَالُوا أَوْلَئِنَّا تَأْتِيْكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَّئِنْ قَالُوا فَادْعُوْا وَمَا دَعَتُمْ أَكَفَّرِيْنَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ» [غافر : ٥٠] قَالَ : فَيَقُولُونَ : أَدْعُوا مَالِكًا فَيَقُولُونَ : «وَنَادَوْا يَمَّالِكَ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا يَكُوكَ» [الزُّخْرُفُ : ٧٧] قَالَ : فَيُجِيِّبُهُمْ : «إِنَّكُمْ مَذَكُوْرُونَ» [الزُّخْرُفُ : ٧٧] . قَالَ الْأَعْمَشُ : ثَبَّتْ أَنَّ بَيْنَ دُعَائِهِمْ وَبَيْنَ إِجَابَةِ مَالِكٍ إِيَّاهُمُ الْفَعَامُ . قَالَ : فَيَقُولُونَ : ادْعُوا رَبِّكُمْ ، فَلَا أَحَدَ خَيْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَيَقُولُونَ : «رَبَّنَا أَغْلَبَتْ عَلَيْنَا شِقَوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّيْنَ» ① رَبَّنَا أَخْرَجَنَا مِنْهَا فَإِنَّا عَدَنَا فَإِنَّا ظَلَمَوْنَا» [الْمُؤْمِنُونَ : ١٠٦-١٠٧] قَالَ : فَيُجِيِّبُهُمْ : «أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تَكُلُّمُونَ» ② [الْمُؤْمِنُونَ : ١٠٨] قَالَ : فَعِنْدَ ذَلِكَ يَئْسُوا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ، وَعِنْدَ

ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويلي «^(١) .

ويتفاوت أهل النار في العذاب ، فأهلونهم عذاباً رجلاً متبعلاً بنعلين من نار يغلي منها دماغه مع أجزاء العذاب ، ومنهم من في النار إلى كعبته مع أجزاء العذاب ، ومنهم من في النار إلى ركبتيه مع أجزاء العذاب ، ومنهم من قد اغتر (أي عَمَّ جميع جسمه) .

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث : « يا أيها الناس ، ابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا . فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَكُونُونَ فِي النَّارِ حَتَّى تَسِيلَ دَمَوْعُهُمْ فِي خُدُودِهِمْ كَأَنَّهَا جَدَالُ (أي أَنْهَازٌ) حَتَّى تَقْطُعَ الدَّمْوَعُ ، فَيَسِيلُ - يَعْنِي الدَّمَ - فَيُقْرِحُ الْعَيْنَوْنَ » .

* * *

(١) رواه البيهقي والترمذى . د

الزفير : تردد النفس حتى تنتفع الضلوع منه ، والحسرة : تقطع الأنفاس وزيادة الملل والضجر .

تَعْرِيفُ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِالْجَنَّةِ وَأَحْوَالِهَا

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ : أن وَفَّ حظَّها من العلم المُفَضِّلِ عن الجنة وصفتها بلسانِ النُّبُوَّةِ المطهَّرَةِ . إذ أخبرَ بِالْحِكْمَةِ أنَّ أبوابَ الجنة ثمانيةٌ ، ولكلَّ أهلٍ عملٍ بابٌ من أبوابِ الجنة ، يُدْعَونَ منه بذلك العمل . فللصائمين بابٌ خاصٌ يُسمَّى : بابُ الرِّيَانِ يَدْخُلُ منه الصائمون يوم القيمة ، لا يَدْخُلُ معهم غيرُهم . يُقَالُ : أين الصائمون ، فيدخلون منه ، فإذا دخل آخرُهُمْ أُغْلِقَ فلم يَدْخُلْ منه أحدٌ .

وهناك بَابٌ يُقَالُ لَهُ : الصُّحْنِي ، فإذا كان يوم القيمة تَادِي مَنَادٍ : أين الذين كانوا يُدِيمُونَ على صلاة الصُّحْنِي؟ هذا بَابُكُمْ فادْخُلُوا بِرَحْمَةِ الله . وهناك بَابٌ خاصٌ لا يَدْخُلُ منه إِلَّا من أطعَمَ مُؤْمِنًا حتى يُشَبِّعَه ، لا يَدْخُلُ معه إِلَّا مَنْ كَانَ مِثْلَه .

وهناك بَابُ الصلاة ، فمن كان من أهل الصلاة دُعِيَ من بابِ الصلاة ، ومن كان من أهلِ الجهاد دُعِيَ من بابِ الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دُعِيَ من بابِ الصدقة ، ومن أَنْفَقَ زوجين من ماله في سبِيلِ الله دُعِيَ من أبوابِ الجنة .

وهذه الأبوابُ تُفتحُ كلها لبعض أربابِ الأعمالِ في الدُّنْيَا ، فمن تَوَضَّأَ وأَسْبَغَ الرُّضْوَةَ ثُمَّ قال : أَشْهَدُ أَنَّ لِإِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لِهِ الْمَلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، إِلَخَ . . . فُتُحَتْ لَهُ أبوابُ الجنة الشمانية يَدْخُلُ مِنْ أَيْمَانِهَا شاءَ .

وفي رواية بزيادة : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن
محمدًا عبدُه ورسولُه ، وأنَّ عيسى عبدُ الله وابنُ أمِّه وكلمته ألقاها إلى
مريم وروحُّ منه ، وأنَّ الجنة حُقُّ ، والنار حُقُّ .

ومن مات له ثلاثة من الولد دون البلوغ ، تلقاها أولاده من أبواب الجنة
الثمانية يدخلُ من أيها شاء .

والمرأة إذا صلت خمسها وصامت شهراً وحفظت فرجها وأطاعت
زوجها قيل لها : ادخلني من أيّ أبواب الجنة شئت .

ومن كان له ابستان أو أختان أو عمتان أو خالتان وعاليهنَّ ، فُتحت له
ثمانية أبواب الجنة .

وقد أخرج مسلم عن عقبة بن غزوان قال : ذُكِرَ لنا أنَّ ما بين
المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ
وهو كَظِيْظٌ مِنَ الزُّبَاجَامِ .

وفي رواية يقول ﷺ : « والذِّي نَفَسْتُ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ ، إِنَّ مَا بَيْنَ
مِضْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ ، لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ . أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ
وَيُضْرِبُنِي ». .

يُقُولُ قَتَادَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هِيَ أَبْوَابٌ يُرَى ظَاهِرَهَا مِنْ بَاطِنِهَا ،
وَبَاطِنَهَا مِنْ ظَاهِرِهَا ، تَكَلَّمُ وَتُكَلِّمُ ، وَتَفْهَمُ مَا يُقَالُ لَهَا : افْتَحِي ،
انْغْلُقِي .

وقد أخبرنا ﷺ بما تلاه علينا من القرآن الكريم في كثير من آياته عن
الجنة وأوصافها العامة ، فأخبرنا أنه جنة المأوى ودارُ الخلد ودارُ
السلام ، وفيها الرَّوْحُ والرَّيْحَانُ ، والنَّعِيمُ الْمُقِيمُ ، وأنَّ عرضها السموات
والأرض ، وهي مُعْدَةٌ مُهَيَّأةٌ للمتقين مُفْتَحَةٌ لِهِمُ الْأَبْوَابُ .

وكذلك تحدث ﷺ عن الجنة وأوصافها العامة في كثير من الأحاديث

النبوية والقدسية ، وأقسم برب الكعبة إنها نُورٌ يتَّلَّأُ ورَيْحَانٌ وَقُصْرٌ مَشِينٌ ، وَنَهْرٌ مَطِرٌ وثمرة نَضِيْجٌ ، وزَوْجَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ وَحُلَّلٌ كَثِيرٌ ، وَمَقْعَدٌ في أَبْدٍ في دَارِ سَلِيمَةٍ ، وَفَاكِهَةٌ وَخَضِرَةٌ وَحَبْرَةٌ وَنَعْمَةٌ في مَحْلَةٍ عَالِيَّةٍ بَهِيَّةٌ لَا تُقَاسُ بِالدُّنْيَا بِمَا فِيهَا . فَأَقْلَلَ شَيْءٌ في الْجَنَّةِ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ أَعْظَمِ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا ، بل إِنَّ مَوْضِعَ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

وَإِنَّ قَابَ قَوْسِيَ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيهَا ، خَيْرٌ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ غَرَبَتْ ، وَلَوْ أَنْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ طَلَعَ فَبَدَتْ زِيَّتُهُ وَحَلِيلَتُهُ وَأَسَاوِرَهُ ، لَطَمِسَ ذَلِكَ ضَبْوَءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطَمِسُ الشَّمْسَ ضَبْوَءَ النَّجُومِ ، وَلَا يَسْتَطِعُ الْعَقْلُ الْبَشَرِيُّ مَهْمَا اتَّسَعَ مَدَارُكَهُ وَآفَاقُهُ الْعِلْمِيُّ أَنْ يَتَصَوَّرَ حَقِيقَةً مَا فِي تِلْكَ الدَّارِ مِنْ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ وَمَوَادِيدِ الْكَرَمِ ، وَلَذِذَةِ النَّعِيمِ وَمَمْتُعَةِ النَّظَرِ إِلَى الْوَجْهِ الْكَرِيمِ ، وَلَطَائِفِ الْأَنْسِ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ ، لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَفَى وُجُودَ الْعِلْمِ الْكَامِلِ الْتَّامِ بِحَقِيقَةِ مَا فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ ، فَقَالَ : « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرْبَةِ أَعْيُنٍ » [السَّجْدَةُ : ١٧] . وَهَذَا هُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيهُ عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ جَلَّ جَلَالَهُ : « أَعَدَّتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أَذْنُ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ » .

وَلَذِكَرِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى ذَلِكَ النَّعِيمِ وَانْغَمَسَ فِيمَا أَعْدَهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ خَيْرٍ وَمَقَامٍ وَانْصِبَعَ فِي الْجَنَّةِ صِبَغَةً ، يَمْتَلِئُ قَلْبَهُ وَنَفْسَهُ بِالْبَهْجَةِ وَالْحُبُورِ وَالْفَرَحِ وَالشُّرُورِ وَيَنْسَى مَا كَانَ فِيهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ بُؤْسٍ وَشَدَّةٍ وَتَعَبٍ وَضَنْكٍ ، حَتَّى أَنَّهُ لِيُقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةً؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّي ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطَّ ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطَّ .

فِي هَذَا السَّبِيلِ تُبَذِّلُ الْمُهَاجَرَ وَتَبَاعُ الْأَنْفُسُ وَيَتَسَابَقُ الْمَجَدُونَ وَلِأَجْلِ هَذِهِ السُّلْعَةِ الْعَالِيَّةِ ، يُسَارِعُ الْمُؤْمِنُونَ مُعْتَقِدِينَ أَنَّهُ مِنْ خَافِ أَدْلَجِ ، وَمِنْ

أدلج بلغ المنزل ، وإنَّ المنزل هو سِلعةُ اللهِ الغالية ، وإنَّ سلعةَ اللهِ هي الجنة ، فلا يَصْلُ إلَّا المَوْفُ المَحْفُوظُ وَالْمَوْيِدُ الْمَلْحُوظُ الَّذِي لَا تَغْرِي الشهواتِ المحيطةِ بالنار ، ولا تضرِّهِ المَكَارَةُ الَّتِي حُفِّتَ بالجنة .

لأنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَا خَلَقَ الجَنَّةَ قَالَ لِجَبَرِيلَ : اذْهَبْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ : أَيْ رَبَّ ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إلَّا دَخَلَهَا ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا جَبَرِيلُ ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَيْ رَبَّ ، لَقَدْ خَشِيَتُ أَنْ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ . فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ : يَا جَبَرِيلُ ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَيْ رَبَّ ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا . فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ : يَا جَبَرِيلُ ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ : أَيْ رَبَّ ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيَتُ أَنْ لَا يَئْقُنَ أَحَدٌ إلَّا دَخَلَهَا .

وَلَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الجَنَّةَ وَدَلَّى فِيهَا ثِمَارَهَا وَشَقَّ فِيهَا أَنْهَارَهَا ، نَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ لَهَا : تَكَلَّمِي فَقَالَتْ : طُوبَى لِمَنْ رَضِيَتْ عَلَيْهِ ، قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ فَقَالَ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا يُجَاوِرُنِي فِي كُبُوكِ بَخِيلٍ ، فَلَا يَصْلُ إِلَيْهَا بَسْلَامٍ وَآمَانٍ إلَّا الْمُفْلِحُونَ ، وَلَا يُفْلِحُ إلَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ .

وَلَمَّا كَانَ الْإِنْعَامُ وَالْإِكْرَامُ الْأُخْرَوِيُّ فِي الجَنَّةِ مُتَفَاوِتًا لَا خِتَالَفُ أَعْمَالِ النَّاسِ ، اقْتَضَى ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ مَنَازِلَهُمْ فِي الجَنَّةِ أَيْضًا عَلَى مَرَاتِبٍ مُخْتَلِفَةٍ وَدَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ لِيُظَهِّرَ فَضْلُ الْفَاضِلِ وَسُبُقُ الْكَامِلِ وَجُهْدُ الْعَامِلِ .

وَأَعْلَى هَذِهِ الْدَرَجَاتِ وَأَعْظَمُهَا ، هِيَ الْفَرْدَوْسُ .

فَالْفَرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرْجَةٌ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهَا تُفْجَرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ الْأَرْبَعَةِ .

ولذا فقد أمرنا رسول الله ﷺ إذا سألنا الجنة ، أن نسأل الله الفردوس ، وبينَ لنا سبيلاً إدراكِ أعلى هذه الدرجاتِ وطريقَ الوصولِ إلى أشرفها وأبوابَ الازتقاءِ فيها وهي :

إسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَهُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ .

ومن تلك الأبواب : الجهاد في سبيل الله ، وحفظ القرآن مع ملازمة تلاوته ، وإسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَهُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وإكثارٌ من ذكر الله ، وكلمةٌ طيبةٌ تُرضي الله ورسوله يتكلم بها الرجل من رضوان الله لا يُلقي لها بالأ ، وصبرٌ جَمِيلٌ على بلاءٍ مَكْرُوهٍ عَظِيمٍ ، وشفاعةٌ حَسَنَةٌ عند ذي سُلْطَانٍ في دفعٍ مَكْرُوهٍ أو مَبلغٍ بِرٍ وَعَفْوٍ عَنْ ظُلْمٍ ، وإعطاءٌ لِمَنْ حُرِمَ وَوَصْلٌ لِمَنْ قُطِعَ . وقد اختصَ الله سبحانه وتعالى بعض الناس بدرجاتٍ مُعْيِنةٍ لا ينالها غيرهم ولا يدركها إلَّا من عمل بعدهم ، فهناكَ دَرَجَاتٌ مَخْصُوصَةٌ لا ينالها إلَّا أَرْبَابُ الْهُمُومِ وَالْتَّفَكِيرِ في السعي على العيال بالحلال .

وإنَّ العَبْدَ لِيَرْفَعَ بَصَرَهُ وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ فَيَلْمِعُ لَهُ بَرْقٌ ، فَيَتَعَجَّبُ النَّاظِرُ وَيَأْخُذُهُ الْفَزَعُ مِنْ ذَلِكَ الْلَّامِعِ الَّذِي كَادَ يَخْطُفُ بَصَرَهُ وَيَقُولُ : مَا هَذَا؟ فَيُقَالُ : هَذَا نُورُ أَخِيكَ فُلَانَ . فَيَرِي نُورُهُ أَعْظَمُ مِنْ نُورِهِ ، وَدَرْجَتُهُ أَعْلَى مِنْ دَرْجَتِهِ فَيَقُولُ : أَخِي فُلَانَ كَمَا نَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا جَمِيعاً ، فَكِيفَ قَدْ فُضِلَ عَلَيَّ هَكَذَا؟ فَيُقَالُ لَهُ : إِنَّهُ كَانَ أَفْضَلُ مِنْكَ عَمَلاً ، ثُمَّ يُجَعَلُ فِي قَلْبِهِ الرَّضَا حَتَّى يَرْضَى .

وإنَّ الرَّجُلَ وَعْبَدَهُ يَدْخُلُانَ الْجَنَّةَ ، فَيَكُونُ عَبْدُهُ أَرْفَعَ دَرْجَةً مِنْهُ فَيَقُولُ : يَا رَبَّ ، هَذَا كَانَ عَبْدِي فِي الدُّنْيَا فَيُقَالُ : إِنَّهُ كَانَ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللهِ مِنْكَ .

ولهذه الأمة بابٌ مُختصٌ يدخلونَ منه دون سائر الأمم ، يقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إنَّ أبوابَ الجنة هكذا ، بعضُها فوق بعض ، ثم قرأ : **﴿حَقَّ إِذَا جَاءَهُ وَهَا فُتُحَتْ أَبْوَابُهَا﴾** [الزمر : ٧١] إذا هُم عندها بشجرة في أصلِها عينان تجريان فيشربون من إحداهما ، فلا تترك في بطونهم قذَى ولا أذى إلَّا رَمَتُه ، ويغسلونَ من الأُخْرَى فتجري عليهم نَسْرَةُ النَّعِيم ، فلا تَشَعُّ رُؤُوسُهُمْ وَلَا تَتَغَيَّرُ أَبْشَارُهُمْ بَعْدَ هَذَا أَبْدًا . ثم قرأ **﴿طِبِّشْ فَأَدْخُلُوهَا خَلِيلِينَ﴾** [الزمر : ٧٣] فيدخلُ الرجلُ وهو يَعْرَفُ مِنْزَلَه ، ويَتَلَقَّاهُمُ الْوِلَادَانُ فَيَسْتَبِّشُونَ بِرَوْيِتِهِمْ كَمَا يَسْتَبِّشُ الْأَهْلُ بِالْحَمِيمِ يَقْدُمُ مِنَ الْغَيْبَةِ ، فَيَنْتَلِقُونَ إِلَى أَزْوَاجِهِمْ فَيَخْبُرُونَهُمْ بِمَعَايِيْتِهِمْ فَتَقُولُ : أَنْتَ رَأَيْتَهُ ؟ فَتَقُولُ إِلَى الْبَابِ فَيَدْخُلُ إِلَى بَيْتِهِ فَيَتَكَبَّرُ إِلَى سَرِيرِهِ فَيَنْظَرُ إِلَى أَسَاسِ بَيْتِهِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ أَسَسَ عَلَى الْلَّوْلَوِ ، ثُمَّ يَنْظَرُ فِي أَخْضَرِ وَأَحْمَرِ وَأَصْفَرِ . ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى سَمَكِ بَيْتِهِ ، فَلَوْلَا أَنَّهُ خَلَقَ لَهُ لَالْتَّمِيعَ بَصَرَهُ . فَيَقُولُ : **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَنَا إِلَيْهَا وَمَا كَانَ لِنَهْدِي لَوْلَا أَنَّهَ دَهَنَنَا أَلَّهُ﴾** [الاعراف : ٤٣] وفي قولِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : **﴿جَنَّتْ عَدِينَ مُفْتَحَةً لِهِمُ الْأَكْوَافُ ۖ مُتَّكِعُونَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا يَنْكِهُمْ كَثِيرٌ وَشَرَابٌ﴾** [ص : ٥٠-٥١] معنَى بَدِيعٍ وَرَائِعٍ ، وَهُوَ : أَنَّهُ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ لَمْ تُغْلِقْ أَبْوَابُهَا عَلَيْهِمْ ، بَلْ تَبَقَّى مُفْتَحَةً كَمَا هِيَ .

وَأَمَا النَّارُ : فَإِذَا دَخَلُوا أَهْلَهَا أَغْلَقْتُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَهَا ، كَمَا قَالَ الله تعالى : **﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾** [الهمزة : ٨] أي مُطْبَقَةٌ مُغْلَقَةٌ ، وَمِنْهُ سَمِّيَ الْبَابُ : وَصِيدَا ، وَهِيَ مُؤْصَدَةٌ **﴿فِي عَمَرٍ مُمَدَّدَةٍ﴾** [الهمزة : ٩] قَدْ جَعَلْتُ الْعُمَدَ مُمْسَكَةً لِلْأَبْوَابِ مِنْ خَلْفِهَا ، كَالْحَجَرِ الْعَظِيمِ الَّذِي يُجْعَلُ خَلْفَ الْبَابِ . قَالَ مُقَاتِلٌ : يَعْنِي أَبْوَابَهَا عَلَيْهِمْ مُطْبَقَةً ، فَلَا يُفْتَحُ لَهَا بَابٌ وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا غَمًّا ، وَلَا يَدْخُلُ فِيهَا رُوحٌ آخِرُ الأَبْدِ .

وَأَيْضًا ، فَإِنْ فِي تَفْتِيْحِ الْأَبْوَابِ لِهِ إِشَارَةٌ إِلَى تَصْرِيفِهِمْ وَذَهابِهِمْ

وإيابهم ، وتبونهم من الجنة حيث شاؤوا ، وَدُخُولِ الملائكة عليهم في كُلِّ وقتٍ بالتحفِ والألطافِ ، ودخولِ مَا يُسِرُّهُم عليهم في كُلِّ وقتٍ .

وأيضاً ؛ إشارةً إلى أنها دَارُّ أمنٍ لا يحتاجونَ فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يَحتاجُونَ إلى ذلك في الدُّنيا . قال فيه : ولما كانت درجات بعضها فوق بعض ، كانت أبوابها كذلك ، وباب الجنة العالية فوق الجنة التي تحتها ، وكلما عَلَتِ الجنة ، اتسعت ، فعالها أوسعُ مما دونه ، وَسَعَةُ الباب بحسبِ وُسْعِ الجنة .

ولعل هذا وجْهُ الخلاف الذي جاء في مسافة ما بين مصراعي الباب ، فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض .

وقد تَحدَثَ بِالْكِتَابِ عن صفة دخول أهل الجنة الجنة فَقَالَ : « والذِّي نَفَسَيْ بِيَدِهِ ، إِنَّهُمْ إِذَا خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ اسْتُقْبِلُوا بِنُورٍ يُبَيِّنُ لَهُمْ أَجْنِحَةً عَلَيْهَا رِحَالُ الْذَّهَبِ ، شُرُكٌ نِعَالِهِمْ نُورٌ يَتَلَاءَّ كُلُّ خَطْوَةٍ مِنْهَا مِثْلُ مَدَّ الْبَصَرِ ، وَيَتَهَوَّنُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا حَلَقَةً مِنْ يَاقُوتَةِ حَمْرَاءَ عَلَى صَفَائِحِ الْذَّهَبِ ، وَإِذَا شَجَرَةً عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ يَنْبَغِي مِنْ أَضْلِلَاهَا عَيْنَانِ ، فَإِذَا شَرِبُوا مِنْ أَحِدِهِمَا جَرَّثَ فِي وُجُوهِهِمْ بِنَصْرَةِ النَّعِيمِ ، وَإِذَا تَوَضَّؤُوا مِنَ الْأَخْرَى لَمْ تَشْعُثْ أَشْعَارُهُمْ أَبَدًا ، فَيُضَرِّبُونَ الْحَلْقَةَ بِالصَّفِيفَةِ - فَلَوْ سَمِعَتْ طَنِينَ الْحَلْقَةِ يَا عَلَيَّ ، قَيْتَلَعُ كُلُّ حَوْزَةً أَنَّ زَوْجَهَا قَدْ أَقْبَلَ ، فَتَسْتَخْفُها الْعَجَلَةُ فَتَبِعُتْ قَيْمَهَا - أَيْ خَادِمَهَا وَالقَاتِمَ بِأَمْرِهِا - فَيَفْتَحُ لَهُ الْبَابَ ، فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَرَفَهُ نَفْسَهُ ، لَخَرَّ لَهُ سَاجِدًا مِمَّا يَرَى مِنَ الْثُورِ وَالْبَهَاءِ .

فَيَقُولُ : أَنَا قَيْمُكَ الْذِي وُكِلْتُ بِأَمْرِكَ ، فَيَتَبَعُهُ قَيْقَفُو أَثْرَهُ ، فَيَأْتِي زَوْجَهَ فَتَسْتَخْفُهَا الْعَجَلَةُ ، فَتَخْرُجُ مِنَ الْخِيمَةِ فَتَعَانِقُهُ وَتَقُولُ : أَنْتَ حِبِّي وَأَنَا حِبُّكَ ، وَأَنَا الرَّاضِيَةُ فَلَا أُسْبَحُطُ أَبَدًا ، وَأَنَا النَّاعِمَةُ فَلَا أَنْأِسُ أَبَدًا ، وَأَنَا الْخَالِدَةُ فَلَا أُظْعَنُ أَبَدًا ، فَيَذْخُلُ بَيْتًا مِنْ أَسَاسِهِ إِلَى سَقْفِهِ مَائَةُ الْفِ

ذراعٍ مبنيٍ على جنَّدَلِ اللُّؤلُؤِ والياقوت طَرَائِقُ حُمْرٌ ، وَطَرَائِقُ خُضْرٌ ،
وَطَرَائِقُ صَفْرٌ ، ما منها طريقةٌ تُشَاهِدُ صَاحِبَتَها ، فَيَأْتِي الْأَرِيَكَةَ - ما يَتَكَأَ
عَلَيْهِ مِنْ فَرَاشٍ وَثِيرٍ - فَإِذَا عَلَيْهَا سَرِيرٌ ، عَلَى السرير سبعون فَرَاشًا ، عَلَى
كُلِّ فَرَاشٍ سبعون زَوْجَةً ، عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً ، يُرْبَى مُعْنَى سَاقِهَا
مِنْ بَاطِنِ الْحُلَّلِ ، يَقْضِي جِمَاعَهُنَّ فِي مَقْدَارِ لَيْلَةٍ ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ أَنْهَارٌ
مَطَرِّدَةً ، أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ - أَيْ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَرِيْمُهُ - صَافٍ لَيْسَ
فِيهِ كَدْرٌ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفَّى لَمْ يَخْرُجْ مِنْ بُطُونِ النَّخْلِ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ
خَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ لَمْ يَتَغَصَّرْهُ الرِّجَالُ بِأَقْدَامِهَا ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ
طَعْمُهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ بُطُونِ الْمَاشِيَةِ .

فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طيورٌ ينبعضُ فترفعُ أجنبحتها فـيأكلون من جنوبها ، من أي الألوان شـاؤوا ، ثم تـطـير فـتـذـهـب . وفيها ثـمـار مـتـدـلـيـة ، إذا اشـتـهـوـهـا اـنـبـعـثـتـ العـضـنـ إـلـيـهـمـ فـيـأـكـلـوـنـ مـنـ أيـ الشـمـارـ شــاؤـواـ إـنـ شــاءـ قـائـماـ وإنـ شــاءـ مـتـكـنـاـ ، وـذـلـكـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : ﴿ وَعَنِ الْجَنَّاتِ دَانٌ ﴾ [الرحمن : ٥٤] . وبين أيديهم خـدـمـ كالـلـؤـلـؤـ .

«ويدخل أهل الجنة جُزًداً مُزدًداً مَكَحَلين ، بَنِي ثلَاثٍ وَثَلَاثَيْنَ ،
لَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ وَلَا تَبْلِي ثَيَابُهُمْ ، لَا يَنْزُقُونَ فِيهَا وَلَا يَبْلُوْنَ ، وَلَا
يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتَفَوَّطُونَ ، آتَيْتُهُمُ الْذَّهَبَ ، وَرَشَحَهُمُ الْمِسْكُ ،
وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ» .

«أَمَّا أَذَنَاهُمْ مِنْزَلَةً فِيهَا ، فَرِجْلٌ كَانَ مُخْلَطًا فِي الدُّنْيَا ، يَمْرُ عَلَى الصِّرَاطِ وَهُوَ يَجْبُو عَلَى وَجْهِهِ وَيَدِيهِ وَرِجْلِيهِ ، تَخْرُجُ يَدُّهُ - أَيِّ تَسْقُطٍ - وَتُعْلَقُ يَدُّهُ ، وَتَخْرُجُ رِجْلُهُ وَتُعْلَقُ رِجْلُهُ ، وَتُصَبَّبُ جَوَانِيهِ النَّاعُورُ . فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَخْلُصَ ، فَإِذَا خَلَصَ وَقَفَ عَلَيْهَا فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي مَا لَمْ يُغْطِ أَحَدًا ، إِذْ نَجَانِي مِنْهَا بَعْدِ إِذْ رَأَيْتُهَا .

قال : فَيُنْتَلِقُ بِهِ إِلَى غَدِيرٍ - أَيْ نَهْرٍ - عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ فَيَقْتَسِلُ ، فَيَعُودُ إِلَيْهِ رِينَحُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَوْانِهِمْ ، فَيَرِى مَا فِي الْجَنَّةِ مِنْ خَلْلِ الْبَابِ ، فَيَقُولُ : رَبُّ أَذْخِلْنِي الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ لَهُ : أَتَسْأَلُ الْجَنَّةَ وَقَدْ نَجَيْتُكَ مِنِ النَّارِ؟ فَيَقُولُ : رَبُّ ، اجْعَلْ بَيْتِي وَبَيْنَهَا حِجَابًا لَا أَسْمَعُ حَسِينَهَا قَالَ : فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَيَرِى أَوْ يُرَفَعُ لَهُ مَنْزِلٌ أَمَامَ ذَلِكَ ، كَأَنَّ مَا هُوَ فِيهِ إِلَيْهِ حَلْمٌ . - أَيْ رُؤْيَا فِي الْمَنَامِ - فَيَقُولُ : رَبُّ ، أَغْطِنِي ذَلِكَ الْمَنْزِلَ ، فَيَقُولُ : لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَكَ تَسْأَلُ غَيْرَهُ ، فَيَقُولُ : لَا وَعِزْتِكَ ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ ، وَأَيُّ مَنْزِلٍ أَحْسَنُ مِنْهُ؟ فَيُعْطَاهُ فَيَنْزِلُهُ ، وَيَرِى أَمَامَ ذَلِكَ مَنْزِلًا كَأَنَّ مَا هُوَ فِيهِ إِلَيْهِ حَلْمٌ قَالَ : رَبُّ ، أَغْطِنِي ذَلِكَ الْمَنْزِلَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : فَلَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَكَ تَسْأَلُ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ : لَا وَعِزْتِكَ يَارَبُّ ، وَأَيُّ مَنْزِلٍ أَحْسَنُ مِنْهُ؟ فَيُعْطَاهُ فَيَنْزِلُهُ ، ثُمَّ يَسْكُنُ .

فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : مَا لَكَ لَا تَسْأَلُ؟ فَيَقُولُ : رَبُّ قَدْ سَأَلْتُكَ حَتَّى اسْتَخِيَّتُكَ ، وَأَقْسَمْتُ حَتَّى اسْتَحِيَّتُكَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : أَلَمْ تَرَضَ أَنْ أَعْطِيَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا مُنْذُ خَلَقْتُهَا إِلَى يَوْمِ أَفْنَيْتُهَا وَعَشْرَةً أَضْعَافَهِ؟ فَيَقُولُ : أَتَهْزَأُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ الْعِزَّةِ؟ فَيَضْحِكُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ قَوْلِهِ .

قال : فرأيتُ عبد الله بن مسعود إذا بلغَ هذا المكان من هذا الحديث ، ضَرَحَكَ حَتَّى تَبُدُّ أَضْرَاسُهُ ، قال : فَيَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ ذِكْرُهُ : لَا ، وَلِكِنِّي عَلَى ذَلِكَ قَادِرٌ ، سَلْنَ ، فَيَقُولُ : الْحَقِّيْنِي بِالنَّاسِ ، فَيَقُولُ : الْحَقُّ بِالنَّاسِ . قال : فَيُنْتَلِقُ يَزْمَلُ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ النَّاسِ ، رُفِعَ لَهُ قَصْرٌ مِنْ دُرَّةٍ ، فَيَخْرُجُ سَاجِدًا ، فَيَقُولُ لَهُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، مَا لَكَ؟ فَيَقُولُ : رَأَيْتُ رَبِّي أَوْ تَرَاءَتِي لِي رَبِّي ، فَيَقُولُ : إِنَّمَا هُوَ مَنْزِلٌ مِنْ مَنَازِلِكَ .

قال : ثُمَّ يَلْقَى رَجُلًا فَيَتَهَيَّأُ لِلشُّجُودِ لَهُ ، فَيَقَالُ لَهُ : مَةً . فَيَقُولُ :

رأيْتُ أَنَّكَ مَلِكُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَيَقُولُ : إِنَّمَا أَنَا حَازِنٌ مِنْ حُزَانِكَ ، وَعَنْدِكَ مِنْ عَبِيدِكَ تَحْتَ يَدِيَ أَلْفُ قَهْرَمَانٍ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ .

قَالَ : فَيَنْطَلِقُ أَمَامَهُ حَتَّى يُفْتَحَ لَهُ الْقَضْرُ . قَالَ : وَهُوَ مِنْ دُرْرَةِ مُحَوَّفَةِ سَقَائِفُهَا وَأَبْوَابُهَا وَأَغْلَاقُهَا وَمَفَاتِنُهَا مِنْهَا ، تَسْتَقْبِلُهُ جَوْهَرَةُ خَضْرَاءُ مُبَطَّنَةُ بَحْمَرَاءَ فِيهَا سَبْعُونَ بَاباً ، كُلُّ بَابٍ يُفْضِي إِلَى جَوْهَرَةِ خَضْرَاءِ مُبَطَّنَةٍ ، كُلُّ جَوْهَرَةٍ تُفْضِي إِلَى جَوْهَرَةٍ عَلَى غَيْرِ لَوْنِ الْأُخْرَى ، فِي كُلِّ جَوْهَرَةٍ سُرُورٌ وَأَزْوَاجٌ وَوَصَائِفٌ - أَيْ إِمَاءَ - أَدْنَاهُنَّ حَزَرَاءَ عَيْنَاءَ عَلَيْهَا سَبْعُونَ حُلَّةً ، يُرَى مُعْلِمٌ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ حُلَّلِهَا ، كَيْدُهَا مِرَأَةٌ وَكَيْدُهُ مِرَأَتُهَا ، إِذَا أَغْرَضَ عَنْهَا إِعْرَاضَهُ ، ازْدَادَتْ فِي عَيْنِهِ سَبْعِينَ ضِعْفًا فِي قَالَ لَهُ : أَشْرِفَ فَيَشْرُفُ . فِي قَالَ لَهُ : مُلْكُكَ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ يَنْفَذُهُ بَصَرُوكَ .

قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : أَلَا تَسْمَعُ مَا يَحْدُثُنَا أَبْنَى أَمْ عَبْدَ يَا كَعْبَ عَنْ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا ، فَكَيْفَ أَغْلَاهُمْ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذْنٌ سَمِعَتْ ، إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ خَلَقَ دَارًا جَعَلَ فِيهَا مَا شَاءَ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالثِّمَرَاتِ وَالْأَشْرَبَةِ ، ثُمَّ أَطْبَقَهَا فَلَمْ يَرَهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ لَا جَبْرِيلُ وَلَا غَيْرُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، ثُمَّ قَرَأَ كَعْبٌ : « فَلَا تَعْلَمُنَّ قَسْنَ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَرَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » [السجدة : ١٧] .

قَالَ : وَخَلَقَ دُونَ ذَلِكَ جَنَّتَيْنِ وَزَيْنَهُمَا بِمَا شَاءَ وَأَرَاهُمَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ كَانَ كَتَابُهُ فِي عَلَيْيَنِ نَزَلَ فِي تِلْكَ الدَّارِ الَّتِي لَمْ يَرَهَا أَحَدٌ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ عَلَيْيَنِ لَيَخْرُجُ فَيَسِيرُ فِي مُلْكِكِهِ فَلَا تَبْقَى خَيْمَةٌ مِنْ خَيْمِ الْجَنَّةِ إِلَّا دَخَلَهَا مِنْ ضَوْءِ وَجْهِهِ ، فَيَسْتَبِشُرُونَ بِرِيحِهِ فَيَقُولُونَ : وَاهَا - أَيْ عَجَبًا - لِهَذَا الْرِيحِ ، هَذَا رِيحُ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ عَلَيْيَنِ قَدْ خَرَجَ يَسِيرُ فِي مُلْكِهِ .

قَالَ : وَيُحَكِّكَ يَا كَعْبُ ، إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبُ قَدْ اسْتَرْسَلَتْ ، فَاقْبِضُهَا .

فقال كعب : إن لجهنم يوم القيمة لزفة - أي نفساً - ما من ملِكٍ مقرَبٍ ولا نبِيٌّ مزَّسلٌ إلَّا خَرَ لِرُكْبَتِيهِ ، حتى إن إبراهيمَ خليلَ اللهِ ليقولُ : ربّ نفسي نفسي ، حتى لو كان لكَ عَمَلٌ سبعينَ نبياً إلى عَمِلِكَ ، لظننتُ أن لا تَنْجُو ^(١) .

وأنا غناءُ حُورِ العين ، فقد جاءَ في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُغَنِّيُنَّ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتِ سَمِعْهَا أَحَدٌ قَطُّ . إِنَّ مَا يُغَنِّيُنَّ بِهِ (نَحْنُ الْخَيْرَاتُ الْجِسَانُ . . أَزْوَاجُ قَوْمٍ كَرَامُ . . يُنْظَرُنَّ بِقُرْئَةِ أَعْيَانٍ) . وَإِنَّ مَا يُغَنِّيُنَّ بِهِ : (نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُتُنَّةُ . . نَحْنُ الْآمِنَاتُ فَلَا نَحْفَنَّةُ . . نَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا نَطْعَنَّةُ) ^(٢) . »

* * *

(١) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم .

(٢) رواه الطبراني في « الصغير » و« الأوسط » .

سُوقُ الْجَنَّةِ

عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة : أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْمِعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي سُوقِ الْجَنَّةِ . قال سعيد : أَوْ فِيهَا سُوقٌ ؟ قال : نَعَمْ . أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَّلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ ، فَيُؤْذَنُ لَهُمْ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجَمْعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا ، فَيَزُورُونَ اللَّهَ وَيُبَرِّزُونَ لَهُمْ عَرْشَهُ وَيَتَبَدَّلُ لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ . فَتُوَضَّعُ لَهُمْ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ ، وَمَنَابِرٌ مِنْ لُؤلُؤٍ ، وَمَنَابِرٌ مِنْ يَاقُوتٍ ، وَمَنَابِرٌ مِنْ رَيْزَرْجِيدٍ ، وَمَنَابِرٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَمَنَابِرٌ مِنْ فَضْيَةٍ ، وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دُنْيَةٌ عَلَى كُثُبَانِ الْمِسْكِ وَالْكَافُورِ - أَيٌّ عَلَى الْقِطْعَ الْمُجَمَّعَةِ الْكَبِيرَةِ مِثْلِ كَثِيبِ الرَّمْلِ - مَا يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسِيِّ أَفْضَلُ مِنْهُمْ مَجِلِسًا . قال أبو هريرة : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ تَرَى رَبَّنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، هَلْ تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لِيَلَةَ الْبَدْرِ ؟ قَلَّا : لَا ، قَالَ : كَذَلِكَ لَا تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَا رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا يَقِنُ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَدٌ إِلَّا حَاضِرُ اللَّهِ - كَلْمَةُ - مَحَاضِرَةٌ . حَتَّى إِنَّهُ لِيَقُولُ لِلرَّجُلِ مِنْكُمْ : أَلَا تَذَكِّرُ يَا فَلَانُ يَوْمَ عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا ؟ يُذَكِّرُهُ بَعْضُ غَدَرَاتِهِ فِي الدُّنْيَا - أَيُّ هَفْوَاتِهِ وَعَصْيَانِهِ - فَيَقُولُ : يَا رَبَّ ، أَفْلَمْ تَغْفِرُ لِي ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، فَبِسْعَةِ مَغْفِرَتِي بَلَغَتْ مِنْزِلَتِكَ هَذِهِ . فَبَيْنِمَا هُمْ كَذَلِكَ ، غَشِّيَّتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طِيَّبًا لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ شَيْئًا

قطّ ، ثم يقول ربنا تبارك وتعالى : قُومُوا إِلَى مَا أَعَدَّتُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ ، فَخَذُوا مَا اشْتَهَيْتُمْ قال : فَنَأَتِي سُوقًا قَدْ حَفَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ ، فِيهِ مَا لَمْ تَنْظُرْ إِلَى مِثْلِهِ ، وَلَمْ تَسْمِعْ إِلَى آذَانُ ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ قَالَ : فَيَخْمَلُ لَنَا مَا اشْتَهَيْنَا لَيْسَ يُبَاعُ فِيهِ شَيْءٌ وَلَا يُشْتَرَى ، وَفِي ذَلِكَ السُّوقِ يَلْقَى أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَالَ : فَيُقْبِلُ الرَّجُلُ ذُو الْمُنْزَلَةِ الْمُرْتَفَعَةِ فَيَلْقَى مَنْ دُونَهُ وَمَا فِيهِمْ دَنَى فَيُرُوِّعُهُ - أَيُّ يُرُوِّعُهُ - مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ الْلِبَاسِ ، فَمَا يَنْقُضِي أَخْرَى حَدِيثِهِ حَتَّى يَتَمَثَّلَ عَلَيْهِ أَحْسَنُ مِنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْبغي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا .

قال : ثم تَنَصَّرِفُ إِلَى مَنَازِلِنَا ، فَتَتَلَقَّانَا أَزْوَاجُنَا فَيَقُلُّنَّ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا لِقَدْ جِئْنَا ، وَإِنَّ بَكَ مِنَ الْجَمَالِ وَالطَّيْبِ ، أَفْضَلُ مَا فَارَقْنَا عَلَيْهِ . فيَقُولُ : إِنَّا جَاءْنَا يَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَارَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَبِحَقِّنَا أَنْ تَنْقِلِبَ بِمَثَلِ مَا انْقَلَبَنَا «^(١)» .

وَمِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ : أَنَّهُمْ يَتَزَاوِرُونَ عَلَى الْمَطَابِيَا وَالْتُّجُبِ - أَيِّ الْجَمَالِ الْطَّوَالُ الْأَعْنَاقِ - وَإِنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ فِي الْجَنَّةِ بِخِيلٍ مُسَرَّجَةٍ مُلْجَمَةٍ لَا تَرَوُثُ وَلَا تَبُولُ ، فَيَرْكِبُونَهَا حَتَّى يَتَهَوَّا حِيثُ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

وَرَوَى عَنْ أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَيَشَاقِقُ الْإِخْرَانَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَيَسِيرُ سَرِيرُ هَذَا إِلَى سَرِيرِ هَذَا ، وَسَرِيرُ هَذَا إِلَى سَرِيرِ هَذَا ، حَتَّى يَجْتَمِعُوا جَمِيعًا ، فَيَتَكَبَّهُمْ هَذَا وَيَتَكَبَّهُمْ هَذَا ، فَيَقُولُ أَخَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : أَتَعْلَمُ مَتَى غَفَرَ اللَّهُ لَنَا؟ فَيَقُولُ صَاحِبُهُ : نَعَمْ ، يَوْمَ كُنَّا فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا ، فَدَعَوْنَا اللَّهُ فَغَفَرَ لَنَا »^(٢) .

(١) رواه الترمذى وابن ماجه .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا والبزار .

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَاعِدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ أَحْبَبُ الْخَيْلَ ،
فَقَلَّتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ فِي الْجَنَّةِ خَيْلٌ ، فَقَالَ : « إِنْ أَذْخَلْتَ اللَّهَ
الْجَنَّةَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، كَانَ لَكَ فِيهَا فَرْسٌ مِّنْ يَاقُوتٍ لَهُ جَنَاحٌ تَطِيرُ بِكَ
حِيثُ شِئْتَ »^(١) .

* * *

(١) رواه الطبراني ورواته ثقات .

رُؤْيَا رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَمِنْ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ : أَنَّهُمْ يَتَشَرَّفُونَ بِزِيَارَةِ الْحَقِّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، يَأْتِيهِمْ مَلَكُ فَيَنَادِيهِمْ وَيَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُزُورُوهُ ، فَيَجْتَمِعُونَ . فَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى دَاؤِدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالْتَّسْبِيحِ وَالْتَّهْلِيلِ ، ثُمَّ تُوَضَّعُ مَائِدَةُ الْخُلْدِ .

قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا مَائِدَةُ الْخُلْدِ؟ قَالَ : « زَاوِيَّةً مِنْ زَوَّاِيَّهَا أَوْسَعَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فَيُطْعَمُونَ ثُمَّ يُسْقَوْنَ ثُمَّ يُكَسَّوْنَ ، فَيَقُولُونَ : لَمْ يَقِنُ إِلَّا النَّظَرُ فِي وَجْهِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ ، فَيَتَجَلَّ لَهُمْ فَيَخْرُجُونَ سُجْدًا ، فَقَالَ : لَسْتُمْ فِي دَارِ عَمَلٍ ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي دَارِ جَزَاءٍ »^(١) .

« فَلَمَّا تَجَلَّ لَهُمُ الْحَقُّ تَعَالَى فِي عَظَمَتِهِ الْعَظِيمَةِ - تَحِيَّتِهِ فِيهَا السَّلَامُ - قَالُوا : رَبَّنَا أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ ، وَلَكَ حَقُّ الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ . فَقَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ : إِنِّي أَنَا السَّلَامُ وَمِنِّي السَّلَامُ وَلِي حَقُّ الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، فَمَرْحَبًا بِعِبَادِي الَّذِينَ حَفِظُوا وَصَيَّبُوا وَرَعَوا عَهْدِي وَخَافُونِي بِالْغَيْبِ ، وَكَانُوا مِنِّي عَلَى كُلِّ حَالٍ مُّشْفِقِينَ .

قَالُوا : أَمَا وَعَزِّتِكَ وَجَلَالِكَ وَعَلَوْ مَكَانِكَ ، مَا قَدَّرْنَاكَ حَقَّ قَدِيرِكَ ، وَلَا أَدْيَنَا إِلَيْكَ كُلَّ حَقَّكَ . فَأَذْنَنَ لَنَا بِالسُّجُودِ لَكَ؟ فَقَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ تَبَارِكَ

(١) رواه أبو ثعيم في « صفة الجنة » .

وتعالى : إِنِّي قد وضعتُ عنكم مُؤْنَةَ العبادةِ ، وأَرَحْتُ لكم أَبْدَانَكُمْ فطالَمَا أَنْصَبْتُمْ - أَتَعْبَتُمْ - الأَبْدَانَ وَأَعْنَيْتُمُ الْوِجْهَ ، فَالآنَ أَفْصَبْتُمْ إِلَى رَوْحِي وَرَحْمَتِي وَكَرَامَتِي ، فَسَلُوْنِي مَا شَتَّنُ وَتَمَنَّوْا عَلَيَّ أَغْطِكُمْ أَمَانِيَّكُمْ . فَإِنِّي لَنْ أَجْزِيَكُمُ الْيَوْمَ بِقَدْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَلَكِنْ بِقَدْرِ رَحْمَتِي وَكَرَامَتِي وَطَوْلِي وَجَلَالِي وَعُلُوِّ مَكَانِي وَعَظَمَةِ شَأنِي . فَمَا يَزَالُونَ فِي الْأَمَانِيِّ وَالْمَوَاهِبِ وَالْعَطَايَا ، حَتَّى إِنَّ الْمُقَصَّرَ مِنْهُمْ لِيَتَمَّيَّزَ مِثْلَ جَمِيعِ الدُّنْيَا مِنْذُ يَوْمِ خَلَقَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى يَوْمِ أَنْفَاهَا .

قَالَ رَبُّهُمْ : لَقَدْ قَصَرْتُمْ فِي أَمَانِيَّكُمْ وَرَضِيَّتُمْ بِدُونِ مَا يَحْقِقُ لَكُمْ ، فَقَدْ أَوْجَبْتُ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَتَمَنَّيْتُمْ وَزَدْتُكُمْ عَلَى مَا قَصَرْتُ عَنْهُ أَمَانِيَّكُمْ ، فَانظُرُوا إِلَى مَوَاهِبِ رَبِّكُمُ الَّذِي وَهَبَ لَكُمْ . فَإِذَا يَقْبَابُ فِي الرَّفِيعِ الْأَعْلَى ، وَغُرْفَتِ مَبْنَيَّةٍ مِنَ الدُّرُّ وَالْمَرْجَانِ أَبْوَابُهَا مِنْ ذَهَبٍ وَسُرُّهَا مِنْ يَاقُوتٍ ، وَفُرْشُهَا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ، وَمَنَابِرُهَا مِنْ نُورٍ . يَتُورُ - يَتَشَرُّ - مِنْ أَبْوَابُهَا وَأَعْرَاضُهَا نُورٌ كَشْعَاعُ الشَّمْسِ مِثْلُ الْكَوْكَبِ الْدُّرَّيِّ فِي النَّهَارِ الْمُضِيءِ . وَإِذَا قُصُورٌ شَامِخَةٌ فِي أَعْلَى عَلَيْيَنِ مِنَ الْيَاقُوتِ يَزْهَرُ نُورُهَا ، فَلَوْلَا أَنَّهُ سُخْرَةُ لِلتَّمَعَّنِ الْأَبْصَارِ . فَمَا كَانَ مِنْ تَلْكَ الْقُصُورِ مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَبْيَضِ فَهُوَ مَفْرُوشٌ بِالْحَرِيرِ الْأَبْيَضِ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَخْمَرِ فَهُوَ مَفْرُوشٌ بِالْعَبْرَقِيِّ الْأَحْمَرِ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَخْضَرِ فَهُوَ مَفْرُوشٌ بِالسُّنْدُسِ الْأَخْضَرِ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَصْفَرِ فَهُوَ مَفْرُوشٌ بِالْأَزْجُوانِ الْأَصْفَرِ مُمَوَّةً بِالْزُّمُرُدِ الْأَخْضَرِ وَالْذَّهَبِ الْأَحْمَرِ وَالْفَضَّةِ الْبَيْضَاءِ . قَوَاعِدُهَا وَأَرْكَانُهَا مِنَ الْيَاقُوتِ وَشُرُفُهَا - أَيُّ أَعْالِيَهَا - قِيَابُ الْلَّوْلُو ، وَبُرُوجُهَا غُرْفُ الْمَرْجَانِ - أَيُّ أَمَاكِنُهَا وَمَأْوَاهَا - فَلَمَّا انْصَرَفُوا إِلَى مَا أَعْطَاهُمْ رَبُّهُمْ ، قُرِبُوا لَهُمْ بَرَادِيْنُ - خِيلٌ مَطْهَمَةٌ - مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَبْيَضِ مَنْفُوخٌ فِيهَا الرُّوحُ ، يَجْبَبُهَا - يَقُودُهَا - الْوَلَدَانُ الْمَخْلُدُونُ وَيَدِ كلَّ وَلِيدٍ مِنْهُمْ حَكْمَةٌ بِزَدْوِنِ ، وَلُجُمُهَا وَأَعْنَتُهَا مِنْ فَضْيَةِ بَيْضَاءِ مُتَطَوَّقَةٍ - أَيُّ

محاطة - بالذرّ والياقوت ، وسُرّجُها سُرّ مَوْضُونَةٌ مَفْرُوشَةٌ بِالسَّنْدُسِ والِإِسْتَبْرَقِ . فَانطَلَقْتُ بِهِمْ تِلْكَ الْبَرَادِينَ تُزْفُ بِهِمْ وَتَنْتَظِرُ رِيَاضَ الْجَنَّةَ ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، وَجَدُوا فِيهَا جَمِيعَ مَا تَطَوَّلَ بِهِ - أَيْ تَفْضَلُ بِهِ رَبُّهُمْ عَلَيْهِمْ مَا سَأَلُوهُ وَتَمَنُّوا ، وَإِذَا عَلَى بَابِ كُلِّ قَصْرٍ مِنْ تِلْكَ الْقُصُورِ أَرْبَعُ جِنَانٍ ، جَنَّتَانَ دَوَاتَا أَفْنَانٍ ، وَجَنَّتَانَ مُدَهَّامَتَانَ - أَيْ خَضْرَاوَانَ - وَفِيهِمَا عَيْنَانَ نَضَاخَتَانَ - فَوَارَتَانَ - وَفِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانَ - صِنْفَانَ - وَحُوْزَرَ مَقْصُورَاتٍ فِي الْخِيَامِ . فَلَمَّا تَبَوَّءُوا مَنَازِلِهِمْ وَاسْتَقْرُرُ بِهِمْ قَرَائِبُهُمْ ، قَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ : هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدْتُكُمْ حَقًا؟ قَالُوا : نَعَمْ . رَضِيَنَا فَازْضَنَ عَنَا قَالَ : بِرِضَائِي عَنْكُمْ حَلَّتُمْ دَارِي وَنَظَرْتُمْ إِلَى وَجْهِي وَصَافَحْتُكُمْ مَلَائِكَتِي ، فَهَبِّنَا هَبِّنَا عَطَاءَ غَيْرِ مَجَدُوذِ ، لَيْسَ فِيهِ تَغْيِيصٌ وَلَا تَصْرِيدٌ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالُوا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ وَأَخْلَقَنَا دَارَ الْمُقاَمَةِ مِنْ فَضْلِهِ ، لَا يَمْسِنَا فِيهَا نَصَبٌ - أَيْ تَعْبٌ - وَلَا يَمْسِنَا فِيهَا لُغُوبٌ - مَلَلٌ - إِنْ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ^(١) .

وَمِنْ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ : أَنْهُمْ يَتَشَرَّفُونَ بِالنَّظَرِ إِلَى الْمَوْلَى جَلَّ شَانَهُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : تُرِيدُونَ شَيْنَا أَرْزِنْدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضنَ وَجْهَنَا ، أَلَمْ تُدْخِلنَا الْجَنَّةَ ، وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ : فَيُكَشَّفُ الْحِجَابُ ، فَمَا أَعْطُوا شَيْنَا أَحْبَبَ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ، ثُمَّ تَلَّا هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسْقَ وَزِيَادَةً﴾^(٢) .

[يونس : ٢٦] .

(١) رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم .

(٢) رواه مسلم والترمذى والنسائى .

وقد قال العلماء : إن الحُسْنِي هي الجنة ، والزيادة هي : النظر إلى الحق سبحانه وتعالى .

فنسأل الله تعالى أن يختم لنا بخاتمة السعادة ، و يجعلنا من أهل الحُسْنِي والزيادة .

انتهى بحمد الله ما تيسّر لنا من الجمع في هذا الموضوع ، ولم تلتفت فيه بالأحاديث الصحيحة ، بل إننا توسعنا فيه بالنقل اعتماداً على قبول الضعيف في فضائل الأعمال ، وقد نصّ على ذلك الإمام النووي في « التقريب » ، والعرّاقي في شرحه على « الفيّه » ، وابن حجر العسقلاني في « شرح النخبة » ، والشيخ زكريا الأنصاري في « شرح الفيّة العراقي » ، والحافظ السيوطي في « التدريب » ، وابن حجر المكي في « شرحه على الأربعين » . وللعلامة اللكتوني رسالة تُسمى : « الأجوية الفاضلة » له فيها بحثٌ مُستفيضٌ في ذلك ، ولسيدي الإمام الوالد السيد علوى المالكى رحمة الله رسالةٌ خاصّةٌ في أحكام الحديث الضعيف ، وعلى هذه القاعدة جرينا في كتابنا هذا .

نَعَّلُ الله تعالى به وجعله خالصاً لوجهه الكريم .
وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

كتبه

السيد محمد بن السيد علوى المالكى الحُسْنِي
خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

محتويات الكتاب

٥	مقدمة الكتاب
٦	تَبَيْنَةُ مَهْمُ
٧	رَصِيدُ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ مِنِ الْإِيمَانِ
٨	كَمَالُ يَقِينِ هَذِهِ الْأُمَّةِ
٩	خَصَائِصُ عَامَّةِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ
١٠	أَوْلَأً : رَفْعُ الْإِصْرِ
١٨	ثَانِيًّا : الْإِكْرَامُ بِالرَّحْمَةِ الْخَاصَّةِ
٢١	ثَالِثًأً : جَعْلُهُمْ أَمَّةً وَسَطَاءً
٢٣	رَابِعًأً : يَسِيرُ الشَّرِيعَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ
٢٥	خَامِسًأً : كَمَالُ الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ
٢٦	سَادِسًأً : نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
٢٧	سَابِعًأً : كَوْنُهُمْ خَيْرُ أَمَّةٍ
٣١	ثَامِنًأً : كَوْنُ الْمَسِيحِ عِيسَى مِنْ أَفْرَادِ هَذِهِ الْأُمَّةِ
٣٣	تَاسِعًأً : ثَبُوتُ الْبِشَارَةِ بِالْجَنَّةِ لَاخْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَا ثَبَتَ لَأُولَاهَا
٣٤	عَاشِرًأً : ثَبُوتُ الْفَضْلِ لَاخْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَا ثَبَتَ لَأُولَاهَا
٣٦	الْحَادِيُّ عَشَرُ : وَجْهُودُ قَبْرِ نَبِيِّنَا <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small> بِالْتَّعْبِينِ
٣٨	الثَّانِيُّ عَشَرُ : ذِكْرُ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فِي الْكِتَبِ السَّابِقَةِ
٤١	الثَّالِثُ عَشَرُ : إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالٍ
٤٢	الرَّابِعُ عَشَرُ : إِنَّ اللَّهَ لَا يُهْلِكُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِجُوعٍ وَلَا غَرْقٍ
٤٣	شَرْفُ الْوَضُوءِ وَفَضْلِهِ

٤٥	فضل الأذان وشرف المؤذنين
٥٢	فضل إجابة المؤذن
٥٦	فضل بناء المساجد والمشي إليها والجلوس فيها
٦٠	فضائل الصلاة
٧٣	مرافقة النبي ﷺ في الجنة
٧٤	رؤيه رب العزة
٧٥	تحية رب العالمين
٧٥	اشتمال الصلاة على الصلاة على النبي ﷺ
٧٨	شرف صلاة الجماعة
٨٦	فضل الصف الأول وما يتعلق بالصفوف
٩٠	فضل الإمامة
٩١	فضل التأمين
٩٥	فضائل صلاة الجمعة
١٠٦	شرف القائمين بالليل وفضلهم
١١٣	فضل المحافظة على ثنتي عشرة ركعة من السنن والرواتب
١٢٢	فضائل صلاة النافلة في البيت
١٢٤	فضل الجلوس في المصلئ بعد صلاة الصبح والعصر
١٢٩	صلوات مخصوصة : فضل صلاة الصُّحْنِ
١٣١	صلاة الاستخارة ودعاؤها
١٣٤	صلاة الحاجة ودعاؤها
١٣٥	صلاة ركعتي الوضوء
١٣٦	صلاة التسبيح
١٣٨	صلاة تقوية الحفظ
١٤١	فضل أداء الزكاة
١٤٦	فضل العمل على الصدقة بالتقوى

١٤٨	شرف الصدقة وفضل المتصدقين
١٤٩	والصدقة حجاب من النار ، اتقوا النار ولو بشق تمرة
١٥٠	والصدقة تکفر الذنوب مهما عظمت
١٥٢	والصدقة خير أبواب البر
١٥٥	والصدقة تطفئ عن صاحبها حر القبر
١٥٩	إطعام الطعام خير خصال الإسلام
١٦٦	فضل القرض وإنظار المعسر
١٧٠	فضل العفة وشرف الاستغناء عن الناس
١٧٥	شرف الأمانة والوفاء بالوعد
١٧٧	فضل اصطناع المعروف إلى المسلمين وقضاء حوائج الملهوفين
١٨٣	فضل مكافأة صاحب المعروف والإحسان
١٨٥	شرف الصائمين من هذه الأمة
١٨٩	فضائل الصوم مطلقاً كثيرة
١٩٤	شرف الحجاج من هذه الأمة
٢٠١	فضل تلاوة القرآن وشرف القراء من هذه الأمة
٢١٥	شرف الذاكرين من هذه الأمة
٢٤٧	فوائد الصلاة على النبي عليه أفضل الصلاة والسلام
٢٥٣	فضل الحب في الله والبغض في الله
٢٥٧	الخصال المكفرة للذنوب
٢٦٣	سعة رحمة الله لهذه الأمة بفتح أبواب التوبة
٢٦٨	فضل البكاء من خشية الله
٢٧٠	فضل حسن الظن بالله وعظيم الرجاء فيه
٢٧٢	مضاعفة ثواب العاملين في زمان الفتنة
٢٧٣	فضل الغني الشاكر والفقير الصابر
٢٧٧	فضل الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة

٢٨٠	فضل الصبر على البلايا
٢٨٨	فضل عيادة المرضى
	فضل القيام بأمور الموتى وشفاعة المصليين لهم وأن خيار هذه الأمة
٢٩١	شهداء الله في الأرض
٢٩٥	تعريف الأمة المحمدية بأمور البرزخ
٢٩٩	البعث وأهوال يوم القيمة
٣٠٥	تعريف الأمة المحمدية بأمور الحشر والنشر
٣٠٦	قصة العابد المغتر بعبادته
٣٠٨	بقية ما أخبر <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small> من أمور الحشر والنشر
٣١١	الحوض والميزان والصراط
٣١٣	اختصاص نبينا محمد <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small> بالشفاعة العظمى
٣١٦	النار وأحوال أهلها
٣٢٣	تعريف الأمة المحمدية بالجنة وأحوالها
٣٣٤	سوق الجنة
٣٣٧	رؤى رب العالمين
٣٤١	فهرست محتويات الكتاب

* * *